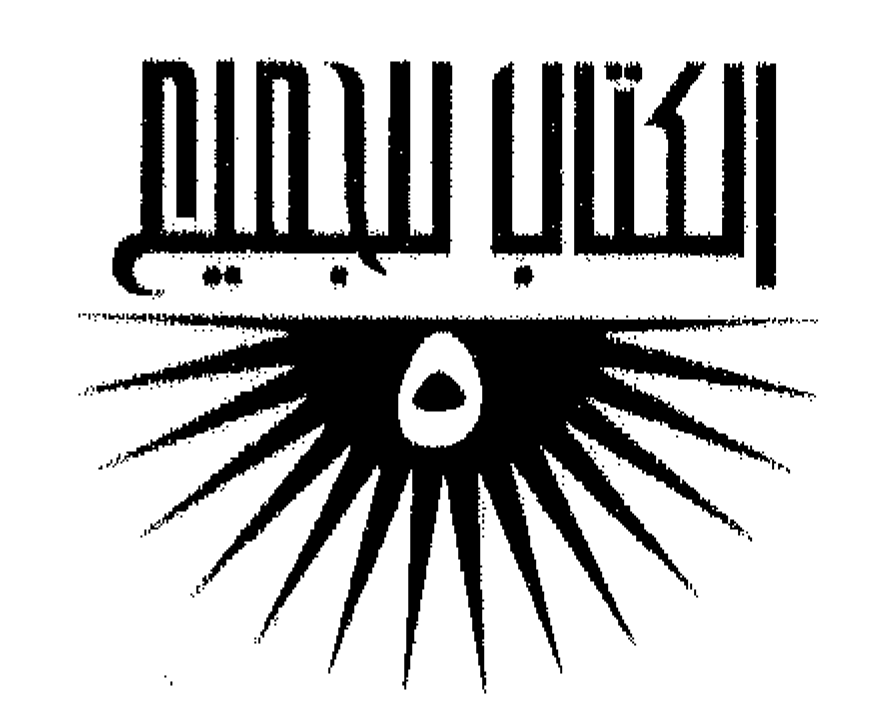
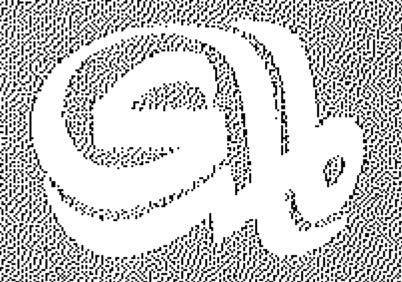


طه باقر

ملحمة كلكامش

وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان




الكتاب للجميع



سلسلة شعبية تعيد اصدارها

دار المدى للثقافة والنشر

رئيس مجلس الادارة والتحرير

فخري كريم

الاشراف الفني

محمد سعيد الصكار

الاشتراك:

٦٠ دولار في البلدان العربية

١٠٠ دولار في اوروبا والامريكيتين

العنوان

سوريا - دمشق صندوق بريد: ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦

فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩



٥

طه باقر

ملحمة كلكامش

وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان

الطبعة الخامسة ١٩٨٦

طبعة خاصة

دار المدى للثقافة والنشر [illegible]

مقدمة
الطبعة الخامسة

مضى على الطبعة الأولى لملحمة جلجامش ما يناهز الثماني عشرة سنة ، وأعقبتها الطبعة الثانية ، ثم الثالثة (١٩٧٥) التي لم يمضِ على ظهورها سوى أشهر القصص والأساطير المتعلقة بجلجامش ومعظمها دون بالغة السومرية الأخرى . الأمر الذي يدلّ على إقبال القراء على الملحمة في مختلف مستوياتهم الثقافية ، صغاراً وكباراً ، لما تحتويه من مادة ومواقف قصصية روائية جذابة اجتهدت أن أضعها في الترجمة بأسلوب عربي مبسط ومستساغ من سلامة التعبير . وهو الانطباع الذي استطعت أن استنتجته من قطاع كبير ومتنوع من القراء . وقد ألزمت نفسي بعد كل طبعة أن أعيد القراءة والمقابلة بين الترجمة والأصل البابلي ، والرجوع للمقارنات المختلفة في البحوث والدراسات الأجنبية ، وهي دراسات مستمرة لايزال الباحثون الفنيون يولونها العناية الكبيرة ، فأبدل وانفتح في الترجمة في المواضيع الحساسة في الملحمة ، كما كنت آخذ بالمقترحات والتعليقات التي تردنا من الأصدقاء وبعض القراء المعنيين . والى هذا كله ، فقد اكتشفت من الملحمة في السنوات القليلة الماضية أجزاءً مهمة كانت ناقصة ولا سيما جزءاً مهماً من اللوح الأول الذي يؤلف ديباجة الملحمة ، حيث أوردنا نحو خمسين شطراً أو بيتاً من الشعر كانت مخرومة في الطبعات السابقة ، وأجزاء أخرى مهمة من اللوح السادس والسابع والثامن وقد أدرجت هذه المادة الجديدة على

هيئة ملاحق في هذه الطبعة .

ومن الاضافات المهمة في هذه الطبعة التي يجدر التنويه بها إضافة أشهر القصص والأساطير المتعلقة بجلجامش ومعظمها دوّن باللغة السومرية . ولأن حادثة الطوفان تؤلف جزءاً مهماً من الملحمة (هو اللوح الحادي عشر) ، فإنني أضفت الى الملحمة في طبعتها الرابعة أشهر القصص والأساطير الخاصة بالطوفان مما جاء إلينا من النصوص الأدبية في حضارة وادي الرافدين .

القسم الأول

مقدمة في أدب حضارة وادي الرافدين والتعريف بالملحمة

أولاً: أدب وحضارة وادي الرافدين ومكانته في تاريخ الآداب العالمية[1] وخصائصه العامة

بعد أن قضى الإنسان القسم الأعظم من حياته في أطوار التوحش والهمجية ، فيما يسمى بعصور ما قبل التاريخ (التي استغرقت أكثر من ٩٩٪ من حياة الانسان والتي تقدر بنحو مليوني عام) - دخلت البشرية في أخطر تجربة وامتحان لا تزال تعانيهما بانتقالها الى طور الحضارة الناضجة . وقد تحقق ذلك لأول مرة في تاريخ الانسان بانتقال وادي الرافدين ووادي النيل من عصور ما قبل التاريخ في أواخر الألف الرابع ق .م . الى حياة التحضّر والمدنية ، بمختلف عناصر الحضارة الأساسية المميزة كظهور المدن ، وأنظمة الحكم ، والكتابة ، والتدوين ، والقوانين المنظّمة للحياة الاجتماعية ، والفنون المختلفة والآداب ، والممارسات الدينية ومؤسساتها العامة كالمعابد والكهنة ، وأسس العلوم والمعارف ، والممارسات التقنية (التكنولوجية) ، وأجهزة الري والزراعة ، وبداية السيطرة على البيئة وتسخير امكاناتها .

وعند ذاك ، شرع الانسان ينظر في هذا الكون العجيب ، ويفكّر في الحياة الاجتماعية الجديدة في معانيها وقيمها وموقعه منها . وأخذ يعبر عن أفكاره وتصوراته بأساليب مختلفة . فتارةً ، كان ينظر الى الأشياء نظرةً موضوعيةً ليفيد من إمكانات بيئته ويسخرها له ، فظهرت الممارسات والأساليب الفنية التقنية والمعارف العملية ، وطوراً ، كان

ينظر الى الأشياء نظرة خيالية أو أسطورية فيعبر عن الكون والحياة تعبيراً فنياً خلفه لنا على هيئة نتاج فني أو أدبي نسميه نحتاً أو رسماً أو قصة أو شعراً أو ملحمة .

لم تتجاوز معرفة الإنسان الحديث بهذه الحقائق المدهشة في تأريخ تطور النوع الانساني منتصف القرن الماضي ، أي زهاء القرن وربع القرن ، حين بدأت التنقيبات والتحريات عن بقايا المدنيات القديمة ، فكان أروع اسهام للحضارة الحديثة في تقدم المعارف البشرية في الكشوف المهمة التي حققها علم الآثار «الاركيولوجيا» (Archaeology) وهو العلم الفتي الذي نشأ - كما قلنا - منذ منتصف القرن الماضي ، وأحدث انقلاباً خطيراً في معرفة الإنسان بتأريخه وتطوره في اكتشاف حضارات ومدنيات قديمة سبقت حضارتي اليونان والرومان بعشرات القرون ، وغيّرت آراء مؤرّخي الحضارات عن أصول التمدّن البشري وجذوره . فقد كان الباحثون الغربيون يحصرونها تقريباً في تراث الحضارة اليونانية ، كما أن الكثير من تلك الحضارات القديمة لم يكن يعرف عنها شيء حتى مجرد أسمائها ، ولكن الكشف عن مخلفاتها وسّع من نظرة الانسان الحديث الى الحياة وتطورها ، وأصول تطور البشرية الحضاري ، والمراحل المختلفة التي مرّ بها ذلك التطور .

ويجمع الباحثون من مؤرّخي الحضارة على أن أقدم الحضارات التي كشف عنها ذلك العلم الحديث ، أي علم الآثار ، هي حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل اللتان نشأتا وتطورتا من الأدوار البدائية في عصور ما قبل التأريخ ، وبلغتا طور النضج منذ أواخر الألف الرابع ق .م . ، ولذلك أطلق عليهما بعض الباحثين[٢] مصطلح الحضارة الأصلية أو الأصيلة (Original) . وقد صاحب التحريات الآثارية عن مخلفات هاتين الحضارتين حل رموز الخطوط التي استعملتهما للتدوين : الخط الهيروغليفي في حضارة وادي النيل والخط المسماري في حضارة وادي الرافدين ، الأمر الذي مكن الباحثين المختصين من معرفة النصوص

المدونة في كل منهما في شتى صنوف المعرفة وشؤون الحياة ، ومن ذلك ، علومهما ومعارفهما وآدابهما ، فكان مثار دهشة كبرى أن يجد الباحثون تلك العلوم والمعارف والآداب وقد بلغت مستوى متقدماً ، ويجمعوا على أن أسس العلوم والمعارف وأصول الآداب البشرية قد وضعت في تينيك الحضارتين قبل أكثر من خمسة آلاف عام .

ومن ناحية الموضوع الذي بين أيدينا ، وجد الباحثون في النصوص الأدبية التي جاءت إلينا من حضارة وادي الرافدين أموراً مدهشة في المستوى المتقدم الذي بلغته تلك الآداب والموضوعات الإنسانية العامة التي تناولتها ، وهو ما سيتضح لنا أكثر في ملحمة جلجامش .

والنتاج الأدبي في حضارة وادي الرافدين ، كما تمثّله النصوص الأدبية التي اكتشفت لحال التاريخ ، ذو أهمية كبيرة في تاريخ الآداب البشرية وتطور الفكر الانساني ، وذلك ، لأنه كان أولى محاولات الإنسان في التعبير عن الحياة وقيمها وأحوال المجتمع ، ومشاكل الفرد ، بأسلوب الفن والخيال . ورغم أن هذه كانت أولى المحاولات في تأريخ تطور الإنسان الأدبي بيد أن ما يدهش الفاحص لأدب وادي الرافدين هو أنه ، مع إيغاله في القدم وسبقه جميع الآداب العالمية ، يتميز بالصفات الأساسية التي تميز الآداب العالمية الناضجة ، سواء أكان ذلك من حيث الأساليب وطرق التعبير ، أم من ناحية المحتوى والموضوعات التي تناولها أم من ناحية الأخيلة والصور الفنية والعرض القصصي الروائي .

قدم أدب حضارة وادي الرافدين

وقبل أن نورد لمحة عن الميزات العامة لأدب حضارة وادي الرافدين ندلل على حقيقة كونه أقدم أدب عرفه العالم القديم ، وسبيلنا في ذلك مقابلته ومقارنته مع آداب الحضارات القديمة . فنقول إنه رغم أن غالبية

الألواح المدوّنة بالأدب السومري والبابلي مما جاء إلينا لحال التاريخ لايتجاوز زمن تدوينها أواخر الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق .م . إلا أن تلك القطع الأدبية قد تم ابداعها ونضجها في منتصف الألف الثالث ق .م . أي قبل زمن تدوينها بعدة قرون . فإذا قارنا قدم هذا الأدب ، من حيث زمن تدوينه ، بأقدم الآداب العالمية ، وجدناه يسبقها جميعاً . فبالنسبة الى مصر القديمة مثلاً ، لما يأتنا من أدبها شيء من عصر الأهرام فيها ، وهو عصر نضج الحضارة المصرية وازدهارها في مطلع الألف الثالثة ق .م . وقد اكتشف الآثاريون حديثاً في « أوغاريت » (Ugarit) ، المدينة الكنعانية القديمة[٣] أدباً كنعانياً يرقى زمنه الى حدود منتصف الألف الثاني ق .م .[٤] ، أي ما بعد الزمن الذي دون فيه أدب العراق القديم بما لايقل عن خمسة قرون . ومثل هذا ، يقال عن الأدب العبراني القديم الذي تضمنته التوراة ، فهو ، كذلك ، متأخر في زمنه عن زمن أدب حضارة وادي الرافدين بعدة قرون ، إذ لا يتعدى أقدم زمن لتدوين التوراة القرنين السادس والخامس ق .م . ونذكر على سبيل المقارنة أيضاً الالياذة (Iliad) « والأوديسة » (Odyssey) اللتين تمثلان أقدم نتاج أدبي لليونان ، فزمن تدوينهما لايتعدى القرن السابع أو الثامن ق .م . على أكثر تقدير ، أي أنهما متأخرتان في الزمن عن أدب العراق القديم بما لايقل عن خمسة قرون . ونذكر أيضاً ما يسمى بـ « رگ – فيدا » (Rig - Vida) الممثلة لأدب الهند القديم ، وكذلك « الافستا » الابستاق (Avesta) المتضمنة أقدم أدب ايراني ، فما من هذه الآداب القديمة ما دون قبل النصف الأول من الألف الأول ق .م ، أي أن زمن تدوين أدب العراق القديم يسبقها بأكثر من ألف عام[٥] .

وإضافة الى صفة القدم التي أوجزناها ، هناك ميزة أخرى تميز أدب العراق القديم على الآداب العالمية القديمة ، تلك هي أن كلا من الآداب التي أوردناها للمقارنة به قد عانى الكثير من التحوير والإضافة على أيدي الجامعين والنسّاخ والشرّاح في حين أن الأدب السومري والبابلي

قد جاء إلينا على هيئته وبنصوصه الأصلية تقريباً ، كما دوّن بأقلام كتبة العراق القديم على ألواح الطين قبل أربعة آلاف عام[٦] . على أنه مع هذا القدم الموغل في الزمن فالظريف ذكره ، أن العراقيين القدامى قد تصوّروا أنفسهم حديثي عهد بالحضارة والمدنية ، وأنهم كانوا وارثي ماض بعيد مجيد تخيلوه على أنه «عصر ذهبي» . كان السلام والوئام يسودان العالم فلا خوف ولاحزن ولا بغضاء ، وكان الخير والرفاه يعمّان البشر ، وهم يمجدون الإله انليل بلسان واحد[٦] . والجدير ذكره في هذا الصدد ، أن هذه الصورة المتخيّلة التي تصور زمنا كان الناس فيه أسعد وأرقى مما هم عليه في العصر الحاضر قد شاعت بين معظم الشعوب ، ولم تنتشر فكرة «التقدم» إلا في العصور الحديثة ، وهناك من أبناء العصر الحاضر من لايزال متعلقاً بفكرة «الماضي الذهبي» .

مصادر معرفتنا بأدب العراق القديم - النصوص الأدبية.

مصادر معرفتنا بأدب العراق القديم هي النصوص الأصلية المدوّنة بالخط المسماري على ألواح الطين ، مما جاء إلينا لحال التأريخ من التحريات الآثارية . وقد دون بعضها باللغة السومرية ، وبعضها باللغة الأكدية (البابلية والآشورية) . وسنوضح ظاهرة الازدواج اللغوي (bilin-gual) التي كانت تميّز حضارة وادي الرافدين ومدوّناتها المختلفة .

وهنا ، قد تتوارد الى ذهن القارئ بعض التساؤلات مثل : ما مقدار عدد الألواح التي تتضمن النصوص الأدبية بالنسبة الى عدد ما وصل إلينا من مجاميع ألواح الطين التي اكتشفت في بقايا المدن القديمة ؟ ثم ما المقصود بمصطلح النصوص أو «الألواح» الأدبية (Literary Texts) ؟ وللإجابة على مثل هذه التساؤلات بوجه الإيجاز نقول إن ما استخرج من ألواح الطين المختلفة الموضوعات أي التي تتضمن شؤون حياة القوم المختلفة تبلغ مئات الألوف ، وقد يناهز عددها المليون لوح ، وهي موزعة

الآن في المتاحف العالمية المشهورة . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا المقدار ، على كثرته ، لا يؤلف في الواقع سوى نسبة غير كبيرة مما لايزال مطموراً تحت أطلال المدن القديمة المنتشرة في شتى ربوع العراق وفي بعض الأقطار المجاورة التي اقتبست حضاراتها القديمة الخط المسماري من حضارة وادي الرافدين لتدوين شؤونها المختلفة ومعه الكثير من التراث الحضاري ومنه التراث الأدبي مثل العيلاميين في الجزء الجنوبي الغربي من إيران (بلاد عيلام القديمة أو عربستان أو خوزستان أو الأحواز الآن) . وكانت حضارتهم امتداداً لحضارة وادي الرافدين ، ومثل الحيثين في تركية والفرس الاخمينيين (٦٠٠ - ٣٣١ ق .م .) وبعض الأقوام القديمة في بلاد الشام مثل الأموريين في مملكة «ماري» (تل الحريري على الحدود العراقية السورية) ومملكة حلب (يمخد القديمة) و «ابلا» وغيرها ، وأوغاريت (رأس الشمرا التي مرّ ذكرها) .

أما تخمين عدد الألواح المدونة بالنصوص الأدبية الى عدد ما ذكرناه من مجموع ما جاء إلينا من ألواح الطين فإنه - كما ذكرنا - عدد قليل لا يتجاوز بضعة آلاف (لعله من بين الثلاثة الى الأربعة آلاف لوح) . بيد أنه لايمكن التكهن عما سيكشف عنه المستقبل من نصوص أدبية أخرى ستضيف الى معرفتنا الراهنة بأدب العراق القديم أشياءً مهمةً وكثيرةً . ولكن مع ذلك ، يمكن القول بوجه عام إن ما كشف عنه وتم درسه ونشره من نصوص أدبية الى الآن يعبر لنا عن المعدل العام أو الصورة العامة لهذا الأدب من حيث موضوعاته وخصائصه ، ومقوماته العامة المميزة .

ويمكن إجمال ما نقصده بالألواح الأدبية بأنها الألواح المدوّنة بالنصوص الكتابية التي لاتتعلق بتدوين شؤون الحياة الاعتيادية مثل المعاملات التجارية والقانونية والرسائل وغيرها . وينطبق على هذه النصوص الأدبية المفاهيم المتعارف عليها في النتاج الأدبي من حيث أسلوب التأليف اللغوي كوسيلة للتعبير الفني في نقل التجارب والخبرات والأحاسيس والصور الى القارئ أو السامع ، الى غير ذلك من الخصائص

التي يتميز بها النتاج الأدبي في جميع الآداب ، وفي مختلف العصور . ويمكن إيجاز ذلك في ثلاثة أمور هي :

١ - الموضوع أو الفكرة التي تعبر عنها القطعة الأدبية .

٢ - الأسلوب الأدبي الفني ، سواء أكان شعراً أم نثراً أدبياً ، المميز بطراز خاص من النظم والتأليف المؤثر في مشاعر القارى ، أو السامع .

٣ - اختيار الحوادث والمواقف المؤثرة بالنسبة الى مفاهيم وعرف الحضارة التي أنتجت الأدب المبحوث فيه(٧) .

أشهر الموضوعات الأدبية(٧)

ذكرنا فيما سبق أن أدب حضارة وادي الرافدين ، شعراً كان أم نثراً أدبياً ، قد تناول موضوعات عديدة كانت تشغل بال القوم في حياتهم العامة والخاصة ، وفي مقدمة ذلك نظرتهم الى الحياة والكون وأصل الوجود والأشياء والمجتمع البشري ومشكلاتهم وسلوك الأفراد والقيم الاجتماعية ، وحياتهم الروحية والعاطفية ، ولغز الموت والحياة ، وعالم ما بعد الموت والخلود ، ومسألة الخير والشر ، والعدالة الالهية (Theodicy) مع وجود الشر ، الى غير ذلك من الموضوعات التي لاتقتصر على كونها خيرَ ما يصور لنا حياة حضارة وادي الرافدين بجميع أوجهها ومقوماتها وفي أدوار ازدهارها وحيويتها وأزماتها وركودها . بل إنها كذلك على قدر عظيم من الأهمية في تاريخ تطور الانسان الفكري والروحي ، لأنها كانت ، كما ذكرنا ، أولى وأقدم محاولات من نوعها في تاريخ الجنس البشري عبّرت عن الخبرات الانسانية الأولى من بعد انتقال الانسان الى طور الحضارة والمدنية ، وكان ذلك قد تمّ لأول مرة في وادي الرافدين ووادي النيل في أواخر الألف الرابع ق .م . كما أشرنا الى ذلك من قبل .

ويمكننا أن نصنّف هذه الموضوعات في الأبواب والأصناف الآتية :

١ – الخليقة وأصل الوجود والأشياء : ويأتي في مقدمة هذا الصنف أصل الآلهة والأشياء وخلق الإنسان ، وأصل العمران والحضارة ، ويأتي معظم هذه المواضيع في علم الأساطير (Theology) تحت الموضوعين أو المصطلحين :

أ – أصل الكون والوجود .(Cosmogony)

ب – أصل الآلهة (Theogony)

٢ – الملاحم وأعمال الأبطال والآلهة وأشباه الآلهة ، أي ما يصطلح عليه « أدب الملاحم » (Epic Literature) وأحسن ما يمثل هذا الموضوع ملحمة جلجامش .

٣ – قصص الطوفان (Flood. Deluge)

٤ – أساطير عالم ما بعد الموت (Eschatology)

٥ – أدب الحكمة (Wisdom Literature) مثل الحكم والوصايا والنصائح والأمثال وموضوع الخير والشر والعدل الإلهي (Theodicy) .

٦ – أدب المفاخرة والمناظرة والحوار (Disputatin) (Dialogue) .

٧ – أدب السخرية والفكاهة (Satire) وقصص الحيوان (Fables)

٨ – أدب الرثاء (Lamentation) ، ولاسيما رثاء وندب تدمير المدن ومراكز العمران وسقوط السلالات الحاكمة .

٩ – أدب الغزل والحب (Love Literature)

١٠ – الصلوات والابتهالات والتراتيل والأدعية والترانيم (Prayers. Hymns etc.)

مادة الكتابة وأثرها في المدوّنات الأدبية

ونشوء الفهارس وفن المكتبات:

سيمر بنا في الكلام على ملحمة جلجامش أنها دونت على اثني عشر لوحاً من الطين ، وأن غيرها من النصوص الأدبية مثل أسطورة الخليقة البابلية جاءت إلينا مدونة على سبعة ألواح . . فما هي الأسباب التي دعت مدوني تلك النصوص التي تجزئتها على عدة ألواح ؟ وموجز الإيجابة على ذلك أن مادة الكتابة التي شاعت في حضارة وادي الرافدين وهي الطين الذي كان المادة الرئيسة في التدوين كان لها أثر حاسم في أشكال المدونات المختلفة ومنها النصوص الأدبية ، كما كان لها أثر في جمعها وتسلسلها وفهرستها . فعلى ما هو معروف ، لا يمكن تدوين نصوص مطولة على لوح واحد من الطين مهما بلغ حجمه ، حيث يتعذر تهيئة لوح واحد يتجاوز حجم الأجرة الكبيرة (نحو ٥٠ × ٥٠سم٢) على أكثر تقدير . أما في حالة الوثائق والعقود التجارية والرسائل وغيرها من شؤون الحياة الاعتيادية فكان لوح واحد متوسط الحجم يكفي لاستيعابها . وحلت قضية تدوين النصوص الأدبية والتأريخية المطولة بطريقتين :

١ - الطريقة الأولى : تدوين النص المطول في عدة ألواح ترتب على هيئة سلسلة متتابعة وتذييل كل منها بعنوان السلسلة العام مع رقم تسلسله وبداية السطر الذي يبدأ به اللوح التالي .

٢ - أما الطريقة الثانية فهي تدوين النصوص المطولة ولا سيما النصوص التأريخية مثل حوليات الملوك وسجلات أعمالهم العمرانية والعسكرية : فكان يتم استعمال ما يسمي بالمناشير (Prisms) والأساطين (Cylinders) وكانت هذه المناشير والأساطين كبيرة الحجم وتشوى أو تفخر ، وتستوعب - كما قلنا - مادة مطولة من الكتابة . ومع أن استعمالها كان معروفاً في بلاد بابل في العهد السومري المتأخر (منذ زمن جودية في أواخر الألف الثالث ق .م .) إلا أن استعمالها

بمقياس واسع ظهر عند البابليين والآشوريين في الأدوار المتأخرة من تأريخ العراق ، منذ القرن الثالث عشر والثاني عشر ق .م . ولم تستعمل إلا قليلاً في النصوص الأدبية ، وأشهر مثال على ذلك نصوص « جودية » الأدبية المدوّنة على الأساطين .

واستتبع اتباع الطريقة الأولى في تدوين النصوص ، أي تدوين النص وتوزيعه في عدة ألواح ، نتائج مهمة ، فأولاً كانت كل مجموعة من سلاسل النصوص الأدبية تحفظ في أوعية من الجرار أو الخشب أو السلال أو توضع في رفوف ، ويعلق في كل مجموعة عنوان السلسلة الذي يسجل في بطاقة أو لوح صغير من الطين .

ونتج عن هذا الأسلوب في حفظ النصوص الأدبية نظام الفهرسة والسجلات (الارشيفات Archives) وأقدم نظام للمكتبات التي كان يخصص لها أقسام مهمة في المعابد والقصور . وكان بعضها مؤلفاً من عشرات الألوف من الوثائق والسجلات ، وأشهرها مكتبة الملك الآشوري الشهير « آشور بانيبال » (القرن السابع ق .م .) في عاصمة الامبراطورية الآشورية « نينوى » ، ومكتبة المدينة الشهيرة « نفر » (بالقرب من عفك) ومكتبة معبد الآله « نبو » في « بورسبا » (برس نمرود الآن الى الجنوب من بابل بنحو ٣٠ كم) . وكان يطلق على المكتبة اسم « بيت الألواح » (في السومرية إي – دُبّا E - Dubba) كما يطلق على المدرسة . حيث كان الكثير من دور الكتب مراكز للتعليم وتلقّي المعرفة والاستنساخ . وكان يقوم على شؤون مثل هذه المراكز موظفون خاصون يطلق على أحدهم المصطلح السومري « دُمو – پيسان – دُبّا » (Dumu - Pisan - dub - ba)

أصل الكتاب:

وإذا كان الأسلوب الذي أشرنا إليه في حفظ ألواح الطين المحتوية على نصوص أدبية مطولة أصل نظام المكتبات وحفظ السجلات ونظام

الفهرسة ، فإن أصل الكتاب لايمكن أن يرجع الى ذلك الأسلوب . ولعله يمكن حصر أصل الكتاب في تاريخ الحضارة في أسلوبين من أساليب الكتابة اللذين اتبعا في الحضارات القديمة ، أحدهما أن الكتاب نشأ من استعمال ورق البردي في حضارة وادي النيل ، إذ المعروف مما جاء إلينا من هذا النوع من الورق أن لفات ورق البردي كانت تستوعب نصوصاً مطولة من الكتابة بحيث أن اللفة الواحدة يبلغ طولها بضعة أمتار .

ولعل مما يؤيد هذا الاحتمال في نشوء الكتاب أصل تسمية «الكتاب» في اللغات الأوربية المشتقة من الكلمة اليونانية «ببليون» (Biblion) ومنها تسمية المكتبة «ببليوتيكا» (Bibleotheca) و «ببليوغرافيا» (Bibleography) واسم التوراة «بايبل» (Bible) . فإن أصل الكلمة اليونانية مأخوذ من اسم المدينة الفينيقية «ببليوس» (جبيل) لأن اليونان كانوا يستوردون ورق البردي المصري عن طريق ميناء هذه المدينة .

أما الاحتمال الثاني عن أصل الكتاب فإنه يرجع ، إضافة الى ورق البردي ، الى ماكان يستعمله الكتبة الآشوريون في تدوين بعد النصوص المطولة على ألواح رقيقة من العاج أو الخشب من بعض طلي سطوحها بالشمع ثم الكتابة عليه . وقد عثر على جملة ألواح من هذا النوع وعليها آثار مفاصل من أسلاك النحاس لوصلها بعضها الى بعض ، فكان كل لوح منها بمنزلة صفحة كتاب ومجموع الألواح الموصولة بين دفتين يؤلف كتاباً بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح . وقد اكتشفت حديثاً نماذج منها في أثناء تنقيبات البعثة البريطانية في العاصمة العسكرية الآشورية «كالح – كلخو» (نمرود بالقرب من الموصل) ؛ ومما لاشك فيه أن نماذج كثيرة أخرى من هذه الألواح قد بليت بمرور الزمن فلم تصل إلينا[٨] .

والمعروف أن الكتبة الآشوريين استخدموا إضافةً الى ألواح الطين والألواح العاجية الرقوق الجلدية (Parchments) ، إما أنها كانت تدوّن بالخط الآرامي أو الخط المسماري ، كما يستدل من الصور المنحوتة في الألواح الحجرية .

أصل الطباعة:

ويمكن القول في هذا الصدد أن أصل الطبع والطباعة الحجرية قد بدأت أولياته في أساليب التدوين في حضارة وادي الرافدين ، فقد اشتهرت هذه الحضارة بما يسمى الأختام الأسطوانية (Cylinder Seals) المنقوشة بهيئة معكوسة بصور وكتابة كانت إذا دحرج الختم على لوح الطين وهو طري تترك طبعة واضحة ، إضافة الى استخدام القوالب الفخارية المنقوشة بكتابة نافرة معكوسة ، فإذا طمغ الأجر وهو لين ظهرت فيه أسطر واضحة من الكتابة المسمارية كما تشاهد في الآجر المختوم المنتشر في أطلال المدن المندرسة وفي الجدران والتباليط . وأكثر من ذلك استخدام قالب من الفخار أيضاً مدوّن بكتابة معكوسة ومطولة لغرض طبع عدة نسخ منها على ألواح الطين ، وقد وجدت نماذج لها في مدينة «سوسه» القديمة (عاصمة بلاد عيلام في الأحواز أو عربستان الآن) .

عناوين المؤلفات الأدبية وأسماء المؤلفين والكتاب والأدباء:

ومن النتائج التي استتبعت استخدام ألواح الطين لتدوين النصوص الأدبية والتأريخية المطولة أن الكتبة ، كما بيّنا ، كانوا يعنونون كلّ مجموعة أو سلسلة من السلاسل الأدبية الموزعة على عدة ألواح بعنوان مأخوذ من أول سطر أو عبارة في السلسلة أو بأول سطر أو شطر من القصيدة . فعنوان ملحمة جلجامش مثلاً «شانقبا إموروُ» (Sha naqba imuru) أي «هو الذي رأى كل شيء» مع إضافة عبارة : «سلسلة جلجامش» ، وفي البابلية «إشكّار جلجامش» (Esh-Gar Gilgamesh) وعنوان أسطورة الخليقة البابلية «حينما عيلش» (enuma Elish) أي «حينما في العلا» ، وعنوان شريعة حمورابي الشهيرة : «حينو آنُمُ صيرُم» (Iinu Anum) (Serum أي «حين آنو العظيم» . وعنوان ملحمة

« أترا – حاسس » التي تروي حدث الطوفان : « حينو إيلو أويلُم » (inu-nilu awilum) أي « حين الآلهة (كانوا) كالبشر » . وهناك أمثلة كثيرة أخرى من قطع أو نصوص شعرية سومرية ذات عناوين طريفة خاصة ، فعنوان أدب المفاخرة أو المناظرة في السومرية : « أدَمَنْ – دگ – گا (ADAMAN - DUG - GA) وهي عبارة طريفة تتألف من العلامة المسمارية التي تكتب بها كلمة رجل مكررة ورأس إحداهما يلامس رأس الأخرى ومن العلامة « دگ » (DUG) التي تعني « تكلم » أو « قال » . ونذكر أيضاً بعض القطع الشعرية التي تتصدّرها العلامة المسمارية « سِرْ » أو « شِرْ » (SIR) التي تعني الغناء أو الانشاد المضاهية للكلمة العربية « شعر » والكلمات الأخرى في اللغات العربية القديمة (السامية) وسنتطرق الى ذلك في كلامنا على الشعر ، وأشهر هذه القطع « سِرْ – نام – سپادّا – إنانا » (SIR - NAM - SIPAD - DA Inana) ومعناها الحرفي « ترانيم الرعاة للآلهة إنانا » (عشتار) . كما جاءت قصائد شعرية تتصدّرها الكلمة السومرية « أدَبْ » (ADAB) ، المضاهية للكلمة العربية « أدب » على أنه لايمكننا البت في العلامة الاشتقاقية ما بين الكلمتين[٩] .

ومما يجدر ذكره عن عناوين النصوص والقصائد الشعرية أن الكتبة القدماء قد عنوا بفهرستها ، وقد وجد من بين ألواح الطين التي عثر عليها المنقبون القدماء في مدينة « نفر » لوحان طريفان منها يتضمنان عناوين قطع أدبية سومرية ، أحدهما محفوظ الآن في متحف جامعة فيلادلفيا (في أميركا) ويحتوي على ٦٢ عنواناً ، والآخر في متحف اللوفر في باريس وهو يحتوي على ٦٨ عنواناً . وإذا أخرجنا ٤٣ عنواناً من العناوين المشتركة في اللوحين فيكون عدد العناوين المسجلة في اللوحين ٨٧ عنواناً لنصوص أدبية أمكن تعيين ٢٨ قطعة منها وجد أصلها الكامل في الألواح المكتشفة[١٠] .

أسماء المؤلفين والكتّاب والأدباء:

كثيراً ما يتوارد الى أذهان قرّاء النصوص الأدبية ، ومنها ملحمة جلجامش ، تساؤل مهم هو :

مَنْ كان أولئك الأدباء والشعراء اللذين خلفوا لنا تلك الروائع الأدبية مثل ملحمة جلجامش وغيرها ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل بوجه الإيجاز نقول : إذا استثنينا بعض الحضارات القديمة ، وبوجه خاص الحضارتين اليونانية والرومانية ، فإن القاعدة العامة في معظم تلك الحضارات ومنها حضارة وادي الرافدين أنه يندر ذكر أسماء المؤلفين من أدباء وكتّاب وشعراء(١١) . وأنه إذا جاء إلينا بعض النصوص الأدبية وهي مذيّلة بأسماء أشخاص فالغالب فيهم أن يكونوا نسّاخاً أو جامعين ، وقد يكون بعضهم ، ولا سيما في حالة النسخ الأدبية القديمة ، مؤلفي تلك النصوص أو منقحيها وجامعيها في أشكالها النهائية . . ولعله يمكن تفسير هذه الظاهرة في إغفال أسماء المؤلفين أن القسم الأعظم من النتاج الأدبي في حضارة وادي الرافدين قد نشأ ونما على هيئة تراث قومي شاركت في إنتاجه عدة أجيال من الشعراء والمنشدين والقصاصين ، ولم يتفرّد في إنتاجه أديب أو شاعر واحد . شأنه في ذلك شأن الملاحم القومية المشهورة والقصص الشعبية مثل ألف ليلة وليلة والإلياذة والأوديسة اللتين تنسبهما المآثر اليونانية الى الشاعر الأعمى « هوميروس » (القرن الثامن أو السابع ق .م .) .

ونذكر فيما يلي بعض الحالات القليلة التي يرجح فيها أن يكون الأشخاص المذكورة أسماؤهم في ذيل بعض النصوص الأدبية مؤلفي تلك النصوص :

١ – أحد جامعي ملحمة جلجامش الذي ورد اسمه في إحدى نسخ

الملحمة على هيئة «سين – ليقي – أونني» (Sin - Leque - Uninni)[١٢] وحيث العبارة :

«طبق سين – ليقي – أونني ، كاهن المَشمشُوُ»

والمرجح أن الصيغة النهائية التي وصلت فيها الملحمة إلينا كانت على يد هذا الكاتب الكاهن من حدود ١٢٥٠ ق .م .

٢ – مؤلف أسطورة «إله الطاعون البابلي إِيَّرا» (Erra) ، وقد جاء اسم هذا المؤلف بهيئة «كبتي – ايلاني – مردوخ» (Kabti - ilani - Mar-duk) ، ويذكر هذا المؤلف أن الإله «مردوخ» نفسه ظهر له في الحلم وأملى عليه القصيدة ، ولما استيقظ دوّنها دون أن يضيف إليها أو ينقص منها شيئاً .

٣ – كاتب ثالث يقترن اسمه بنص أدبي مشهور من صنف ما سميناه بالعدل الإلهي (Theodicy) ، وقد نظمت القصيدة على هيئة حوار طريف ما بين متشكك في العدالة الإلهية ، و عبد صالح تقي . وقد ذكر ناظم القصيدة اسمه بأسلوب من الصناعة الأدبية اللفظية التي يطلق عليها مصطلح (Accrostic) أو (Alleteration) . . وخلاصتها أننا إذا أخذنا المقاطع أو الأصوات الأولى من كل بيت في القصيدة وجمعناها بعضها الى بعض فإنها تؤلف اسم ناظم القصيدة مع مهنته ودعاء الى أحد الآلهة . ونص ذلك في هذه القصيدة :

«أنا ساگل – كينام – اويب» (Sagil - Kinam - Ubbib) الكاهن المعوذ وخادم الإله والملك[١٣] .

(٤) – مؤلف أو ناسخ لإحدى قصص الطوفان البابلية المعنونة «آترا – حاسس» أو «حين الآلهة مثل الإنسان» ، وقد جاء اسمه بهيئة «كو – آيي» ، من زمن أحد ملوك بابل الأولى المسمى «عمي – صادقا»[١٢] .

الميزات والخصائص العامة:

ومن الأمور العامة التي يجدر ذكرها في هذه المقدمة أن نمهد لقارئ الملحمة بصفتها تمثل أدب حضارة وادي الرافدين ، بالملامح والميزات العامة لذلك الأدب ، ونوجزها بالأمور الآتية :

أ - الازدواج اللغوي:

من الحقائق التأريخية المعروفة في تأريخ حضارة وادي الرافدين بجميع أدوارها أنها كانت من الناحية اللغوية « مزدوجة اللغة » أو ثنائية اللغة (Bilingual)[١٤] ، حيث اللغتان الشائعتان « السومرية » و « الأكدية » (البابلية والآشورية) ، واللغة الأكدية بمختلف لهجاتها وأدوار تطورها هي الفرع الشرقي مما يسمى بعائلة اللغات السامية (والأصح أن يقال عائلة اللغات العربية القديمة) ، وقد كان مركز هذا الفرع في بلاد وادي الرافدين وبعض الأقطار المجاورة ، حيث انتقل استعمالها مع الخط المسماري الى بلاد عيلام (الأحواز أو عربستان) وكذلك الى أقطار الشامية التي كانت لهجاتها من الفرع الغربي أو الشمالي الغربي من تلك العائلة . أما اللغة السومرية ، فكانت لغة السومريين الذين لايعرف عن أصلهم ومهدهم شيء سوى الحزر والتخمين وأمور سالبة مثل لغتهم بأنهم لم يكونوا من الأقوام السامية (العربية القديمة) ، كما أن لغتهم ليست من عائلة اللغات السامية ، ولا من العائلات اللغوية الأخرى المعروفة مثل عائلة اللغات « الهندية – الأوروبية » (Indo - European) أو عائلة « الأورال – الطاي » (التي منها لغات الشرق الأقصى واللغات التركية والتركمانية) رغم أن فيها أوجه شبه بها من حيث الظاهرة اللغوية التي تتميز بها السومرية ، وهي الالصاق (Agglutinative) . وكانت السومرية منذ ظهور التدوين في حضارة وادي الرافدين فيها لأول مرة في تأريخ العالم في أواخر الألف الرابع ق .م . اللغة السائدة في التدوين في تلك الحضارة على الرغم من وجود ما يطلق عليهم الساميون (الأكديون وغيرهم) في وادي الرافدين جنباً الى جنب مع

السومريين منذ بداية الاستيطان البشري في السهل الرسوبي في مطلع الألف الخامس ق .م . إن لم يكن قبل هذا الزمن . وكان الطابع السياسي والثقافي المميز في الأدوار القديمة من حضارة وادي الرافدين الثقافة السومرية بلغتها وأدبها ومعارفها المختلفة ، ولكن سرعان ما برز كيان الأكديين السياسي كما برزت لغتهم في التدوين في العصر الأكدي (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق .م .) أبان حكم السلالة التي أسسها سرجون الأكدي الشهير . ولكن سبق لعدة شخصيات حاكمة من الأكديين أن حكمت في سلالات سومرية شهيرة أقدمها سلالة «كيش» الأولى التي كانت أول سلالة حكمت من بعض الطوفان (بحسب جداول الملوك السومرية) ، كما يشير الى ذلك زهاء نصف أسماء ملوك تلك السلالة فإنها كانت أسماءً أكدية . وازداد التدوين باللغة الأكدية بالتدريج حتى أخذت تطغى على اللغة السومرية منذ مطلع الألف الثاني ق .م ، حيث انتهت حياة السومريين السياسية من بعد سقوط آخر سلالة منظمة منهم ، وهي سلالة «أور» الثالثة على أيدي الأقوام العربية القديمة من بلاد الشام ، وعرفوا بالقبائل الأمورية أو الكنعانيين (الشرقيين) ، وأسسوا عدة سلالات حاكمة في وادي الرافدين وبلاد الشام .

ولكن مع زوال السومريين من الناحية السياسية ، فقد ظلت لغتهم ، مثل اللاتينية في أوربة ، لغة العلم والثقافة ، المستعملة جنباً الى جنب مع البابلية والآشورية سواء أكان ذلك في استمرار تداول النصوص الأدبية والدينية والعلمية المدونة بالسومرية ، أم في استغمال المصطلحات السومرية الكثيرة في النصوص الأكدية الصرف ، بحيث يصح القول ، إنه لايمكن فهم النصوص المسمارية ومنها الأكدية إلا بمعرفة المصطلحات السومرية وقيم العلامات المسمارية السومرية . واستمر تعلّم اللغة السومرية من المستلزمات الثقافية لطلاب العلم والكتبة في جميع عهود حضارة وادي الرافدين الى نهاية حياة الخط المسماري في القرن الأول الميلادي .

واستتبع عن هذا الازدواج اللغوي في مدوّنات حضارة وادي

الرافدين بوجه عام ، والمدونات الأدبية بوجه خاص ، نتائج ثقافية ولغوية كثيرة لا مجال لاسهاب القول فيها في هذه المقدمات الموجزة . ويكفي أن نقول من ناحية الموضوع الذي في أيدينا إنه لايمكن فهم النصوص الأدبية في هذه الحضارة ما لم يحسب لهذا الازدواج اللغوي حسابه ، سواء أكان ذلك من ناحية ترجمة الكثير من النصوص الأدبية السومرية الى اللغة البابلية والآشورية أم من ناحية تأثر النتاج البابلي بأصول سومرية أم من حيث ما ذكرناه عن استعمال الكثير من المصطلحات اللغوية السومرية . والى هذا ، فهناك حقيقة سبق أن ذكرناها وهي أن الأكديين كتبوا لغتهم بالخط المسماري الذي اخترعه السومريون ، وكانت معرفة هذا الخط المعقد نوعاً ما وتعلمه على الأوجه الأكمل يتطلب الالمام بالكلمات السومرية وبقيم العلامات السومرية ، الأمر الذي استتبع عنه ظهور أقدم المعاجم اللغوية في تأريخ الحضارات لشرح المفردات السومرية والعلامات المسمارية المدونة بها في مفردات أكدية . وإن هذا يصدق بوجه عام على فهم جميع النصوص المسمارية الأخرى التي خلقتها حضارة وادي الرافدين .

الإعادة والتكرار واستباق النتائج:

ومن الخصائص العامة في أدب العراق القديم مما سيلاحظه القارئ واضحاً في ملحمة جلجامش وفي ملاحم أخرى ، مثل أسطورة الخليقة البابلية وغيرها ، ظاهرة التكرار والإعادة التي تبعث السأم والملل عند القارئ الحديث . فمثلاً إذا أرسل أحد الآلهة رسولاً ليبلغ أمراً ما الى إله أو شخص آخر فإن الرسول يعيد جميع الكلام الذي قاله الإله المرسل مهما بلغ طوله . والطريف ذكره بصدد هذه الظاهرة أن الباحثين المحدثين أفادوا منها فائدة كبيرة في الاستعانة بها لإكمال مواطن كثيرة قد انخرمت نصوصها في ألواح الطين . ويجدر أن نشير بمناسبة ذكرنا لهذا الخاصة أن أدب العراق القديم لاينفرد بها بل هي عامة في معظم الآداب العالمية القديمة وخير مثال على ذلك الملاحم اليونانية وفي

مقدمتها الإلياذة والأوديسة والمزامير (في التوراة) . وقد استند كثير من الباحثين الى ظاهرة التكرار والإعادة فأرجع أصل كثير من الملاحم الشعرية القديمة الى الرواية الشفوية والإنشاد ، حيث كان المنشد يستعين بالتكرار ليستعيد الى ذاكرته ما سينشده من أبيات تالية . وشبيه بالملاحم القديمة الملاحم الشعرية التي شاعت في أوروبا في القرون الوسطى والتي كان الكثير منها يروي أحداثاً تأريخية ، وهو ما عرف في الأدب الفرنسي القديم بمصطلح «أغاني التأريخ» أو «الأغاني التأريخية» (Chansons de geste) أي القصائد أو الأغاني التي تستند الى الحوادث التأريخية كأعمال الأبطال والحروب والوقائع .

وإضافةً الى هذه الميزة ، سيجد القارئ لملحمة جلجامش ظاهرة أخرى يصحّ أن نطلق عليها «استباق الأحداث أو استباق النتائج» (Anticipation) حيث يشار في مقدمة الملحمة الى ما ستتمخض عنه الرواية وإلى الحل والنهاية . ففي ملحمة جلجامش مثلاً تبدأ الرواية بديباجة في التعريف ببطل الملحمة والتغنّي بأمجاده ، وتوجز كذلك موضوع الرواية وخاتمتها . ولعله يمكن تفسير هذا الأسلوب الروائي ، أن القصد منه تحريك السامع وتشويقه الى تتبع أحداث الرواية ، كما يمكن مضاهاة هذا الفن القصصي القديم بأساليب العرض السينمائي الحديث ، حيث يبدأ بعض الأفلام بلقطة من خاتمة الرواية أو بحدث من أهم أحداثها ثم يتوالى عرض أحداث الرواية بالتسلسل ، وينتهي بالمشهد الذي بدأ به . واستناداً الى هذه الظاهرة ، فإن حقيقة كون بداية ملحمة جلجامش أو ديباجتها مضاهية لخاتمتها دليل على أن النصوص التي وصلت إلينا منها تمثّل الملحمة كاملة تقريباً .

الشعر والنثر الأدبي:

نظمت ملحمة جلجامش بالشعر البابلي ، وكذلك كان الحال في معظم النصوص الأدبية الأخرى ، مثل أسطورة الخليقة البابلية والنصوص

السومرية التي جاءت إلينا بالشعر السومري ، ولذلك يحسن بنا أن نوجز في هذه المقدمة ما نعرفه عن الشعر في أدب حضارة وادي الرافدين .

وقبل أن نتكلم عن الشعر في هذه الحضارة ، ولاسيما الشعر البابلي ، يجدر أن نذكر أن الباحثين يجمعون على أن الشعر كان أقدم مازاوله الإنسان من الفنون الأدبية ، كما يرجح كثيراً أن أصل الشعر كان من الغناء والانشاد الشعبي ، ومما يقوي هذا الرأي أن الكلمة التي تطلق على الشعر في أدب حضارة وادي الرافدين وهي كلمة «شيرو» البابلية و «سيرْ» أو «شِر» (SIR) السومرية التي ظهرت في نظام الكتابة المسمارية منذ أول ظهور الكتابة تعني في أصلها الغناء والانشاد والترنيم . ولا يمكن الجزم هل أن أصل كلمة الشعر السومرية (سرْ أو شرْ) مأخوذة من الكلمة البابلية «شيرو» (شرو) أو العكس هو الصحيح . على أنه مما يؤيد الأصل البابلي أن هذا المصطلح اللغوي موجود في جميع اللغات العربية القديمة (السامية) مثل «شير» العبرانية و«شور» الآرامية (وكلها فقدت حرف العين) ، ومن ذلك المصطلح العبراني «شير هَشَّريم» (نشيد الانشاد المنسوب الى سليمان في التوراة) . ومن قبيل ذلك ، ما جاء في المآثر العربية عن أصل العروض والوزن في الشعر أنه من الغناء وحداء الأبل ، والمصطلح الأدبي المألوف في رواية الشعر : «وأنشد فلان . . . . .» .

والشعر في أدب حضارة وادي الرافدين - سواء أكان سومرياً أم بابلياً - مثل أنماط الأشعار عند الأمم القديمة والحديثة ، كان يخضع لفن خاص من النظم والتأليف على ما سنبينه بعد قليل . وسيكون كلامنا مقتصراً بالدرجة الأولى على الشعر البابلي ، أي الشعر الذي نظمه شعراء العراق القديم باللغة الأكدية (البابلية والاشورية) ، أخت اللغة العربية ، إذ هي من اللغات العربية القديمة ، ذلك ، لأن معرفتنا باللغة البابلية وشعرها أكمل وأوفى من معرفتنا بالشعر السومري ، لأن الباحثين المختصين مازالوا غير مطمئنين الى لفظ أصوات الكثير من

المفردات السومرية على الرغم من معرفتنا بمعانيها . ولذلك ، فلا يمكن الوقوف على أوزان الشعر السومري بوجه مضبوط بحسب معرفتنا الراهنة . على أن الحال يختلف بالنسبة الى اللغة البابلية وشعرها بسبب ما ذكرناه عن وشائج القربى القوية ما بين اللغة البابلية وبين أخواتها من اللغات السامية المعروفة التي لايزال بعضها محكياً ، وفي مقدمتها العربية والعبرانية والآرامية وغيرها .

وإذا تجاوزنا مناقشة ماهو الشعر وما هي أسسه ومقوماته ولا سيما في الاتجاهات الأدبية الحديثة ، فإننا نسير في تحديد مفهوم الشعر في النصوص الأدبية التي جاءت إلينا من حضارة وادي الرافدين على الأسس والمبادئ المأثورة (الكلاسيكية) المتبعة في دراسة الآداب العالمية وتصنيفها الى شعر ونثر أدبي ، ولاسيما الأسس الآتية :

١ – وجود الإيقاع الخاص أي الوزن أو العروض .(Meter. Rhythm)

2 – اتباع نظام خاص في تأليف هذا الكلام الموزون من حيث تقسيمه الى وحدات صغيرة وضم هذه الوحدات في مجموعات أكبر منها كالبيت والبيتين والأربعة أبيات والقصيدة .

٣ – انتقاء مفردات لغوية خاصة بلاغية ، أي ما يسمى بالألفاظ الشعرية من حيث الجرس اللفظي والمعنى بالنسبة الى مقاييس اللغة التي ينظم فيها الشعر . ويدخل في هذا تركيب خاص في الكلام يختلف عن الاستعمالات المتبعة في النثر .

٤ – الموضوع والمحتوى الذي يتناوله الشعر والتعبير عن ذلك بتعابير مؤثرة في السامع أو القارئ .

٥ – أما المبدأ الخامس وهو القافية (Rhyme) فلم يلتزم به في شعر حضارة وادي الرافدين ، فكان هذا الشعر ، سواء أكان سومرياً أم بابلياً ، موزوناً ولكنه غير مقفى . والقافية ، على ماهو معروف ، ليست من الشروط الأساسية في الشعر ، فهناك أنماط من الأشعار العالمية القديمة

والحديثة لم تلتزم بالقافية . مثل الشعر اليوناني والعبراني واللاتيني ، وما يسمى في الأدب الانكليزي بالشعر المرسل (Blank Verse) مثل الكثير من شعر شكسبير .

العروض في الشعر البابلي:

يعتمد الوزن ، أي العروض ، في الشعر البابلي ، مثل أشعار بعض الأمم الأخرى ، كالشعر العربي واليوناني واللاتيني وغيرها ، على مبدأ تجزئة الكلمات الى مقاطع (Syllables) التي تتناوب ما بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة ، أي بحسب مصطلحات العروض العربي «الأوتاد» و «الأسباب» ، التي أساسها الحركة والسكون[١٥] ، وفي بعض الأشعار الأخرى النبرات أي التشديد أو التخفيف accented. unaccented وبجمع عدة مقاطع يتألف مايصطلح عليه في الشعر العربي «التفعيلات» أي مايضاهي (Foot) في الشعر الانكليزي . ثم بجمع عدة تفعيلات يتكون شطرا البيت . وعلى هذا الشكل ، جاء إلينا الشعر البابلي مدوّناً على ألواح الطين . وقد يترك الكتبة فواصل ما بين شطري البيت أي ما بين الصدر والعجز ، وما بين الوحدات الشعرية الأكبر في بعض الأحايين .

أما عدد بحور الشعر البابلي[١٦] ومضاهاة هذه البحور لأوزان الشعر العربي ، فإنه موضوع بحث خاص وطريف وجدير بالدرس من جانب العروضيين العرب . ويكفي في هذه المقدمة التمهيدية أن نورد بعض الأبيات من القصائد البابلية الشهيرة . نثبتها بلفظها البابلي بالحروف اللاتينية والعربية وترجمتها الى العربية :

١ - البيتان الأولان من قصيدة أسطورة الخليقة :

enuma elish la nabu Shamamu

shaplish ammatum shuma la zakrat

وبالحروف العربية في محاولة ارجاع الأصوات المفقودة من البابلية والمرادفة للعربية :

حيُمَّا عِيلشْ لا نَبوُ شَمَامُو

شاپليش أمّتُمْ شُومَا لا زَكُرَة

وترجمتها : «حينما في العلى لم ينبأ عن السماء (لم تُسمَّ باسم)» «وفي الأسفل لم تذكر الأرض باسم(١٧) .

٢ - ونأخذ مثالاً آخر من ملحمة جلجامش ، وهي الأبيات المتضمنة خطاب صاحبة الحانة الى جلجامش مبيّنة له عبث ما يسعى إليه من نيل الخلود :

Sabitum ana shashum izakkara ana Gìlgamesh

Gilgamesh esh Tadal

baltam sha tasahhura la tuttal

inuma ilani ibnu awilitam

matam ishkunu ana awilitim

baltam ina qatishunu issabtu

atta Gilgamesh lu mali karashka

urri u mushi hiddadu atta

وتأدية أصواتها بالحروف العربية

سابينم أنّا شاشم ازكّرا . أنا جلجامش

جلجامش ايش تَدَال

بَلْطَمْ شا تسخورا لاتُتّا

حنّما ايلاني ابْنُو أويليتَمْ

مآتِم اشكُونُو أنا أويليتِمْ
بَلطَمْ أنا قاتيشوتو اصبطو
أتَّا جلجامش لُو مَلِئيْ كرشْكا
اورى وموشي خدادو أتّا
وترجمتها :
قالت الـ «سابيتم»[١٨] (صاحبة الحانة) لجلجامش :
يا جلجامش أي شيء تسعى إليه ؟
الحياة التي تنشد لن تجدها
حينما خلقت الآلهة البشرية
قدّرت الموت على البشرية
وضبطت الحياة بأيديها
وأنت يا جلجامش ليكن كرشك مملوءاً
وافرح ليل نهار

٣ – ونورد نموذجاً ثالثاً من خطاب جلجامش الى الصياد حين أمره أن ينطلق الى «انكيدو» ويصطحب معه بغياً لإغرائه واستدراجه من البادية الى مدينة الوركاء حيث يحكم جلجامش :

alik sayyadi itta - ka harimtum shamhat uruma

enuma bulam ishaqu ana mashqe

shi lishhut lubushi-shama lipta quzubsha

immarshima itihha ana shashi

inakkrsha bulshu sha irbu eli serishu

وفي الحروف العربية :

الكْ صيّادي اتيَكا خارِ مُتُمْ شَمخة أرووما

حيُما بُولِمْ اشاقو أنا مَشقى

شي لِشخَطْ لبو شيِشاما للِفْتَح قُضبُشْا

امّار شيما اطيخا أنَا شاشي

انكرِّ شُو بُو لوشا ارْبُو عيلى صيرشو (صَحْريشَو)

وترجمتها :

انطلق يا صيادي واصطحب معك بغيا مومسا

جينما تأتي ليسقي الحيوانات من المسقى (مورد الماء)

لتخلع لباسها وتكشف (تفتح) عن عورتها

فإذا ما رآها وقع عليها (طاح عليها)

وعندئذ ستنكره حيواناته التي ربيت في صحرائه .

ونختتم هذه الملاحظات الموجزة عن الشعر البابلي بذكر بعض الأمور الأخرى الموضحة مما يتعلق بأسلوب تأليف الشعر وأجزائه . فبعد تأليف البيت الواحد بجمع عدة «تفعيلات» ، كما ذكرنا ، كان الناظمون يجمون عدة أبيات لتأليف وحدات شعرية أكبر ، بعضها من بيتين (دوبيت Couplet) أو أربعة أبيات (الرباعيات quartet) وبعضها من أكثر من أربعة أبيات مثل الدور أو الموشح (stanza) .

والغالب ، أنهم كانوا يراعون في هذا التأليف والجمع وحدة المعنى ، مثل توضيح فكرة خاصة أو تكميلها أو توكيدها . فقد يكون معنى البيت الثاني في «الدوبيت» مكملاً أو موضحاً لمعنى البيت الأول أو رجعاً وصدى لمعناه كما في البيتين التاليين من ملحمة جلجامش :

« صرخت عشتار كالمرأة في الولادة »

« انتحبت سيدة الآلهة بصوت شجي »

وقد يكون من المفيد أن نورد هذين البيتين بلفظهما البابلي في الحروف اللاتينية والعربية :

isishshi lshtar kima aliddi

unamba belit ilani tabat rigma

وبالحروف العربية :

« اسشَي عشتار كما آليدّى

أونَمبَا بعلة ايلاني طابت رِگمْا »

أو أن يكون البيت الثاني مغايراً أو مفارقاً لمعنى البيت الأول تمهيداً لتدرج موضوع القصيدة العام ، والمثال على ذلك البيتان الأولان من أسطورة الخليقة اللذان استشهدنا بهما في شرح عروض الشعر البابلي أي :

« حينما في العلى لم يُنْبَأ عن السماء »

« وفي الأسفل لم تذكر الأرض باسم » .

وللمثال على وحدة المعنى في الأبيات الأربعة أي الرباعيات ، نقتبس الرباعية التالية من أسطورة الخليقة ، وهي الأبيات التي جاءت على لسان الآله « أبسو » ، زوج الآلهة « تيامة » في تبرير عزمه على القضاء على أبنائه من جيل الآلهة الحديثة ، إذ يقول :

« أمرضتني أعمالهم (ثقلت أعمالهم علي)

« فلا أستريح نهاراً ولا أستطيع النوم في المساء

« لاقضين عليهم وأضع حداً لأعمالهم

« لكي يعمّ السكون فنستطيع النوم

وبلفظها البابلي بالحروف العربية :

«امترض ألكُات – سونو عليا

أورًا لا شبشُوخَاك موشُي لا صَلأَك

لُشْخَالق – ما ألكات – سونو لو شَيِّك

قولو لِشَّاكِنْ اى نِصْلاَلْ نِينُو (نحن)

وإضافةً الى ما سبق أن أوجزناه من الخصائص الأساسية التي تميز الشعر البابلي كالعروض وطريقة التأليف والجمع والتعبير اللغوي الخاص ، فإن هذا الشعر يشارك الأشعار العالمية الأخرى في الخاصية الأخيرة أي اختيار الألفاظ الشعرية المعبِّرة . ولكل لغة ، على ما هو معروف ، مفرداتها وألفاظها واستعمالاتها الشعرية المتعارف عليها بين أبناء تلك اللغة . وعلى ما هو معروف أيضاً في الشعر العربي ، يتميز الكلام في الشعر في نمط تركيبه عن الأسلوب المتبع في النثر ، ومن ذلك التحرر قليلاً أو كثيراً من الالتزام بقواعد التركيب في لغة النثر والتحلل من الكثير من قيوده ، كالتقديم والتأخير في أجزاء الكلام لإحداث الانطباع أو التأثير الشعري الخاص ، ولضرورة الوزن ، وقد قيل «يجوز في الشعر ما لا يجوز في النثر» .

وهنا قد يتساءل القارئ كيف نستطيع أن نميز التراكيب والمفردات الشعرية في أدب العراق القديم ، وقد مضى على النتاج الأدبي الذي جاء إلينا من القوم قرون كثيرة من السنين تبعدنا عن تفهّم أذواق ذلك العصر اللغوية الأدبية ؟ إن هذا التساؤل يمكن أن يثار أيضاً بالنسبة الى أشعار الكثير من الأمم القديمة الأخرى ، والإجابة عليه بوجه الإيجاز ، إن التعرّف التام على لغة تلك الحضارة والإلمام بأسرار أساليبها اللغوية واتباع منهج المقارنة بين الأساليب النثرية وبين الأساليب الشعرية فيها ، كلّ هذا يمكّن الباحث المختص أن يميز ما بين الأسلوبين الشعري والأسلوب النثري الاعتيادي المستخدم في النصوص الكتابية الأخرى مما

جاء إلينا من مدونات حضارة وادي الرافدين .

ولعل أوضح مثال نختاره لتوضيح هذا الأمر الاستشهاد بنصوص وثيقة تأريخية مشهورة في تاريخ العالم ، هي شريعة حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق .م .) . والسبب في هذا الاختيار أننا نجد في الوثيقة نفسها الأسلوبين الشعري والنثري وهما مستعملان فيها . فكما هو معروف ، تنقسم هذه الشريعة الى ثلاثة أقسام مميزة هي : (١) مقدمة الشريعة (Prologue) (٢) مواد الأحكام القانونية (٣) خاتمة الشريعة (Epilogue) . ففي القسم الثاني ، أي القسم المخصص لمواد الأحكام ، تقف على أسلوب الصياغة النثرية ، من حيث الالتزام بمبادئ تأليف الكلام وفق قواعد اللغة الأكدية في عصرها البابلي القديم (الألف الثاني ق .م .) . ويجدر أن نذكر بهذه المناسبة أن العرف الجامعي جرى في تدريس مبادئ اللغة البابلية للمبتدئين بتدريسهم هذه الشريعة من الناحية اللغوية حيث الانتظام والاطراد في التزام قواعد هذه اللغة . وبالمقابلة مع الأسلوب اللغوي الخاص بقسم مواد الأحكام من الشريعة نجد لغة القسمين الآخرين ، أي المقدمة والخاتمة ، تسودها التعابير الشعرية المؤثرة . وبعبارة أخرى دوّنت مقدمة شريعة حمورابي وخاتمتها بأسلوب النثر الأدبي أو الشعري الذي لايلتزم بالوزن والعروض ، كما لايتقيد بما ذكرناه من أساليب النظم الشعري من حيث الجمع في وحدات كالبيت والبيتين والأربعة أبيات .

وإضافة الى ما استشهدنا به من مقدمة شريعة حمورابي وخاتمتها بكونهما نثراً شعرياً ، خلف لنا أدباء العراق القديم نصوصاً أخرى في النثر الشعري أو النثر الأدبي تفوق في روعة أسلوبها وتعبيراتها المؤثرة ووصفها التصويري الكثير من القطع الشعرية الصرف . ومن قبيل هذه النصوص ما يسمى بالنصوص الملكية (Royal Inscriptions) ولاسيما حوليات الملوك وأخبار حملاتهم الحربية ، فقد حوى الكثير منها قطعاً أدبية أجمع النقاد على أنها ، كما بيّنا ، من أروع ما خلفته الآداب

القديمة في براعة الوصف والتصوير ، مثل وصف الأماكن والمشاهد الطبيعية كالجبال والغابات والأهوار والبوادي والصحارى ، والتصوير البارع لاحتدام القتال والمعارك واشتراك الآلهة في القتال في بعض تلك المعارك على غرار مانقرؤه في الملاحم البطولية في الأدب اليوناني .

ولا يسعنا في هذه المقدمة الموجزة ايراد تراجم لبعض القطع الأدبية في النصوص التي أشرنا إليها ، فنكتفي على سبيل الاستشهاد بذكر وصف إحدى المعارك الواردة في كتابات الملك الآشوري «سنحاريب ٧٠٤ - ٦٨١ . ق .م» وهو وصف يفوق في روعته وبراعته شعر اسطورة الخليقة في وصف النزال ما بين الإله «مردوخ» والآلهة «تيامة» . ونستشهد أيضاً بالوصف المؤثر الوارد في أخبار ما يسمى بالحملة الثانية للملك الآشوري سرجون (٧٢١ - ٧٠٥ ق .م .) على بلاد أرمينية وأذربيجان ، ووصف البوادي والصحارى ورهبتها وحيواناتها الغريبة الوارد في أخبار حملات الملك الآشوري «اسرحدون» (٦٨٠ - ٦٦٩ ق .م .) على بعض القبائل العربية في بلاد الشام[١٩] .

وقد اعتاد الملوك الآشوريون أن يصطحبوا في حملاتهم الحربية إضافة الى المهندسين وآلات الحرب والعربات الحربية الضخمة ، عدداً من الكتّاب لتسجيل سير المعارك . و أولئك الكتّاب الأدباء المجهولة أسماؤهم هم الذين خلفوا لنا تلك القطع الأدبية الرائعة في النثر الأدبي أو الشعري . وقد صوّر بعض أولئك الكتّاب ، في المنحوتات الآشورية المشهورة التي مثّلت الحملات الحربية وانتصارات الجيوش الآشورية .

ولم ينفرد الكتبة الآشوريون في براعة وصف المعارك والقتال فزملاؤهم من الكتبة البابليين خلفوا لنا أيضاً نماذج من النثر الشعري في تصوير زحف الجيوش وأهوال السير واحتدام المعارك ، نذكر على سبيل المثال الحملة الحربية التي دونها الملك البابلي «نبوخذنصر» الأول (١١٢٤ - ١١٠٣ ق .م .) في غزوه بلاد عيلام . وقد دوّنت أحداثها فيما يسمى أحجار الحدود (كدّرو Kudurrlu)[٢٠] ، وقد تضمن النص

إضافة الى القطائع والامتيازات التي منحها هذا الملك الى أحد قواده المسمى «رتي – مردوخ» ، وصفاً أدبياً ممتعاً نقتبس منه العبارات التالية :

«من دير(*) مدينة الإله «آنو» المقدسة ، قفز مسافة ثلاثين «بيرو» (ساعة مضاعفة) ، وسار في الطريق في شهر تموز . لقد احترقت النصال وتوهجت كأنها النار . وتوهجت أحجار الطريق كأنها الأفران الحامية . جفت الآبار وترنح حتى الأبطال الشباب . ورغم ذلك سار في الطريق قدماً الملك المختار ، المصطفى والمسند من الآلهة . أجل حث الخطا نبوخذنصر الذي لايضارعه أحد . . . الخ» .

(*) – مدينة (دير) ، وتدعى أيضاً (دور – ايلو) ، مدينة مشهورة في تاريخ العراق القديم ، تقع بقاياها الآن بالقرب من بدرة على الحدود العراقية – الايرانية (الحدود البابلية – العيلامية القديمة) . وتعرف خرائبها الآن باسم «تلول العقر» ، في ضواحي بدرة .

ثانياً: التعريف بالملحمة وبطلها

مكانة الملحمة في أدب الملاحم العالمي:

بعد أن أوجزنا مكانة أدب العراق القديم في تاريخ الآداب العالمية ، وخصائصه ، ومميزاته العامة ، نتناول في القسم الثاني من هذه المقدمة ملحمة جلجامش التي هي أحسن نموذج يمثل لنا هذا الأدب ، فنورد بعض الملاحظات العامة عنها قبل تقديم ترجمة نصوصها ، ليكون فهمنا وأدراكنا لها أدق وأوفى .

— ملحمة جلجامش ، التي يصحّ أن نسميها أوديسة العراق القديم ، يضعها الباحثون ومؤرخو الأدب المحدثون بين شوامخ الأدب العالمي . ولعلني لا أبالغ إذا قلت إنه لو لم يأتنا من حضارة وادي الرافدين ، من منجزاتها وعلومها وفنونها شيء سوى هذه الملحمة لكانت جديرة بأن تبوأ تلك الحضارة مكانة سامية بين الحضارات العالمية القديمة . وإذا تذكرنا ما سبق أن ذكرناه في معرض مقارنة قدمها بأقدم النماذج الأدبية من الآداب العالمية الأخرى ، أدركنا أن ملحمة جلجامش أقدم نوع من أدب الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات ، والى هذا ، فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتهاحضارات العالم القديم ، وليس مايقرن بها أو ما يضاهيها من آداب الحضارات القديمة قبل الألياذة والأوديسة في الأدب اليوناني(٢١) .

ومع أن هذه الملحمة قد دوّنت قبل ٤٠٠٠ عام وترجع حقبة حوادثها الى أزمان أخرى أبعد ، فإنها في مجالها ومداها وأغراضها والمشكلة التي عالجتها وقوة شاعريتها كل ذلك يجعلها ، مثل الآداب العالمية الشهيرة ، ذات جاذبية انسانية خالدة في جميع الأزمان والأمكنة ، لأن القضايا التي أثارتها وعالجتها لاتزال تشغل بال الإنسان وتفكيره وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية ، مما يجعل مواقفها مثيرة تأثر القلوب . فإنه سيتضح للقارئ بعد الوقوف على نص الترجمة أن هذه الملحمة البطولية الخالدة قد عالجت قضايا إنسانية عامة مثل : مشكلة الحياة والموت ، وما بعد الموت ، والخلود . ومثّلت تمثيلاً بارعاً مؤثراً ذلك الصراع الأزلي بين الموت والفناء المقدّرين وبين إرادة الإنسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة للخلود . أي أنها تمثل هذه «التراجيدي» الإنسانية العامة المكررة .

أجل شغلت الملحمة بفكرة أو موضوع أساسي هو البرهان بأسلوب مؤثر على حتمية الموت على البشر حتى بالنسبة الى بطل مثل جلجامش الذي كان ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية ، لأن الآلهة ، كما جاء في الملحمة ، قد استأثرت بالحياة ، وقدّرت الموت من نصيب البشرية . ولكن أليس هذا من البدهيات لدى جميع البشر ؟ أليست حقيقة الموت لاتزال تتكرر ليل نهار في حياة الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض قبل أكثر من مليون عام ؟ إذاً فما وجه الجدّة والأصالة في عرض مسألة الحياة والموت والبرهنة على حتمية الموت في ملحمة جلجامش ؟ الواقع إن ظاهرة الموت المتكررة المعادة رغم كونها من البدهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي إلا أنها مازالت لغزاً محيّراً لعاطفة الفرد وأحاسيسه ورغباته وغرائزه الحياتية ، وهي موضع حيرة أليمة في قرارة كل نفس بشرية ، وتزداد عقماً وألما كلما شارف الإنسان على أبواب الشيخوخة . إنها تتمثل على هيئة صراع بين إرادة الإنسان بتشبثها بالحياة وبين تلك الحقيقة

البدهية بالنسبة للعقل والمنطق . وفوق هذا ، فإن الملحمة تسمو على مجرد البرهنة على حتمية الموت . فهي تتناول مسألة أخلاقية كبرى شغلت تفكير الإنسان منذ أقدم الأزمان . فإذا كان الموت محتماً ، وإذا تعذّر على الإنسان نوال الحياة الخالدة سواء كان بالتغلب على الموت أو بوجود حياة أخرى بعد الموت (وهي فكرة لم تكن واضحة بل منتفية لدى العراقيين الأقدمين ، وعدم تطرق الملحمة إليها من بين الأدلة الكثيرة على ذلك) فما ينبغي على الفرد أن يسلك في هذه الحياة ؟ ينبذها ويفرّ منها ويطلق هذا العلم ويفنى في «النزفانا» ؟ أم يسلك سبيل اللذة والتنعّم في هذه الحياة كما جاء على لسان صاحبة الحانة في الملحمة ؟ أم يقبل تحدي قانون الحياة والطبيعة ويذعن لما ليس منه يد فيضبط زمام النفس ويقوم بتلك الأعمال التي تخلّده بعد حياته كما فعل بطل الرواية بعد رجوعه يائساً من مغامراته في سبيل الحصول على الخلود ؟ إن هذه القضايا الكبرى تؤلف موضوع الملحمة الأساسي . وقد وضعت لها الحلول المنسجمة مع العقائد الدينية والأحوال الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع قبل أربعة آلاف عام ، ومن ذلك الإقبال على هذه الحياة واستغلالها الى أقصى حدود الاستغلال الفردي وإنجاز الأعمال التي تخلد الفرد ولسان حالهم يقول : «والذكر للإنسان عمر ثان» . ويجدر أن نذكر بهذه المناسبة أن مؤلف الملحمة لم يشأ أن يحل مشكلة موضوع الرواية في خلود ذكرى الفرد عن طريق ما يخلفه هذا الفرد من أبناء وذرية ، وجلجامش ، كما هو معروف من النصوص التاريخية ، كان له ابن حكم من بعده في الوركاء في سلالتها الأولى . ولعل القارئ يتفق معي أن حل عقدة الرواية عن هذا الطريق لايضاهي في قوته وأثره الحل الذي أوردته الملحمة في القيام بالأعمال التي تخلد ذكر الفرد لدى الأجيال ، وتعوضه عن الخلود الجسدي أو المادي ، وتجعل روحه تنال الراحة والطمأنينة في عالم الأرواح «العالم الأسفل» بحسب عقيدة العراقيين القدماء .

ولم ينفرد سكان العراق القدماء باهتمامهم بمسألة الحياة والموت بل عالجت هذه القضية آداب أمم وأقوام كثيرة في مختلف العهود والأزمان . فنجدها متغلغلةً في مآثر اليونان الأدبية ، ونجد على سبيل المثال في الأدب العربي قصصاً طريفة عن أخبار المعمّرين وأخبار الكثيرين من الأبطال الذين ركبوا الأخطار والمغامرات لنيل الخلود والبقاء ، كقصة لقمان الحكيم وذي القرنين والخضر والتائه وتبع الأوسط وشمر يرعش وقيس بن زهير ، وقد نسب لبعضهم الخلود المطلق مثل الخضر كما نسبت لبعضهم الآخر أعمار طويلة مثل لقمان الذي عاش سبعة نسور كان آخرها «لبد» الذي انتهت حياة لقمان بموته .

وإضافةً الى تلك القضايا الإنسانية الكبرى التي تناولتها الملحمة سيجد القارئ لها أنها تزخر بصور رائعة لمواضيع انسانية حساسة . فهناك الحب والصداقة والبغض والحقد والأماني والحنين الى الذكريات والبطولة والرجولة والمغامرات والرثاء . ولعل أبلغ رثاء في تأريخ الحب والصداقة نجده في رثاء جلجامش المؤثر لصديقه وخلّه «انكيدو» وبكائه عليه .

وأخيراً وليس آخر ، فإن الملحمة على جانب كبير من الأهمية في تصويرها تصويراً مؤثراً جوانب مهمة من حضارة وادي الرافدين ، فهي لدارس هذه الحضارة منجم زاخر لاستقاء أوجه ومقومات أساسية عن أحوال العراق القديم ، كعقائد القوم الدينية وآلهتهم وآرائهم في الحياة والكون وأحوالهم الاجتماعية وجوانب مثيرة من حياتهم العاطفية وعلاقاتهم الاجتماعية وتركيب أقدم مجتمع في تاريخ العمران البشري . كما يجد صورة ممثلة عن البداوة المتاخمة لحضارة وادي الرافدين وكيفية تدرّجها ودخولها في تلك الحضارة ، وفضائل تلك الحضارة ورذائلها ، ونعني بهذه الصورة ما سيجده القارئ في سيرة بطل الملحمة الثاني وهو «أنكيدو» ، صاحب جلجامش .

انتشار الملحمة في حضارات العالم القديم:

وإذا كانت الملحمة لاتزال تؤثر بمواقفها وحوادثها في أبناء العصور الحديثة بعد مضي أكثر من أربعة آلاف عام على تدوينها ورغم تباين الأذواق والقيم ، فكم يا ترى كان عظم تأثيرها في عقول العراقيين الأقدمين بوجه خاص ، وأبناء الحضارات المجاورة التي ازدهرت في أقاليم الشرق الأدنى بوجه عام!

ولعل خير ما يكشف لنا عن أثرها الكبير في عقول أبناء الحضارات القديمة المدى الواسع الذي انتشرت فيه في العالم القديم . فبالنسبة الى سكان العراق الأقدمين ، لم يقتصر تداولها على سكان القسم الجنوبي والأوسط من العراق ، وهو القسم الذي عرف ببلاد «سومر وأكد» ، بل انتشرت أيضاً الى القسم الشمالي ، الى بلاد «آشور» . فقد وجدت نسخ كثيرة لها في حواضر العراق القديم في أدوار ازدهار الحضارة البابلية فيما يعرف بالعهد البابلي القديم (الألف الثاني ق .م .) . أما بالنسبة الى آشور ، فالواقع أن آخر نشرة لها كاملة وصلت إلينا قد وجدت نصوصها في خزانة كتب الملك الآشوري «آشور بانيبال» الشهيرة ، على ما سنذكر بعد قليل . وبالنسبة الى مراكز الحضارات القديمة ، سبق أن ذكرنا عثور الباحثين على نسخ كثيرة من أجزائها في أقاليم نائية مثل الأناضول ، موطن الحضارة الحثية ، وقد دوّنت بعض هذه النصوص باللغة البابلية القديمة ، كما وجدت لها ترجمات الى اللغتين الحثية والحورية . وحديثاً ، تم اكتشاف مثير لنسخة من بعض فصولها في إحدى مدن فلسطين القديمة وهي مدينة «مجدو» (المشهورة في التوراة) . ويرجع زمن هذا النص الى حدود القرن الرابع عشر ق .م . وهذا واحد من الأدلة الكثيرة على الصلة بين حوادث الملحمة وما جاء في المآثر العبرانية ولا سيما حادثة الطوفان التي سيأتي ذكرها . ولعل أغرب ما وجده المنقبون حديثاً في الموضع الأثري المعروف باسم «سلطان تبه» (في جنوب تركية ، بالقرب من حران) أجزاء من الملحمة

ورسالة عجيبة زورها كاتب قديم (عاش في الألف الثاني ق .م .) ، فقد جاءت تلك الرسالة على لسان البطل جلجامش معنونة الى أحد الملوك القدماء يطلب منه جلجامش إرسال أحجار كريمة ليصنع منها تعويذة لصاحبه «أنكيدو» .

هذا عن الانتشار الواسع بالطريق المباشر ، أي الاستنساخ والترجمات المختلفة التي وجدت في مراكز الحضارات القديمة . ولكن هذه الملحمة العتيدة أثرت كذلك في آداب الأمم القديمة وقصصها وملاحمها بطرق غير مباشرة ، أي طريق التأثر بحوادث الملحمة وقصصها ، وعلى رأسها حادثة الطوفان الشهيرة التي شغلت أبرز فصل في الملحمة . وسيقف القارئ بنفسه على مدى الشبه العظيم بين روايات الطوفان لدى الأمم القديمة ، وأطولها ما جاء في التوراة ، وبين رواية الملحمة لهذا الحدث الذي أثر في عقول أبناء الحضارات القديمة ، فاقتبست أخباره ورواياته من أدب العراق القديم .

والذي نعتقده بصدد هذا الطوفان أنه كان بالأصل حدثاً تاريخياً واقعياً حدث في طيات الماضي البعيد ، وكان من جسامة التأثير وفداحته أنه ترك أثراً بليغاً في عقول الأجيال المختلفة فتناقلته بالروايات الشفوية ، وشوهت تفاصيله الواقعية . ونظراً الى أوجه الشبه الكثيرة بين رواية الطوفان في ملحمة جلجامش وملحمة «اتراحاس» وبين رواية التوراة[٢٢] ، فإننا نعتقد أن كلتا الروايتين ترجعان الى الحادثة نفسها ، وأن هذه الحادثة وقعت في العراق القديم ، ولاسيما في القسم الجنوبي منه ، أي السهل الرسوبي ، وأن زمنها يرجع ، على أغلب الاحتمالات ، الى أواخر ما يسمى في تأريخ حضارة وادي الرافدين بمصطلح العصر الحجري المعدني (Chalcolithic) أي قبل ولادة الحضارة السومرية في أوائل العصر المسمّى بعصر فجر السلالات (أواخر الألف الرابع ق .م .) ، ولعل مما له علاقة بهذا الطوفان آثار الترسبات الغرينية التي وجدت ، وهي تفصل بين دوري ما سمي «جمدة نصر» وبين أوائل

عصر فجر السلالات ، في جملة مدن قديمة مثل « كيش » (تل الأحيمر الان) والوركاء و « شروباك » (فاره الان) . ويجدر بنا أن نذكر بهذا الصدد أن المدينة الأخيرة كانت ، كما جاء في الملحمة ، موطن « نوح » الطوفان البابلي « اوتو – نبشتم » ، كما ذكرت في إثبات الملوك السومريين في المدن الخمس التي حكمت في سلالات ما قبل الطوفان . أما سبب الطوفان فلا يعسر على المرء إدراكه في أرض مثل السهل الرسوبي من العراق الذي كان معرضاً في جميع عهود التاريخ الى خطر الفيضانات[٢٣] .

والبطل جلجامش (الذي سيأتي الكلام عليه) انتقل اسمه الى معظم الآداب القديمة ، أو أن أعماله نسبت الى أبطال الأمم الأخرى مثل « هرقل » و « اخيل » والاسكندر ذي القرنين والبطل « اوديسيوس » في الأوديسة .

وإذا كان ليس من موضوع بحثنا ايراد المقارنات بين مثل هؤلاء الأبطال وغيرهم وبين جلجامش فإننا نكتفي بذكر أوجه الشبه الكثيرة بين مثلاً قصص « هرقل »[٢٤] وبين الملحمة . فإذا رجعنا الى هذه القصص[٢٥] وجدنا أكثر من موطن واحد لأوجه الشبه هذه ، بحيث ذهب أكثر من باحث واحد الى أن أسس قصص هرقل تستند بالدرجة الأولى الى أصول مستقاة من ملحمة جلجامش وصلت الى بلاد اليونان عن طريق الفينيقيين ، فكلا البطلين من أصل إلهي ، وكلاهما اتخذ صاحباً وصديقاً حميماً : « انكيدو » بالنسبة الى جلجامش و « يوليوس » (io-laus) بالنسبة الى هرقل . وكان السبب في جلب الكوارث الى كل منهما امرأة آلهة : عشتار في حالة جلجامش و « دينيريا » (Deianeria) أو الآلهة « هيرا » بالنسبة الى هرقل ، وكلاهما قتل الأسود وتغلب على الثيران السماوية المقدسة ؛ ووجد هرقل العشب السحري للخلود كما فعل جلجامش ، وزار هرقل « جزيرة الموت » كما أبحر جلجامش عبر بحر الموت . ومثل حرقل قتل جلجامش الأسود الضارية واكتسى

بجلودها ، الى غير ذلك من نقاط الشبه الكثيرة . ويرى الباحث «روبيرت گريفز»[٢٦] أن هوميروس استقى الكثير من حوادث ملحمة جلجامش بالنسبة الى أحد أبطال الألياذة الشهيرة «اخيل» (Achilles) حيث يضاهي صاحب اخيل المسمى (بتروكلوس) (Patroclus) «انكيدو» صاحب جلجامش ، وأم «اخيل» الآلهة «ثيتس» (Thetis) تضاهي الآلهة البابلية «ننسون» ، أم جلجامش[٢٦] .

ونشير في معرض هذه المقارنات العابرة الى أسطورة نشدان الأسكندر للخلود في نبع ماء في بحر الظلمات ، والتي تضاهي ما جاء في الملحمة في بحث جلجامش عن نبات الخلود .

بطل الملحمة ومصادرها وأصولها:

عجباً من كان جلجامش هذا الذي أصبح مثالاً يحتذى به في أبطال الأمم الأخرى ؟ وقبل أن نحاول الإجابة على هذا السؤال بذكر الحقائق التأريخية القليلة المتعلقة بشخصية جلجامش التأريخية ، نمهد لذلك بالقول إن جلجامش كان في تأريخ أدب وادي الرافدين من أشهر أبطال القصص والملاحم ، وإن أعماله ومغامراته أصبحت مادة لملاحم وقصص سومرية وبابلية عديدة . أما الحقائق التأريخية فهي – كما قلنا – قليلة ، ومن ذلك أن اسمه ورد في إثبات الملوك السومريين من سلالة مدينة الوركاء الأولى ، وهي السلالة الثانية التي حكمت من بعد الطوفان (بحسب ترتيب ذلك الإثبات) وكانت سلالة كيش السلالة الأولى التي حكمت بعد الطوفان مباشرة . ويأتي ترتيب حكمه في سلالة الوركاء الأولى خامس ملك من ملوك تلك السلالة ، وخصصت له حكماً دام ١٢٦ عاماً[٢٧] . وذكر جلجامش وابنه «اور ، لوگال» أو «اور –ننگال» في النص التأريخي المعروف باسم نص «تمال» الذي يعدد أسماء الملوك والحكام الذين اضطلعوا بتجديد أبنية المعبد الواقع

في الحارة المقدسة «تمال» في نفر والمخصص للآلهة ننليل زوجة الإله انليل[٢٨] . وتروي القصص (كما في ملحمة جلجامش) أن أمه كانت الالهة «ننسون» ، زوجة الإله (لوكال بندا) ، ولكن أبا البطل جلجامش لم يكن لوكال بندا وانما ورد في إثبات الملوك بهيئة «للا» (الذي يعني اسمه نوعاً من الشياطين) ، وأنه كان كاهن «كلاب»[٢٩] . وذكر أحد ملوك الوركاء المسمى «أنام» (من العهد البابلي القديم ، مطلع الألف الثاني ق .م) أن سور مدينة الوركاء كان من أعمال البطل جلجامش ، وهذا ما ذكرته أيضاً الملحمة . وجاء في إحدى كتابات الملك السومري «اورنمو» ، مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ق .م .) أن جلجامش صار قاضياً في العالم الأسفل . فقد جاءنا نص طريف عن موت جلجامش ، وكيف أنه وزع الهدايا لأتباعه هناك ، وكان معه كثير من المتاع والأثاث الأمر الذي يضيء لنا جانباً مهماً من مشكلة المقبرة الملكية الشهيرة في «اور» (٢٦٠٠ ق .م) . وفي رواية رثاء الملك «اور - نمو» (مؤسس سلالة أور الثالثة ٢١١٢ ق .م .) ذكر جلجامش على هيئة مرشد أو موكل بإرشاد ساكني العالم الأسفل الى قواعد السلوك في ذلك العالم ، وذكر بهذه الصفة في تعويذة دينية باسم الاله «جلجامش»[٣٠] . ولعل أقدم كتابة ذكرت اسم جلجامش واسم «لوكال بندا» بصفتهما مؤلّهين جاءت في الألواح «الصورية» (الكتابة الشبيهة بالصور) التي وجدت في «مدينة شروباك» (فاره الان) ، ويرجع زمنها الى أواخر عهد «جمدت نصر» أي الى عصر فجر السلالات (في حدود ٢٦٠٠ ق .م) . وموجز القول ، يبدو من جماع الأدلة الكتابية والأثرية أن جلجامش كان أحد حكام دول المدن السومرية في العصر المسمّى عصر فجر السلالات (٢٨٠٠ - ٢٤٠٠ق .م .) وأنه حكم في مدينة الوركاء ، ونسبت إليه أعمال البطولة المختلفة في الأساطير والقصص السومرية ، ومنها قصة «أكا» ملك «كيش» ونزاعه مع جلجامش . والمرجح كثيراً ، وأن جلجامش كان معاصراً لمؤسس سلالة أور الأولى ،

الملك «مس – آنيبدا» . وأن الملحمة بنصها الأكدي أي البابلي(السامي) بدأت تتبلور في عهد سيطرة السلالة الأكدية التي أسسها سرجون الأكدي الشهير (في حدود ٢٣٧٠ ق .م) ، ودوّنت كاملةً في العهد البابلي القديم (مطلع الألف الثاني ق .م) .

أما كتابة اسم جلجامش بحسب نظام الكتابة المسمارية فقد وردت في جملة صيغ أشهرها[٢١] :

١ – بالسومرية GISH_BIL_GA_MESH (گش – بل – گا – مش) .

٢ – وبالطريقة الرمزية بالعلامات : IS (GISH)-TU-BAR (گش – طور – بار) وقد ذكرت هذه الصيغة (الواردة في النصوص الأكدية) مرادفةً للقيمة الصوتية للاسم أي GI_IL_GA_MESH (گي – ال – گامش) .

٣ – وفي ألواح العهد البابلي القديم (الألف الثاني ق .م) كتب الاسم مختصراً بمجرد العلامة : GISH (il)

٤ – وفي النصوص المكتشفة في العاصمة الحثية (بوغازكوي) GISH-GIM-MASH (گش – گم – ماش) .

٥ – وذكره بعض الكتاب الرومان[٢٢] بصيغة گلگاموس (Gilga-mos) .

٦ – وفي اثبات آرامية لبعض الملوك البابليين[٢٣] ذكر بصيغة «جميموس» و «جلمجوس» (بلفظ الجيم كافا الفارسية) . ولا يعلم بالضبط معنى اسم «جلجامش» . وقد ذكرت بعض النصوص الأكدية ترجمة له باللغة الأكدية معناها «المحارب الذي في المقدمة» ، كما يحتمل أن يكون معنى اسمه بالسومرية : «الرجل الذي سينبت شجرة جديدة» أي الذي سيولد أسرة[٢٤] .

تمثيل جلجامش وانكيدو في الفن:

ونختتم هذه الملاحظات بذكر شيء له علاقة بشخصية البطل وشخصية صاحبه «أنكيدو» . فهذان البطلان لم تقتصر شهرتهما في العالم القديم على القصص والملاحم بل إنهما مثّلا في فن حضارة وادي الرافدين ، ولاسيما في فن النحت والأختام الاسطوانية[٢٥] . ففي أختام عصر فجر السلالات (٢٨٠٠-٢٤٠٠ق .م)نشاهد تمثيل بطل وهو يصارع الحيوانات المفترسة وقد عين هذا البطل أنه جلجامش . ومن الأختام الاسطوانية التي يجدر ذكرها بهذا الصدد ختم نقش بصورة بطل يصارع أسداً وفيه كتابة باسم صاحب الختم يسمى «اور-جلجامش»(أي خادم أو صاحب جلجامش) . كما عثر على ختم عليه اسم الملك الاكدي «شاركالي-شاري »وفيه صورة البطل جلجامش وفي رأسه القرون التي كانت من شارات الالوهية . ويمثل جلجامش في المنحوتات الآشورية بهيئات مختلفة أشهرها بهيئة شخص يحمل جديين لتقريبهما إلى الإله شمش .وصوّر في منحوتتين كبيرتين وجدتا في قصر الملك الآشوري «سرجون» (٧٢١-٧٥٠ق .م) في عاصمته «دور شروكين» (خرسباد) ، مثّل فيهما جلجامش بالنحت البارز وبحجم كبير وهو يحمل بإحدى يديه «ساطورا» وبالأخرى أسداً بولِغَ في صغر حجمه للتأكيد على ضخامة البطل .

أما (أنكيدو) ، فكثيراًما مثّل في الفن على هيئة مركّبة من رأس وصدر بشريين والقسم الأسفل (ولاسيما الجزء الخلفي)بهيئة ثور ، وفي رأسه القرنان ،علامة الألوهية والقدسية .

أجزاءالملحمة وأصولها ومصادرها :

أما عن أجزاء الملحمة وأصولها ومصادرها فموضوع تناولته بحوث الباحثين بالتفصيل والاستفاضة ، ولكن لا مجال للإطناب فيه في هذه

المقدمة التعريفية ، وإنما نكتفي هنا بذكر بعض الملاحظات الأساسية فنقول : إنه على الرغم من أن الملحمة قد جاءت إلينا من ناحية الفن القصصي على هيئة وحدة قصصية متكاملة ، ولا سيما في آخر نشرة أو نسخة لها من القرن السابع ق .م . (وهي النسخة الآشورية من دار كتب الملك الآشوري ، آشور بانيبال) ، إلا أنها كانت ، كما سيتضح من ترجمتها وتسلسل حوادثها ، أقرب ما تكون إلى الجمع الأدبي ، أي أنها مؤلفة من عدة قطع وأجزاء تدور حول أعمال وحوادث مختلفة . فمن هذه الأجزاء المهمة القصص المتعلقة بأعمال جلجامش البطولية ومغامراته مع صاحبه «أنكيدو» . وقسم آخر مهم خصص لخبر الطوفان الذي يؤلف بنفسه موضوعاً مستقلاً من الناحية الفنية ، وقد خصص له اللوح الحادي عشر من ألواح الملحمة الإثني عشر .وهناك قسم ثالث تضمنه اللوح الثاني عشر ، الذي يكوّن بحد ذاته قصةً لا علاقة لها بسياق حوادث الملحمة ولا بموضوعها العام ، إذ أن هذا اللوح يتضمن وصف العالم الأسفل أو عالم الأرواح كما شاهده «أنكيدو» صاحب جلجامش .

ومما يقال عن التأليف الفني للملحمة بوجه عام أن مؤلفها أو مؤلفيها وفّقوا في الجمع ما بين القسمين الأولين ، أي الأعمال البطولية والمغامرات المنسوبة إلى جلجامش وصاحبه أنكيدو ، وبين القسم المتضمن حادثة الطوفان الشهيرة ، الأمر الذي جعل الملحمة كلّها تبدو وكأنها وحدة فنية مطردة على الرغم من أن المؤلف أو المؤلفين استعملوا ما يشبه طريقة سرد القصص المتبعة في ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة في ربط قصة بأخرى . أما القسم الثالث الذي قلنا إنه يدور على وصف عالم الأرواح كما رآه أنكيدو فإنه ، كما ألمحنا ، ليس له أية صلة بموضوع الرواية ، ولذلك ، فإن المترجمين للملحمة ، لايدرجونه فيها ، ولكننا لخصناه في هذه الترجمة العربية (الملحق الأول) .

أما عن أصول حوادث الملحمة بنصها الذي جاءنا باللغة الأكدية (البابلية) ، فقد أبان البحث الحديث أنها ترجع الى مصادر

سومرية[٣٦] . فقد وجدت بالفعل نصوص أدبية سومرية ، منها ما يتعلق بأعمال جلجامش وأنكيدو والعفريت «خمبابا» ، وقصة حب عشتار لجلجامش وقصة الثور السماوي . أما رواية الطوفان ، فقد وجدت لها جملة نصوص سومرية ، ووجد الى للوح الثاني عشر أصل سومري يكاد النص الأكدي (البابلي) يكون ترجمةً حرفيةً له .

ولكن مع استناد كثير من حوادث الملحمة الى ما يضاهيها في القصص السومري إلا أن المتفق عليه بين النقاد أن هذه الملحمة بشكلها الأكدي تعد نتاجاً بابلياً صرفاً ، وأن هذا النتاج ، على ما بيّنا سابقاً ، يضعه الباحثون في مصاف الآداب العالمية المشهورة . كما أنهم مجمعون تقريباً على أن زمن تدوين الملحمة يرقى الى مطلع الألف الثاني ق .م . ، أي الى العهد المعروف في تاريخ حضارة وادي الرافدين بمصطلح العهد البابلي القديم (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق .م .) والذي تميّز بحركة كبرى في التأليف والجمع والتصنيف في شتى صنوف العلوم والمعارف والآداب[٣٧] . والمرجح أن الملحمة صارت في شكلها النهائي ما بين العصر البابلي القديم والعصر الكشي (٢٠٠٠ - ١٢٠٠ ق .م .) وعلى وجه التخصيص في حدود (١٢٥٠) ق .م على يد الجامع الذي ورد اسمه بهيئة «سين - ليقي - أونني» كما سنذكر .

وقبل أن ننهي هذه الملاحظات عن مصادر الملحمة وأصولها قد يتساءل القارئ : مَنْ يا ترى كان المؤلف أو مؤلفو هذه الملحمة الخالدة ؟

لعل هذا السؤال من قبيل تساؤلنا : من ألّف «ألف ليلة وليلة» أو «الألياذة» والأوديسة ؟ وإذا كانت خلاصة الإجابة على كلا السؤالين هي أننا - كما ذكرنا في القسم الأول من هذه المقدمة - لا نعرف بالضبط مؤلف أو مؤلفي مثل هذه الأنواع من النتاج الأدبي ، في حضارة وادي الرافدين . وأن القاعدة العامة في الحضارات القديمة هي أن يندر ذكر أسماء مؤلفي القطع الأدبية[٣٨] . باستثناء حالة النسّاخ والجامعين فنعرف أسماء الكثير منهم . فقد جرت العادة في النسخ الأدبية أن

تذكر أسماء مثل هؤلاء بعبارة «طبق نسخة فلان بن فلان . وعلى هذا الوجه ، ذكر أحد جامعي ملحمة جلجامش - كما بيّنا - : «سلسلة جلجامش طبق نسخة» سين - ليقي - اونني Sin - leqe-unninni[٣٩] ومثل اسم الناسخ البابلي لقصة «أتراحاسس» المشهورة حيث جاء اسمه بهينه «كو - آي» (KU-AYA) من عهد الملك البابلي «عمّي - صادوقا» .

اكتشاف ألواح الملحمة وترجماتها المختلفة:

سبق أن ذكرنا أن آخر وأحدث نسخ لنصوص الملحمة قد جاءت إلينا من القرن السابع ق .م . ، وهو العهد الذي يرجع إليه القسم الأعظم من نصوصها ، في الألواح الطينية التي عثر عليها في دار كتب الملك الآشوري «أشور بانيبال» (٦٦٨ - ٦٢٦ ق .م .) ، وهي تتألف ، كما ألمحنا الى ذلك من قبل ، من اثني عشر لوحاً ، كل منها تقريباً مقسم الى ستة حقول (خانات) ، ويحتوي كل لوح منها على نحو ٣٠٠ سطر ، باستثناء اللوح الثاني عشر الذي يتضمن نصف المقدار ، وهو اللوح الذي قلنا إنه لا صلة له بحوادث الملحمة . وقد جاءت الملحمة في هذه النشرة الأخيرة وهي معنونة بعنوان مقتبس من أول عبارة فيها أي : «هو الذي رأى كل شيء»[٤٠] ، كما وضع في نهاية كل لوح تذييل بختم المكتبة الملكية وبعنوان السلسلة العامة[٤١] .

ويرجع زمن اكتشاف هذه الألواح الى عهد الاستكشافات الأثرية التي قام بها أوائل المكتشفين من هواة الآثار وقناصل الدول الأجنبية في مدن العراق الشمالية في منتصف القرن التاسع عشر ، ولا سيما «اوستن هنري ليرد» و «هرمز رسام» و «جورج سمث» في خزانة كتب الملك الآشوري «آشور بانيبال» السالف الذكر . ولكن لم يفطن الى أهمية هذا الاكتشاف إلا منذ عام ١٨٧٢ حين أعلن «جورج

سمث» نبأ اكتشافه لخبر الطوفان في محاضرة أقاها على الجمعية الآثارية للتوراة في لندن ، فأثارت ضجة وحماساً بالغين في العالم مما حدا جريدة «ديلي تلغراف» على التبرع بألف جنيه لينفقها جورج سمث في مواصلة الحفر في خرائب نينوى . وقد نجح فعلاً في العثور على أجزاء أخرى مكملة ونشر بحوثه[٤٢] قبل وفاته المبكرة في عام ١٨٧٦ (وهو في السادسة والثلاثين من عمره) .

وقد أخذت التحريات الأثرية تزداد منذ نهاية القرن التاسع عشر وتتقدم في ضبط أساليبها وطرقها العلمية ، كما ازدادت معرفة الباحثين بالخط المسماري واللغات المدونة به ، وتمت اكتشافات مهمة في حضارة وادي الرافدين ، من بينها الحصول على نسخ من ملحمة جلجامش باللغة البابلية ثبت أنها أقدم عهداً من الألواح التي وجدت في نينوى ، إذ يرجع معظمها الى الألف الثاني ق .م . نذكر منها[٤٣] :

١ - في نهاية القرن التاسع عشر اقتنى العالم الأثري «برونو مايسنر» كسرة كبيرة من باعة الآثار في بغداد من دلالة نصوصها أن مصدرها من المدينة القديمة «سبار» (أبو حبة الآن قرب المحمودية) ، كما أن زمنها يرجع الى العهد البابلي القديم ، وأنها تعود الى نصوص اللوح العاشر .

٢ - وفي عام ١٩١٤ اقتنت جامعة بنسلفانيا «في أمريكا» ، شراءً من باعة الآثار أيضاً ، لوحاً كبيرا كاملاً تقريباً ويحتوي على ستة حقول من الكتابة ثبت أنه اللوح الثاني وأن زمنه يرجع الى العهد البابلي القديم أيضاً ، كما أن اللوح الأول من الملحمة وجدت له نسخة من العصر البابلي القديم .

٣ - واقتنت الجامعة نفسها في حدود ذلك الزمن أيضاً لوحاً آخر هو الأصل البابلي القديم للوح الثالث .

٤ - ووجد المنقبون الألمان في آشور (قلعة الشرقاط) قبيل عام

١٩١٤ كسرة كبيرة تعود الى نص اللوح السادس .

٥ - في عام ١٩٢٨ وجد المنقبون الألمان في الوركاء قطعتين كبيرتين تعودان الى نص اللوح الرابع ، ويرجع زمنها الى القرن السادس ق .م .[٤٤] .

٦ - وجدت كسرتان من تنقيبات مديرية الآثار العامة في تل حرمل (١٩٤٥ - ١٩٦٠) تعودان الى الملحمة[٤٥] .

٧ - ووجدت حديثاً (١٩٥١) نصوص من الملحمة في الموضع المسمّى «سلطان تيه» في جنوب تركية (قرب حران)[٤٦] .

٨ - وجدت لنصوص الملحمة جملة كسر من العهد البابلي الحديث[٤٧] .

٩ - ووجدت في العاصمة الحثية «حاتوشاش» (بوغازكوي الان) بعض الأجزاء التي تعود الى اللوح الخامس ، كما وجدت ترجمات الى الحثية والى اللغة الحورية .

١٠ - وآخر اكتشاف مهم كان العثور ، لأول مرة ، على كسرة تعود الى الملحمة في «مجدو» (فلسطين) ، وعهدها من القرن الرابع عشر ق .م .[٤٨] . ووجه الأهمية البالغة في هذا الاكتشاف ما ألمحنا إليه من تحقيق الاتصال المباشر بين العبرانيين وبين المآثر الأدبية والدينية في حضارة وادي الرافدين . ويجدر الذكر أيضاً بأن رواية قصيرة[*] عن الطوفان وردت في النصوص المسمارية المكتشفة في «أوغاريت» القديمة (رأس شمرا بالقرب من اللاذقية) . ولكن مما يؤسف له لم يبق من اللوح الذي يرجع في تأريخه الى القرن الرابع عشر ق .م . سوى أسطر قليلة .

(*) - انظر :

Ugaritica, V, 167 Lambertes Millard, Arta - Hasis (1969), 131.

١١ - وجدت بعثة التنقيبات الألمانية في الوركاء في موسم عملها لعام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ كسرا من نصوص الملحمة لم تنشر بعد .

ومع هذه النصوص الكثيرة التي وصلت إلينا ، فلا يزال في الملحمة الكثير من النواقص والخروم في عدة مواضع ، ولكن مع هذا يمكن القول إن الملحمة بحالها الراهن الآن تعتبر كاملةً في معظم أجزائها . ومنذ أن نشر « جورج سمث » ترجمته لبعض الأجزاء الخاصة برواية الطوفان (عام ١٨٧٣) أخذت البحوث والدراسات بالازدياد ، وتعددت الترجمات لهذه الملحمة الخالدة ، ولا تزال الدراسات مستمرة عنها الى حال التأريخ . وإذا لم يكن بالوسع إيراد جميع هذه الدراسات والترجمات ، فإننا نكتفي بذكر أمّات الترجمات في اللغات العالمية المختلفة . وسيجد القارئ فيها المراجع المتعددة الى البحوث والتعليقات اللغوية والتأريخية :

1 - Erich Ebeling in Gressnam's Alt Orientalische Texte zum Alten Testament (1926).

2 - C. Thompson, The Epic of Gilgamesh (london, 1928).

أحسن نشرة للنصوص المسمارية :

3 - C. Thompson, The Epic of Gilgamesh (1930).

4 - Albert Schott, Das Gilgamesh Epos (Leiozig, 1934).

(١٢) - وعثر المنقبون البريطانيون في تنقيباتهم في نمرود (كالح أو كلخو القديمة بالقرب من الموصل) في معبد الإله « نبو » (أي - زيدا) على لوح مسماري مهم رغم أنه غير كامل ، حيث يتضمن ما بقي منه زهاء ٥٢ سطراً من مقدمة الملحمة من السطر ١٧ - حتى السطر ٥٢ ، وقد أدرجنا ذلك في هذه الترجمة . وقد سجل اللوح في سجل المتحف العراقي برقم ٦٧٥٧٧ ونشره مع الترجمة والاستنساخ الأستاذ « وايزمن » (D. J. Wiseman) في مجلة IRAQ (XXXVII, 1975), p. 157 ff.

13 – وقد سبق أن ذكرنا أنه بأنه وجد للوح الخامس من الملحمة ثلاث كسر مهمة ، اثنتان منها وجدتا في تنقيبات مديرية الآثار العراقية في تل حرمل (شاذبم القديمة ، في بغداد الجديدة) والأخرى في الموضع الأثري المسمّى تل اشجالي (من مملكة اشنونا في منطقة ديالي) . ويرجع عهد هذه الكسر الثلاث الى العصر البابلي القديم (مطلع الألف الثاني ق .م .)[٤٩] فلوح تل حرمل المرقم في سجل المتحف العراقي برقم ٥٢٢٦٥ في حالة سيئة ، وما بقي منه واضحاً يدور على ما يحتمل على وصول جلجامش وصاحبه «انكيدو» الى غابة الأرز ، من بداية اللوح الخامس[٥٠] .

١٤ – وأضيف الى اللوحين السابع والثامن مادة جديدة وقد ضمّنا ترجمتها في الملحق الأول من هذه الطبعة .

أحسن ترجمة الى الألمانية . مع التعليقات اللغوية في مجلة :

Zeitschrift fur Assyriologie, XLII (1933), 92 f.

5 - G. Gontenau, L'Epopee de Gilgamesh (1939).

6 - Alexander Heidel, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels (1949).

١٥ – ترجمة منقحة حديثة لرقم ٤ قام بها العالم الآثاري Von Sonden في عام ١٩٥٨ بعد وفاة المؤلف "Schott" وقد استفدنا من هذه الترجمة فوائد جمة في هذه الترجمة العربية .

8 - Speiser in James B. Pritchard, The Ancient Near Eastern Texts (1950) 2nd ed. 1955; Third ed. (1969)

الى اللغة الجيكية :

9 - L. Matoush, Epos Gilgameshovi (Praha, 1958).

١٠ – ترجمة بتصرف وتحليل :

N. K. Sandars, The Epic of Gilgamesh (Penguin Books, 1960).

١٦ – آخر ترجمة لها في عام ١٩٦٢ الى الروسية :

17 - J. M. Djakanoff, Epic of Gilgamesh.

وإتماماً للفائدة نذكر ترجمات حديثة أخرى الى لغات عالمية أخرى غير ما ذكرنا :

١ – اللغة الدينمركية :

O. E. Ravu, Babylonske religiose Tekster (1953).

٢ – اللغة الفلندية :

Salonen, Gilgamesh-Epos (Helsinki, 1943).

٣ – اللغة الجورجية :.

Tseretheli, Gilgameshiani M . . (1924).

٤ – الايطالية :

G. Furlani, Miti babilonesi e assiri (Florence, 1958).

٥ – الهولندية (أحدث ترجمة الى هذه اللغة) :

H. Van Kriuningen, Zondvloed en Levenskruid (Amsterdam, 1955).

٦ – اللغة العبرية ترجمة

S. Tschernichowsky.

بعنوان « عليلوث جلجامش » .

١٣ – الى اللغة العربية :

١ – الدكتور أنيس فريحة .

٢ – الأستاذ حداد (عن الروسية اللوح الأول) .

٣ – الأستاذ عبد الحق فاضل : شعراً وبتصرف .

١٤ – ولعل أحسن وأحدث مرجع للدراسات والبحوث المختلفة وعن

الترجمات الى اللغات العالمية يجده القارئ في التقرير الذي سبقت الإشارة إليه مراراً عن المؤتمر السابع للمستشرقين من جماعة (ثوروردانجان) المنعقد في باريس (١٩٥٨) وعنوان التقرير :

Gilgamesh et sa legende. Etude Recueillies a l'occasion de la VIIe Rencontre Assyriologique Internationle (Paris, 1958), Paris, 1960, par Garelli.

هذه الترجمة العربية

أ - الطبعة الأولى:

إن ما أثبتناه من الترجمات الكثيرة للملحمة يقتصر ، كما ذكرنا ، على أشهر وأحدث تراجم عالمية ، وإذا أضفنا الى تلك الترجمات الى معظم اللغات العالمية(٥١) ما استشهدنا به من الدراسات والبحوث الكثيرة ، فإن القارئ سيدرك المكانة العالية البارزة التي تشغلها ملحمة العراق الخالدة ، الأمر الذي جعلها تضاهي شوامخ الأدبية العالمية .

وإذ قد نالت هذه المكانة المرموقة في العالم المتمدن . فأخلق بها أن يطلع عليها أبناء البلد الذي أنتجها ، لتضاف الى تلك المفاخر الكثيرة التي ميزت تراثه ، ذلك التراث الذي أثرى الحضارة البشرية بإنتاجه وإبداعه الخلاقين ، فأسهم في التقدم البشري منذ أقدم العهود وفي مختلف أدواره الحضارية .

ومع أنه ظهرت للملحمة ترجمة عربية قبل نحو خمس عشرة سنة إلا أنني لم أدرجها في قائمة الترجمات ، بل أجلّت الإشارة إليها لأفرد لها بعض الملاحظات . فقد سبق لي أن اشتركت في ترجمتها الى العربية مع زميلي الأستاذ بشير فرنسيس ونشرت في مجلة «سومر» (عام ١٩٥٠) ، وكنا قد اعتمدنا في ترجمتها بالدرجة الأولى على

ترجمة انكليزية كانت أحدث ترجمة يومذاك[٥٢] ، وكانت ترجمة حرفية تقريباً تطابق تلك الترجمة الانكليزية سطراً بسطر ، ولم يكن الوقت ليتسع لمقابلتها بالنصوص الأصلية إلا في مواطن قليلة ، ولم يراعَ في نشرها على أنها قصة متسلسلة مطّردة .

ومنذ ذلك التأريخ ، أخذت تظهر لها ترجمات أخرى ، كما نشرت عنها دراسات وبحوث كثيرة ، وتوفر لي الوقت أن أرجع الى النصوص الأكدية فأقارنها بالترجمات الأخرى . كما انتهزت فرصة تدريسي للنصوص المسمارية لطلاب قسم الآثار في كلية الآداب منذ عام ١٩٥٢ ، حيث كنت أختار منها بعض النصوص اللغوية لتمارين الطلاب ، وتجمّعت لي مادة كافية لإعادة ترجمتها الى اللغة العربية . وأخذت الفكرة تتبلور بالتدريج وحانت فرصة اخراجها الى حيز التنفيذ منذ عام ١٩٦١ باقتراح من صديقي الدكتور أكرم فاضل بأن أقدمها الى وزارة الإرشاد لتنشر ضمن سلسلة الثقافة الشعبية التي تصدرها تلك الوزارة .

وها إنني مغتبط إذ أقدم هذه الترجمة الى قرّاء العربية في العراق وفي سائر أقسام الوطن العربي الكبير . والتزمت في الترجمة نقل الأصل سطراً بسطر بأسلوب عربي دقيق مبسط يقربها بقدر المستطاع الى أصلها البابلي مع التقيد بالتزام التعابير والمفردات الأدبية ، على أنني تحاشيت ترقيم الأسطر وأدمجت في بعض الأحايين سطرين بسطر واحد لتلازم معنيهما .

وهذه الترجمة التي حاولت فيها دقة الاداء ، لا أدّعي أنها تؤدي المعنى الأدبي الأصلي ، شأنها في ذلك شأن الترجمات الأخرى للآداب الشهيرة من لغاتها الأصلية الى لغة أخرى ، إلا أنني لا أجد حرجاً إذا ادّعيت بأن هذه الترجمة العربية هي الترجمة الوحيدة التي تقارن الأصل البابلي في النظر الى وشائج القربى بين اللغتين العربية والبابلية[٥٣] ،

ولأنني التزمت بابقاء معظم المفردات البابلية الأصلية المشتركة مع قريبتها العربية لفظاً ومعنى ، ولم أحد عن هذا السبيل إلا في المفردات العربية المضاهية للكلمات البابلية اضطررت على تركها لحوشيتها وبطلان استعمالها في الاستعمالات العربية المألوفة . والواقع ، إنني تمنيت أن ألحق ثبتا بالكلمات المتشابهة الواردة في الملحمة والتي هي من أصل سامي واحد ، ولكني وجدت أن ذلك يأخذ بي الى قضايا لغوية فنية متشعبة خارجة عن موضوع الملحمة في الوقت الحاضر ، وإنما هي تؤلف بحثاً لغوياً خاصاً يستحق أن ينشر كموضوع مستقل . ولذلك عدلت عن الفكرة واكتفيت ، لاستمتاع القراء ، باختيار بعض القطع بخطّها المسماري وتعريبها بالحروف اللاتينية (أي نقل أصواتها بالحروف اللاتينية) ، ليقارنوا بين ترجمتها العربية وبين كلماتها في البابلية[٥٤] .

والى هذه الميزة التي تمتاز بها هذه الترجمة ، أي مقارنتها الى الأصل البابلي ، فإنها جاءت آخر ترجمة لحال التأريخ ، والميزة في ذلك أنني استعنت ، إضافةً الى الرجوع الى النصوص البابلية ، بأحدث وأهم الترجمات العالمية لمشاهير الاختصاصيين . ومع أن خطة هذه الترجمة مبنية على التقليل من تحميلها بالملاحظات والهوامش ، إلا أنني لم أستطع أن أتحاشى إثبات بعض الملاحظات والتعليقات الضرورية ودرج التعاريف لكثير من الاعلام الواردة نظراً الى غرابتها على غالبية قراء العربية .

وفي ختام هذه الملاحظات أود أن انبه الى أن تقسيم الملحمة الى الفصول الأربعة الواردة في هذه الترجمة لم يرد بالأصل ، وإنما حاولت أن أبسط حوادثها الى القراء بتصنيف تلك الحوادث الى فصول كشأن الروايات الحديثة . ومما يقال بوجه عام ، أنه على الرغم من الخروم والنواقص الموجودة في الألواح الأصلية ، فإن القسم الأكبر من مادة الملحمة كامل الآن ، ويمثل لنا هذا القسم زهاء ثلاثة أرباع الأصل ، وهو

الأهم في حـوادث الرواية . وإذا اسـتـثـنينا بعض المواطن القليلة التي لا تزال غامضة وغير متفق على ترجمتها ، فإن ذلك القسم الأعظم مما جاءنا سالماً تكاد تتفق على أداء معناه جميع الترجمات العالمية مع اختلافات غير أساسية في معنى بعض العبارات والكلمات والاجتهادات في إكمال الخروم والنواقص الموجودة في الألواح الأصلية .

٢ - الطبعة الثانية

وبعد أن نفدت الطبعة الأولى التي تولت إصدارها وزارة الإرشاد ، ونظراً الى إقبال القراء في العراق وفي سائر الوطن العربي الكبير ، وما لاقته الملحمة من القبول الحسن ، فكرت في إعادة طبعها منذ مدة ، ولكن انشغالي وبعدي عن الوطن في ليبيا (١٩٦٥ - ١٩٧٠) ، حال دون الإسراع في إنجاز المشروع ، وحانت الفرصة بعد عودتي الى الوطن في صيف ١٩٧٠ . وهيأت ما سبق لي أن قمت به من تنقيحات وإضافات الى الطبعة الأولى ، ولاسيما إعادة مقابلة الترجمة العربية بالأصل البابلي ، واجتهدت مرة أخرى في تبديل بعض المفردات العربية بكلمات أخرى تطابق أو تضاهي الكلمات البابلية . وإذا كنت لم أضح كثيراً بالأسلوب العربي المستساغ في هذه الترجمة المنقحة بيد أنني وفِّقت الى العثور على مفردات كثيرة أخرى مطابقة للمفردات البابلية في الملحمة ، لاسيما ما خفي الكشف عنه بسبب ضياع كثير من الأصوات والحروف في المفردات البابلية ، وبوجه خاص حروف الحلق وحروف الضاد والظاء وغيرها نتيجة اتخاذ الأكديين للخط المسماري الذي أوجده السومريون (غير الساميين) لتدوين لغتهم غير السامية ، والتي لاتوجد فيها تلك الحروف والأصوات .

ومن الإضافات الجديدة الكثيرة درج الموارد المستشهد بها من التوراة مما يضاهي ما جاء في الملحمة ، فقد ألحقت تلك النصوص التوراتية في آخر الملحمة ، تسهيلاً لرجوع القارئ .

الطبعة الثالثة

طبع من الملحمة في طبعتها الثانية (١٩٧١) زهاء أربعة آلاف نسخة ، لاقت ، مثل طبعتها الأولى (١٩٦١) ، اقبالاً منقطع النظير ، فقد نفد معظمها من الأسواق في الأيام القليلة الأولى ، وظل السؤال عنها وطلبها متواصلاً منذ ذاك . وبعد مضي ما يناهز ثلاثة أعوام على الطبعة الثانية ارتأى المسؤولون في وزارة الاعلام إعادة طبعها ، فاغتنمت هذه الفرصة ، وأجريت تنقيحات أخرى في الترجمة على ضوء ما استجدّ من دراسات الباحثين الجديدة التي مازالت متواصلة الى يومنا هذا ، من إضافات وتفسيرات وشروح جديدة وتوضيح بعض المواطن الغامضة أو المخرومة من النص الأصلي ، كما أضفت كثيراً من الملاحظات والاستدراكات الى النص الأصلي والى المقدمة الخاصة بأدب حضارة وادي الرافدين .

وأنني إذ أقدّر هذه البادرة المشكورة من مديرية الثقافة العامة في وزارة الاعلام في إحيائها تراث هذا البلد الزاخر بالابداع والتقدم في تطوير الفكر البشري والحضارة العالمية في مختلف أدوار تأريخ هذا القطر . أرجو أن أكون قد أسهمت بنصيب متواضع في المجهود الضخم الذي مازالت تبذله سلطات عراق الثورة في مختلف المجالات . ولعل ملحمة جلجامش الخالدة خير ما يعبّر عن الاتجاه الابداعي الثوري الذي اتسمت به حضارة وادي الرافدين في مختلف عصورها ، فهي كافية وحدها لأن تبوأ هذه الحضارة أسمى مكانة في تأريخ تطور الفكر العالمي والحضارة البشرية .

بغداد صيف ١٩٧٤

الطبعة الرابعة

طه باقر

الهوامش

(١) - راجع موجز ذلك في كتب المؤلف الآتية :

١ - « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الأول الطبعة الثانية (١٩٥٥) ، والطبعة الثالثة (١٩٧٣) .

٢ - « مقدمة في أدب العراق القديم » (١٩٧٦) .

والمرجعين الآتيين :

1 - L. Oppenheim, Ancient Mesopotamia (1965).

2 - Saggs, The Greatness That was Babylon (1962).

3 - Pritchard (ed.), Ancient Near Eastern Texts (1969).

(٢) - انظر توينبي

A. Toynbee, A Study of History, I, (1907)

وترجمة المجلدات الستة الأولى من قبل المؤلف (١٩٥٦) .

(٣) - « أوغاريت » وتعرف بقاياها الآن في الموضع المسمى رأس الشمرا بالقرب من اللاذقية . حول النتائج المهمة التي كشفت عنها التنقيبات الفرنسية في هذا الموضع منذ عام ١٩٢٨ ، انظر المراجع الأساسية الآتية :

1 - Clude Schaeffer, Ugaritica (1956).

2 - Acta Orientalia (1955).

3 - Virolleau, Palais Royale d'Ugatit (1957).

٤ - إلمامة عن تأريخ الموضع في مؤلفي الموسوم ، « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الثاني (١٩٥٥) النص ٢٦١ فما بعد .

(٤) - وما يجدر توضيحه عن هذه النصوص الأدبية أنها كانت مدونة إما بالخط المسماري الأوغاريتي (المقتبس من حضارة وادي الرافدين) أو بالحروف الهجائية الكنعانية الشبيهة بالمسامير ولكنها ليست خطاً مسمارياً .

(٥) - (٥ أ) انظر على سبيل المثال :

S. N. Kramer Sumerian Mythology (1961).

(٦) - هذه الفكرة جاءت في أسطورة سومرية طريفة ، انظر :

S. N. Kramer, IBID.

(٧) - (٧م) راجع إيجاز ذلك في كتابي : « مقدمة في أدب العراق القديم » (١٩٧٦) .

(٨) - راجع عن هذه الألواح العاجية البحث الآتي :

Wiseman, "Assyrain Writing Boarsd" in IRAQ, 17 (1955)

(٩) - حول عناوين القطع الأدبية راجع المصدرين الأساسيين التاليين :

1 - Falbenstein & Von Soden, Sumerische und Abbadische Hymnen und Gebete (1956).

2 - Hallow, "The Culitc Setting of Sumerian Poetry in Rencontre Assyriologique Internationale, XVIII (1969), 1971, 116 ff.

(١٠) - انظر :

S. N. Kramer, "The Oldest Literary Catalogue" in Bulletin of the America Oriental Socialy, No. 88 (1942).

(١١) - حول هذا الموضوع راجع البحث الآتي :

Lambert, "Ancestors, Authors and Canoncity" in Journal of Cuneiform Studies, XI (1957), 1 ff.

(١٢) - راجع الهامش رقم (١١) واللوح المكتشف في ألوركا من العهد السلوقي (القرن الثالث ق .م .) (تقرير التنقيبات لعام ١٩٦٢ ص٤٢) .

(١٣) - حول مؤلف القصيدة رقم ٣ راجع كتابي : « مقدمة في أدب العراق القديم » (١٩٧٦) ، وعن ملحمة (أترا - حاسس) انظر الملحق رقم (٥) في ملحمة جلجامش في طبعتها الراهنة وكذلك الترجمات الإنجليزية للنصين في :

Ancient Near Eastern Texts (1969).

(١٤) - راجع إيجاز هذا الموضوع في كتابي الموسوم : « مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة » (١٩٧٣) وفيه إشارات الى البحوث والدراسات المختلفة .

(١٥) - يعرف العرو ضيون « السبب » بأن قوامه حرفان ويقسمونه الى :

أ - السبب الخفيف ، وهو من حرفين متحرك وساكن مثل (من) ، (عن) .

ب - السبب الثقيل ، من حرفين متحركين مثل (بك) ، (لك) الخ .

أما الوتد فقوامه ثلاثة أحرف ، ويقسم الى :

أ - وتد مفروق ، من حرف ساكن بين حرفين متحركين مثل (أين) ، (كيف) .

ب - وتد مجموع ، من حرفين متحركين يليهما ساكن مثل (الى) ، (على) ، الخ .

(١٦) - عن أوزان الشعر البابلي ولاسيما في ملحمة جلجامش وأسطورة الخليقة راجع البحوث الآتية :

De Liage Bohl, "La metrique de l'Epopee babyloniene" in Rencontre Assyriologique Internation ale, VII, (1958).

وعن الشعر السومري والبابلي بوجه عام :

Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, (1956).

Hallow, "The Cultic Setting of Sumerian Poetry", in Renconter Assyriologique..., XVIII, (1969), 116 ff.

Hallow. "On the Antiquity of Sumerian Literayure", in JAOS, (1963), 167 ff.

(١٧) - ملاحظة : النقطة تحت حرف T اي T لتأدية صوت الطاء، والقوس المعقوف تحت حرف H اي H لتأدية صوت الخاء . والنقطة تحت S اي S لتأدية صوت الصاد والضاد والظاء .

(١٨) - سابتم (سابيتو) بالبابلية بائعة الخمر ، من مادة (سبأ) ، (سباء) في العربية بائع الخمر .

(١٩) - عن ترجمة نصوص الحوليات والحملات الحربية الآشورية راجع المصادر الأساسية التالية :

1- Prtichard (ed.), The Ancient Near Eastern Texts, (3rd. ed. 1969).

2 - Thureau-Dangin, Une relation de la huitieme Campagne de Sargon.

3 - Lukenbill, The Annals of Sennacherib.

4 - Ancient Records of Assyria and Babylonia.

5 - C. Thompson, The Annals of Easarhaddon and Ashurbanipal.

(٢٠) - انظر :

King, Babylonian Boundary Stones, 1912, No. IV, p. 29.

(٢١) - انظر البحث المهم للأستاذ (لاندزبرجر) (Landsberger) المنشور في خلاصة أبحاث المستشرقين من جماعة(ثوروداجان) ، في المؤتمر السابع المنعقد بباريس (١٩٥٨) .

(٢٢) - حول ملحمة «اتراحاسس» أي (الواسع الحس أو الفهم أي الحكمة) انظر المصادر والدراسات المختلفة عن أخبار الطوفان ومضاهاة الرواية البابلية لمآثر التوراة والأمم الأخرى انظر المرجعين الآتين :

1 - A. Heidel, The Gilgamesh-Epic and Old Testament paralles (Chicago, 1949).

2 - M. David, "La Recit du Deluge et l'Epopee de Gilgamesh".

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين في جامعة «ثوروداجان» (باريس ١٩٥٨) . ويجد القارئ في آخر الملحمة نص رواية التوراة لحادثة الطوفان . انظر أيضاً مقالة المؤلف المنشورة في مجلة «سومر» ١٩٥١ .

(٢٣) - انظر مجلة (سومر) ، ١٩٥١ ، ومن الآراء الجديدة عن أسباب الطوفان أن ارتفاع مستوى البحر ومياه الخليج كان له أثر كبير في حدوثه إضافة الى فيضانات الأنهار وغزارة الأمطار وقد أظهرت الدراسات الجيولوجية التي أجرتها البعثة الألمانية حيث سجلت عدة ارتفاعات منها ما كان قبل ٢٥٠٠ق .م . الذي يرجح أنه عصر الطوفان المأثور في حضارة وادي الرافدين . راجع خلاصة نتائج هذه التحريات في السفينة المسماة (متيدر) في عام ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، والمنشور في مجلة سومر المجلد ٣١ (١٩٧٥) ص ١٠١ (القسم الإنكليزي) .

(٢٤) - هرقل (Heracles) وباللفظ اللاتيني Hercules .

(٢٥) - راجع أي كتاب عن الأساطير اليونانية مثل :

Rose, Handbook of Greek Mythology.

(26) - Robert Graves, The Greek Myths (1962) vol. II, esp. 89.

وحول مقارنة الملحمة بالملاحم اليونانية انظر :

P. Jensen in Zeitschrift Fur Assyriologie (1902).

وانظر المجلة نفسها حول بحث للكاتب عن تراث ملحمة جلجامش في القصص العبرانية (ص ٤٠٦ فما بعد) .

وعن الأوديسة وملحمة جلجامش انظر أيضاً :

A. Ungnad, Gilgamesh-Epos und Odyssae (1923).

وراجع البحث المهم المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين من جماعة «ثوروداڠان» (باريس ١٩٥٨) :
A. Heubeck, "Betrachtungen zur Genesis des Homerischen Epos".

(٢٧) – ونص ذلك الاثبات فيما يخص موضوعنا : بعد الطوفان سلالة كيش ، وتليها سلالة الوركاء وأوائل ملوكها :

١ – مسكياك گاشر ٣٢٢ سنة .
٢ – انمركار ٤٢٠ .
٣ – لوكال بندا المقدس ، ١٢٠٠ .
٤ – دموزي (تموز) الراعي المولود في «اريدو» ١٠٠ عام .
٥ – جلجامش ، أبوه «للا» كاهن (كلاب) ١٢٦ عاماً .
٦ – اور – ننكال أو «اور – لوگال» ابن جلجامش ، ٣٠ عاماً .

(٢٨) – انظر ترجمة النص في كتاب المؤلف : «مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة» ، الجزء الأول (١٩٧٣) ص ٢٩٥ فما بعد .

(٢٩) – كلاب : كانت مدينة الوركاء في أوائل عصر فجر السلالات تقسم الى قسمين رئيسين هما : (كلاب) والثاني (اي – أنا) الذي كانت فيه حارة المعبد المقدس المخصص لعبادة كبير الآلهة السومرية (آنو) والآلهة الشهيرة (نانا) (عشتار) ، وتنسب المآثر الى جلجامش أنه بنى سور الوركاء ، ولعل بقايا السور الآن البالغ محيطه نحو ٦ أميال والذي يرجع زمنه الى عصر فجر السلالات (منتصف الألف الثالث ق .م) تمثل في الواقع أعمال جلجامش .

(٣٠) – حول هذا الموضوع انظر البحوث المهمة الآتية :

١ – Alexander Heidel, Op.Cit., p. 5.

2 - Von Soden in Zeitschrift fur Assyriologie, XLIII (1936).

3 - W. G. Lambert, "Gilgamesh in Religious. Historical and Omen Texts and the Historicity of Gilgamesh".

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين من جماعة «ثوروداڠان» (باريس ١٩٥٨) .

(٣١) – انظر :

C. Thompson, The Epic of Gilgamesh, p. 9.

(٣٢) – هو الكاتب الروماني «كلوديوس اليانوس» (Glaudius Aelianus) من أهل القرن الثاني الميلادي في كتابه الموسوم : De Animallium Natura وقد روى قصة طريفة عن جلجامش ملخصها أنه حينما كان الملك «سيوخورس» يحكم بلاد بابل تنبأ الكلدانيون بأن الابن الذي ستلده ابنته سيغتصب منه العرش ، وأنه رغم محاولة هذا الملك في إهلاك الطفل الذي و ضعته ابنته برميه من أعلى الحصن شاء القدر أن يبقى على الطفل بأن حمله نسر كان طائراً في أثناء رميه من شرفة الحصن . ثم التقطه أحد خدم القصر وسماه «گل گاموس» ، فكبر هذا وحكم البابليين . وهذه أسطورة مضاهية لما ورد في الأساطير اليونانية عن الملك «أرجوس» .

(٣٣) – اثبات «ثيودور برخوني» (٨٩٢م)

(٣٤) – Jacobesn, The Sumerian King-List (1939). p. 188, n. 48.

(٣٥) – انظر حول ذلك :

1 - G. Contenau, L'Art de l'Asie occidentale ancienne (Paris, 1927, P. 1, pl. XXXVIII).

2 - Delaporte, Catalogues des Cylindres Orientaux du Louvre II. (1923), pl. 74.

وأحدث بحث في الموضوع :

A. Amiet, "La Probleme de la Representation de Gilgamesh dans l'Art".

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين من جماعة «ثوروداجان» (المنعقد في باريس ١٩٥٨) .

(٣٦) – حول هذه الأصول السومرية راجع أهم البحوث في الموضوع :

1 - C. J. Gadd, in Revue d'Assyriologie, XXXI (1933), 126 ff.

2 - S. N. Kramer From the Tables of Sumer (1956).

3 - S. N. Kramer in Journal of American Oriental Society, LCIV (1944).

4 - L. Matoush, "Die Entstehung des Gilgamesh Epos" in Das Altertum, 4, (1958).

5 - L. Matoush, "Les Rapports entre la version Akkadienne et la version Sumerienne d'Epopee de Gilgamesh.

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين من جماعة «ثوروداجان» المنعقد في باريس ١٩٥٨ .

(٣٧) – راجع كتاب المؤلف : «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» (١٩٥٥) ، الجزء الأول .

(٣٨) – راجع عن هذا الموضوع البحث القيم الآتي :

W. G. Lambert, An cestors, Authors and Canonicity in Journal of Cuneiform Stuolies, XI (1957), 1 ff.

(٣٩) – ذات المصدر المذكور في الهامش ٣٢ . وورد هذا الاسم أيضاً في لوح طين من الوركاء (من العهد السلوقي – القرن الثالث ق .م) انظر تقرير الحفائر المرقم XVIII (١٩٦٢) ص٥٠ .

(٤٠) – وبالنص البابلي «شانقبا امورو» (sha naqba imuru) وعبارة «أشكار جلجامش» أي (سلسلة جلجامش) ، وهو العنوان الذي اثبتناه بالخط المسماري في غلاف هذه الترجمة . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن كتاب العراق الأقدمين درجوا كما بينا في القسم الأول من المقدمة على أن يعنونوا المواضيع الأدبية بأول بيت أو عبارة في القطعة الأدبية مثل عنوان ملحمة جلجامش وعنوان أسطورة الخليقة البابلية المشهورة المأخوذ من أول عبارة فيها : «حينما في العلى» وبالنص البابلي «اينما ايليش» وعنوان القطعة الأدبية الشهيرة المضاهية لقصة أيوب في التوراة : «لأمجدن رب الحكمة» وفي البابلية

(Ludlul Bel nemeqi)

(٤١) – ولنأخذ تذييل اللوح التاسع على سبيل المثال :

١ – اللوح التاسع من «هو الذي رأى كل شيء» من سلسلة جلجامش

٢ – قصر آشور بانيبال .

٣ – ملك العالم ، ملك بلاد آشور .

(٤٢) – انظر ذلك في مجلة :

The Transactions of the Society of the Biblical Archaeology, Vol. II, (1873), 213.

Contenau, L'Epopee de Gilgamesh, 21.

(٤٣) – انظر إيجاز ذلك في المصدر المرموز له في

ANET, 3. p. 73.

(٤٤) - Adam Falkenstein, Literarishe Keilschrift-texte aus Uruk (Berlin, 1931), No. 39.

(٤٥) - انظر مجلة سومر ، المجلد الثالث عشر (١٩٥٧) وسجلهما في سجل المتحف العراقي ٥٢٢٦٥ و ٥٢٧٥٠ ، والمحتمل أن الكسرة الأولى تعود الى اللوح السادس .

(٤٦) - O. R. Gurney, in the Journal of Cuneiform Studies, (1954).

(٤٧) - D. J. Wiseman "Additional Neo Babylonian Gilgamesh Fragments".

المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين من جماعة «ثوروداتجان» . (المنعقد في باريس ١٩٥٨) .

(٤٨) - انظر

Th. Bauer in Journal of Near Eastern Studies, XVI (1957).

Ancient Near Eadtern Texts (1969), 503 ff.

(٥٠) - راجع المصدر السابق في الهامش ٤٩ ومجلة سومر ، ١٣ ، (١٩٥٧) والمجلد ١٤ (١٩٥٨) و (١٥) (١٩٥٩) . وعن لوح أشجالي انظر :

T. Bauer, in Jour. of Near Eastern Studies, XVI, (1957), 354.

(٥١) - بمراجعة الثبت المختار الذي أوردناه يجد القارئ أن الملحمة قد ترجمت الى أهم اللغات العالمية الشائعة مثل الألمانية والإنجليزية والفرنسية بعدة ترجمات في أزمان مختلفة ، والى الروسية والايطالية والجيكية والهولندية والدينمركية والفلندية والجورجية وحتى العبرية الحديثة . ولا أعلم هل ترجمت الى لغات الشرق الأقصى .

(٥٢) - وهي :

Alexander Heidel, The Gilgamesh Epic, (1949).

وكذلك ترجمتها في مجموعة نصوص الشرق الأدنى القديم :

Ancient Near Eastern Texts (1950).

(٥٣) - لا يخفى على القراء أن اللغة العربية واللغة الأكدية (وهي اللغة السامية الشرقية التي انتشرت في العراق بالدرجة الأولى وتفرعت عنها لهجات وفروع أهمها البابلية والآشورية بأدوارهما المختلفة) - نقول إن هاتين اللغتين تنتميان الى عائلة لغوية واحدة هي عائلة اللغات السامية ولذلك فهما متشابهتان في مفرداتهما الأساسية وفي نحوهما .

(٥٤) - وقد استنسخها كل من السيدين حازم النجفي وخالد الأعظمي في مديرية الآثار العامة .

القسم الثاني
ترجمة نص الملحمة

1, ... ša) nak-ba i-mu-ru (lu-še-id)-di ma-a-ti

2, (ša kul-la)-ti i-du-u ka-la-(ma lu-šal-mi)-sa

3, ... -ma mit-ḫa-riš i-(za-a'zu?)

4, ... ni-me-ḳi ša ka-la-a-mi i(-du-u) (il)gilgameš

5, (ni-)-ṣir-ta i-mur-ma ka-ti-im-tu.....

6, ub-la ṭe-e-ma ša la-am a-bu-bi........

7, (ur-)ḫa ru-uḳ-ta'il-li-kam-ma a-ni-iḫ u.....

8, (iḫ-ru)-uṣ i-na(abnu) nâri ka-lu ma-na-aḫ-ti

9, u-še-piš dûri ša uruk[ki] su-pu-ri

10, ša E-AN-NA ḳud-du-ši šu-tum-mi el-lim

11, a-mur du-ur-šu ša ki-ma ḳi-e ni-ip-(ši?)

12, i-pa-la-as sa-me-ta-šu ša la u-maš-ša-lu man-ma

13, ṣa-bat-ma(abnu) askuppati ša ul-tu ul-la-nu

14, ḳit-ru-ub ana É-AN-NA šu-bat ilištar

15, ša šarru ar-ku-u la u-maš-ša-lu amelu man-ma

16, e-li-ma ana eli dûri ša uruk[ki] im-tal-lak

17, te-me-en-nu ḫi-iṭ-ma libitta ṣu-ub-bu

18, išid libitti-šu la a-gur-rat

19, uš-šu-šu la id-du-u VII (mun-tal-ki)

دباجة الملحمة

ديباجة الملحمة

الفصل الأول:
جلجامش وأنكيدو[٥٥]

اللوح الأول: الحقل الأول:

هو الذي رأى كل شئ فغني بذكره يا بلادي[٥٦]

وهو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها[٥٧]

وهو الحكيم العارف بكل شيء :

لقد أبصر الأسرار وكشف عن الخفايا المكتومة

وجاء بأنباء ما قبل الطوفان

لقد سلك طرقاً بعيدة متقلباً ما بين التعب والراحة

٨ – فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره

٩ – بنى أسوار« أوروك » ، المحصنة[٥٨] ،

١٠ – وحرم «اِي –أنا» المقدس والمعبد الطاهر

١١ – فانظر إلى سوره الخارجي تجد أفاريزه تتألق كالنحاس

١٢ – وأنعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء

١٣ – واستلم (أمسك) أسْكُفَّته الحجرية الموجودة منذ القدم[٥٩]

١٤ – اقترب من «اي-أنّا» ، مسكن عشتار

١٥ – الذي لا يماثله صنع ملك من الآتين ولا إنسان

١٦ – اعلُ فوق أسوار «أوروك» ،

١٧ – وامش عليها متأملاً

تفحص أسس قواعدها وآجر بنائها

١٨– أفليس بناؤها بالآجرالمفخور ؟

١٩ – وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها(٦٠)

٢٠ – سار(٦١) واحد مساحة المدينة ، وسار للراعي

وسار لحفر الطين ، وهي الأرض المخصصة لمعبد عشتار

٢١ – ثلاثة سارات كلها ، وكذلك الأرض الخلاء لمدينة «أوروك»

٢٢ – أبحث عن اللوح المحفوظ في صندوق الألواح النحاسي(٦٢)

٢٣ – وافتح مغلاقه المصنوع من البرونز

٢٤ – واكشف عن فتحته السرية

٢٥ – تناول لوح حجراللازورد وأجهر بتلاوته

٢٦ – وستجد كم «عانى جلجامش» من العناء والنصب

٢٧ – وفاق جميع الحكام ، إنه ذو الهيئة البهية السامية

٢٨ – إنه البطل ، سليل أوروك ، والثور النطاح

٢٩ – إنه المقدم في الطليعة

٣٠ – وهو كذلك في الخلف ليحمي أخوته وأقرانه

٣١ – أنه المظلة العظمى ، حامي (أتباعه) من الرجال

٣٢ – أنه موجة طوفان عاتية تحطم حتى جدران الحجر

٣٣ – نسل «لوكَال –بندا» – إنه جلجامش المكتمل القوة

٣٤ – ابن البقرة الجليلة «رمات–نُنسن»

٣٥ – ..... جلجامش المكتمل في الجلال والألوهية

٣٦ – إنه هو الذي فتح مجازات الجبال

٣٧ – وحفر الآبار في مجازات الجبال

٣٨ – وعبر البحر المحيط ، إلى حيث مطلع الشمس

٣٩ – لقد جاب جهات العالم الأربع ، وهو الذي سعى لينال الحياة الخالدة

٤٠ – وبجهده استطاع أن يصل إلى «أوتو–نبشتم» ، القاضي.

٤١ – (وأعاد الأحياء ؟) التي دمرها الطوفان

٤٢ – ......

٤٣ – من ذا الذي يضارعه في الملوكية ؟

٤٤ – مَنْ غير جلجامش من يستطيع أن يقول : أنا الملك!

٤٥ – ومن غيره من سمي جلجامش ساعة ولادته .

٤٦ – ثلثاه إله ، وثلثه الباقي بشر

٤٧ – لقد صممت هيئة جسمه الآلهة العظيمة

٤٨ – ٥٢ (مشوهة لا يمكن ترجمتها) .

العمود الثاني:

بعد أن خُلق جلجامش وأحسن الإله العظيم خلقه

حباه « شمش » السماوي بالحسن وخصه « أدد » بالبطولة(٦٣)

جعل الآلهة العظام صورة جلجامش تامة كاملة

كان طوله أحد عشر ذراعاًوعرض صدره تسعة أشبار

ثلثاه إله ، وثلثه الآخر بشر

وهيئة جسمه مخيفة كالثور الوحشي

وفتك سلاحه لا يضاهيه ويصده شيء

وعلى ضربات الطبل تستيقظ رعيته(٦٤)

لازم أبطال « أوروك »حجراتهم ناقمين مكفهرين

لم يترك « جلجامش » ابناً طليقاً لأبيه

لم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار

أهذا « جلجامش » ، راعي « أوردك » المسورة ؟

أهوراعينا القوي ، الكامل الجمال والحكمة(٦٥)

لم يترك جلجامش عذراء لأمها

ولاابنة المقاتل ولا خطيبة البطل .

وأخيراً استمع الآلهة إلى شكاتهم واستغاثتهم(٦٦)

فاستدعى آلهة السماء رب « أوردك » وقالوا له(٦٧) :

ألم تخلق « أورورو » هذا الثور الوحشي الجبار !

الذي لا يضاهي فتك أسلحته سلاح آخر

والذي تستيقظ رعيته على ضربات الطبل
جلجامش الذي لم يترك ابناً طليقاً لأبيه
وما فتئ يضطهد الناس بمظالمه ليل نهار
هو راعي «أوروك» المحصنة .
هو راعيهم ، وهو قوي وجميل وحكيم
إن جلجامش لم يترك عذراء لأمها
ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل»
استمع الإله «آنو» إلى شكواهم
ودعوا «أورورو»(٦٨) العظيمة وقالوا لها :
يا «آورورو» أنت التي خلقت هذا الرجل .
فاخلقي الآن غريماً له
وليكن مضاهياً له في قوة اللب والعزم
وليكونا في صراع مستديم ، لتنال «أوروك» الراحة والسلام .
حالما سمعت «أورورو» ذلك غسلت يديها
تصورت في لبها صورة لآنو
وغسلت «أورورو» يديها
وأخذت قبضة من الطين ورمتها في التربة
وفي التربة خلقت «أنكيدو» القوي ،
نسل «ننورتا»(٦٩)
يكسو جسمه الشعر الكث

وشعر رأسه كشعر المرأة

ونمت فروع شعر رأسه جدائل كشعر « نصابا »(٧٠)

لا يعرف الناس ولا البلاد

ويلبس لباساً مثل « سموقان »(٧١) ،

ومع الظباء يأكل العشب

ويتدافع مع الوحش عند مساقي الماء

ويسر قلبه مع الحيوان عند موارد الماء

(وحدث) أن صياداًقانصاً التقى به عند مورد الماء

وأبصره يوماً ثانياً وثالثاً عند مسقى الماء

ولما رآه الصياد شل وامتقع وجهه من الخوف

فدخل هو ووحوشه إلى بيته

وهو لا يزال مشلولاً مذعوراً

اضطرب قلبه ، وامتقع وجهه

حل بقلبه الرعب وصار وجهه كمن جاء من سفر بعيد

العمود الثالث :

(جاء) الصياد إلى أبيه وفتح فاه وقال له :

« يا أبي! رأيت عجيباً قد انحدر من التلال »(٧٢)

إنه أقوى من في البلاد ، وذو بأس شديد

وهو في شدة بأسه وقوته مثل عزم « آنو »(٧٣)

إنه يجوب التلال
يرعى الكلأ مع الحيوان البر
ويسقى معها عند مورد الماء
لقد ذعرت منه فلم أقوعلى الاقتراب منه
ملأ أوجارى(٧٤) التي حفرت
وقطع شباكي التي نصبت
فجعل الصيد وحيوان البر تفر من يدي
وحرمني من صيد البر»
ففتح أبوه فاه وخاطب الصياد ابنه قائلاً :
«يا بني! يعيش في «أوروك» جلجامش
الذي لا مثيل له في البأس والقوة
وهو في شدة بأسه مثل عزم «آنو»
فاذهب إلى «أوروك» ، وول وجهك شطرها
وانبىء جلجامش عن بأس هذا الرجل
وليعطك بغياً مومساً تصحبها معك أيهاالصياد
دعها تسيطر عليه وتروضه
وحينما يأتي ليستقي مع الحيوان من مورد الماء
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن عورتها ومفاتن جسمها
فحالما يراها فإنه سيقترب منها وينجذب إليها .
وعند ئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في التربة»

لقد أرهف السمع ووعى مشورة أبيه
وقصد الصياد جلجامش
أغذ السير في الطريق واستقر به المقام في « أوروك »
مثل أمام جلجامش وخاطبه قائلاً :
« هناك رجل عجيب انحدر من التلال
إنه أقوى من في البلاد ، وذو بأس شديد
وهو في شدة بأسه وقوته مثل عزم « آنو »
إنه يجوب البراري ويأكل العشب
ويرعى الكلأ مع حيوان البر ويستقي معها عند مورد الماء
لقد ذعرت منه فلم أقو على الاقتراب منه
لقد ملأ الأوجار التي حفرتها
ومزق شباكي التي نصبت
فجعل الصيد وحيوان البر تفر من يدي
لقد حرمني من القنص في البرية » .
فقال جلجامش له ، قال للصياد
« انطلق يا صيادي واصطحب معك بغياًمومساً »(٧٥)
وحينما يأتي إلى مورد الماء لسقي الحيوان
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن مفاتن جسمها وعورتها
فإذا ما رآها اقترب منها وانجذب إليها
وعند ئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في التربة »

فانطلق الصياد واصطحب معه البغي «المومس»
شرعا بالسفر وسارا قدما في الطريق
وفي اليوم الثالث بلغا الموضع المقصود
جلس الصياد والبغي في ذلك المكان ومكثا فيه .
مكثا يوماً ويوماً ثانياً عند مسقى الماء
جاء حيوان البر إلى المورد ليسقى الماء

العمود الرابع:

قصدت وحوش البر الماء ففرحت وسرت قلوبها
أما «أنكيدو» الذي كان مولده في التلال
والذي يأكل العشب مع الظباء ، ويرد الماء مع الحيوان
ويفرح لبه مع حيوان البر عند مسقى الماء
فإن البغي رأته ، رأت الرجل الوحش
أبصرت البغي المارد ، الآتي من قلب الصحاري
(فأسر إليها الصياد) : هذا هو أيتها البغي فاكشفي عن نهديك
اكشفي عن عورتك لينال من مفاتن جسمك
لا تحجمي ، بل راوديه وابعثي فيه الهيام
فإنه متى رآك انجذب إليك
انضي عنك ثيابك ليقع عليك
علمي الوحش الغر فن (وظيفة) المرأة

ستنكره حيواناته التي ربيت معه في صحرائه
إذا حفي بك وانعطف بحبه إليك
فأسفرت البغي عن نهديها وكشفت عن عورتها
فتمتع بمفاتن جسمها
لم تحجم بل راودته وبعثت فيه الشوق
نضت عنها ثيابها فوقع عليها
وعلمت الوحش الغر فن المرأة
فانجذب إليها وتعلق بها
لبث «أنكيدو» يتصل بالبغي ستة أيام وسبع ليال
وبعد أن شبع من مفاتنها
وجه وجهه إلى ألفه من حيوان الصحراء
فما إن رأت الظباء «أنكيدو» حتى ولت عنه هاربة
وهربت من قربه وحوش الصحراء
ذعر «أنكيدو» ووهنت قواه
خذلته ركبتاه لما أراد اللحاق بحيواناته
أضحى أنكيدو خائر القوى لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل
ولكنه صار فطناً واسع الحس والفهم
رجع وقعد عند قدمي البغي
وصار يطيل النظر إلى وجهها
ولما كلمته أصاخ بأذنيه إليها

كلمت البغي أنكيدو وقالت له :

« صرت تحوز على الحكمة يا أنكيدو وأصبحت مثل إله

فعلام تجول في الصحراء مع الحيوان ؟

تعال آخذك إلى « أوروك » ، ذات الأسوار

إلى« البيت » المقدس ، مسكن « آنو » و« عشتار »

حيث يعيش جلجامش الكامل الحول والقوة

المتسلط على الناس كالثور الوحشي »

ولما أن كلمته تقبل منها قولها

وفرح قلبه لأنه كان ينشد صاحباً له

فأجاب « أنكيدو » البغي وقال لها :

« هلمي أيتها البغي ، خذيني إلى « البيت » الطاهر ، مسكن آنو وعشتار حيث يحكم جلجامش الكامل الحول والقوة

والمتسلط على الناس كالثور الوحشي

وأنا سأتحداه وأغلظ له في القول

العمود الخامس:

وسأصرخ في قلب « أوروك » : أنا الأقوى

أجل! أنا الذي سأبدل المصائر

إن الذي ولد في الصحراء هو الأشد والأقوى »

(فقالت البغي) : « هلمّ نذهب كي يرى وجهك

سأدلك على جلجامش ، فأنا أعلم أين هو

أجل! تعال يا « أنكيدو » إلى « أوروك » ، المحصنة

حيث يلبس الناس أبهى الحلل

وفي كل يوم تقام الأفراح كالعيد

حيث. . . غلمان. . . الآسنو[٧٦]. . .

والفتيات. . . الحسان ؟

. . . . ينفح منهن العطر والطيب

اللواتي يخرجن العظماء من مضاجعهم ؟

وأنت يا أنكيدو الذي تنشد البهجة في العيش

سأريك جلجامش المبتهج بالحياة

وعليك أن تنظر إليه وتتفرس في وجهه

وستلقاه مزهواً برجولته وبأسه

وتحلّي جسمه المباهج والمفاتن

أنه أشد بأساً منك ، وهو لا يستقر مساء نهار

فيا أنكيدو خل عنك غلواءك وتبجحك

إن جلجامش يرعاه « شمش » ويحبه

وحباه « آنو » و« أنليل »و« اِيا » « بالفهم الواسع »[٧٧]

وقبل أن تأتي من الصحراء

سيراك جلجامش في الرؤى وهو في « أوروك »

وفعلاً استيقظ جلجامش في تلك اللحظة

وأخذ يقص على أمه[٧٨] رؤياه قائلاً لها :
« يا أمي لقد رأيت الليلة الماضية حلماً
رأيت أني أسير مختالاً بين الأبطال
فظهرت كواكب السماء
وقد سقط أحدها إلي وكأنه شهاب السماء « آنو »[٧٩]
أردت أن أرفعه ولكنه ثقل علي
وأردت أن أزحزحه فلم أستطع أن أحركه
تجمع حوله أهل بلاد « أوروك »
ازدحم الناس حوله وتدافعوا عليه
واجتمع عليه الأبطال
وقبل أصحابي قدميه....
أحببته وانحنيت كما أنحني على امرأة
ورفعته ووضعته عند قدميك
فجعلته نظيراً لي » .
فأجابت جلجامش أمه البصيرة العارفة وقالت له :
قالت : « ننسون » العارفة بكل شيء لجلجامش :
« إن رؤيتك نظيرك كوكب السماء[٨٠]
والذي سقط إليك وكأنه شهاب السماء(آنو)
والذي أردت أن ترفعه فثقل عليك
والذي أردت أن تزحزحه فلم تستطع

وأحببته وانحنيت عليه كما تنحني على امرأة

والذي وضعته عند قدمي

فجعلته أنا نظيراً لك

إنه صاحب قوي ، يعين الصديق (عند الضيق) سيأتي إليك

إنه أقوى من في البلاد وذو عزم شديد

وعزمه مثل عزم « آنو » وذو بأس شديد

وأما أنك أحببته فانحنيت عليه كما تنحني على امرأة

فمعناه أنه سيلازمك ولن يتخلى عنك

وهذا هو تفسير رؤياك » .

ثم قص جلجامش على أمه حلماًثانياً وقال :

« يا أمي رأيت رؤيا ثانية

في« أوروك » ، المحصنة ،رأيت فأساً مطروحة

تجمع أهل أوروك عندها وازدحم الناس حولها

أحببتها وانحنيت عليها كأنها امرأة

ثم وضعتها عند قدميك فجعلتها أنت نظيراً لي »

فقالت أم جلجامش الحكيمة المحبوبة لابنها

قالت ننسون الحكيمة البصيرة لجلجامش :

« إن الفأس التي رأيت رجل

وأما أنك أحببتها وانحنيت عليها كما تنحني على امرأة

والتي سأجعلها أنا نظيراً لك

فتعبيره أنه صاحب قوي يعين الصديق سيأتي إليك
إنه أقوى من في البلاد وذو عزم شديد
وهو في شدة بأسه مثل عزم «آنو»
ففتح جلجامش فاه وقال مخاطباً أمه :
«عسى أن يتحقق هذا الفأل بمشيئة أنليل العظيم
فيكون لي صاحب وصديق ناصح
وسأكون له صاحباً وصديقاً وفياً
وحينما كان جلجامش يستفسر عن رؤياه الثانية[٨١]
كانت البغي تحادث أنكيدو وهو جالس قدامها
وكان الاثنان يمارسان الهوى وملذاته
لقد نسي أنكيدو المكان الذي ولد فيه في البراري
ولبث «أنكيدو» يجامع البغي ستة أيام وسبع ليال
ثم كلمت البغي «أنكيدو» وقالت له :
«كلما نظرت إليك يا «أنكيدو» ، بدوت لي مثل إله
فعلام تجول في الصحراء وترعى مع الحيوان
تعال أقودك إلى «أوروك» ، ذات الأسواق[٨٢]
إلى البيت المقدس ،مسكن «آنو»
انهض يا «أنكيد» لآخذ بيدك إلى «إِي-أنا» ، مسكن «آنو»
إلى حيث جلجامش المكتمل القوة والفعال
وأنت ستحبه كما تحب نفسك

فهيا وانهض من على الأرض ، فراش الراعي »
لقد سمع كلامها وتقبل قولها
وقع نصح المرأة في لبه موقع الرضا
ثم شقت ثوبها شقين ، ألبسته بواحد منهما واكتست بالثاني
وأمسكت به من يده وقادته كما يقاد الطفل
أخذته إلى كوخ الرعاة ، إلى موضع الحظائر
فتجمع الرعاة حوله

العمود الثالث:

ربي على رضاع لبن الحيوانات البرية
ولما وضعوا أمامه طعاماً تحير واضطرب ،
وصار يطيل النظر إليه
أجل لا يعرف « أنكيدو » كيف يؤكل الخبز
لأنه شب على رضاع لبن حيوان البر
ولم يعرف كيف يؤكل الخبز
ولا كيف يشرب الشراب القوي
ففتحت البغي فاها وخاطبت« أنكيدو » :
« كل الطعام يا أنكيدو ، فإنها سنة الحياة
وأشرب من الشراب القوي ، فهذه عادة البلاد »
فأكل « أنكيدو » من الطعام حتى شبع

وشرب من الشراب القوي سبعة أقداح
فانطلقت روحه وانشرح صدره وطرب لبه ونور وجهه
نظف جسده المشعر ومسحه بالزيت
وأضحى إنساناً ، لبس اللباس وصار كالعريس
أخذ سلاحه وانطلق يطارد الأسود ليريح الرعاة في المساء
اصطاد الذئاب وقهر الأسود
فاستطاع الرعاة أن يهجعوا في الليل مطمئنين
صار أنكيدو حارسهم وناصرهم
إنه الرجل القوي والبطل الأوحد

العمود الرابع:

.........(٨٣)

لقد سر(أنكيدو) وأقام الأفراح(٨٤)
ولما رفع عينيه أبصر رجلاً
فقال للبغي آتيني بالرجل يا بغي
فعلام جاء إلى هنا ؟
دعيني أعرف اسمه
نادت البغي على الرجل ،
فجاء إليه ورآه فقال له :
علام أنت مسرع أيها الرجل ؟

وعلام عانيت هذا السفر الشاق ؟

ففتح الرجل فاه وقال ل «أنكيدو»[٨٥]

لقد اقتحم «بيت الاجتماع»

الذي خصص لتقدير مصائر الناس[٨٦] وللاعراس . ؟

لقد أحل في المدينة العار والدنس

وفرض على المدينة المنكودة المنكرات وأعمال السخرة

لقد خصصوا الطبل إلى ملك« أوروك» ، ذات الأسواق

ليختار على صوته العروس التي يشتهيها ؟

إلى جلجامش ، ملك أوروك ، ذات الأسواق

يخصصون الطبل ليختار العرائس قبل أزواجهن

فيكون هو العريس الأول قبل زوجها[٨٧]

(وهم يقولون) : لقد أراد الآلهة هذا الأمر

وقدروه له منذ أن قطع حبل سرته»

ولما فاه الرجل بهذا القول امتقع وجه «أنكيدو»

.........[٨٨]

العمود الخامس:

سار أنكيدو إلى الأمام وخلفه البغي

ولما دخل «أوروك» ، ذات الأسواق الواسعة

تجمع الناس حوله

حين وقف في شارع «أوروك» ذات الأسواق ،

تجمهر الناس حوله وقالوا عنه :

إنه مثيل لجلجامش في البنية

ولكنه أقصر قامة وأقوى عظماً

إنه أقوى من في البلاد ، وذو بأس شديدٍ

لقد رضع لبن حيوان البر في البادية

وفي «أوروك»لن تنقطع قعقعة السلاح[٨٩]

فرح الأبطال وهللوا قائلين :

لقد ظهر بطل ند وكفوء للبطل الجميل

أجل ظهر لجلجامش ، الشبيه بالإله ، نظيره ومثيله

ولما هيّىءالفراش لـ «أشخارا»[٩٠]

واقترب جلجامش ليتصل بالآلهة مساء

وقف «أنكيدو» في الدرب يسد الطريق بوجهه

العمود السادس:

......(نقص من نحو ١٣سطراً)

أي جلجامش «أنكيدو» الهائج

الذي ولد في البادية ويجلل رأسه الشعر الطويل

فانقض عليه وهاجمه

تلاقيا في موضع سوق البلاد

سد «أنكيدو» الباب بقدميه

ومنع جلجامش من الدخول

امسك أحدهما بالآخر وهما متمرسان (بالصراع)

وتصارعا وخارا خوار ثورين وحشيين

حطما عمود الباب وارتج الجدار

وحينما انثنى جلجامش ركبته وقدمه ثابتة في الأرض (ليرفع أنكيدو)

واستدار ليمضي

هدأت سورة غضبه

كلمه «أنكيدو» وقال له :

«أنك الرجل الأوحد ، أنت الذي ولدتك أمك »

ولدتك أمك «ننسوناً» ، البقرة الوحشية المقدسة

ورفع «أنليل» رأسك عالياً على الناس

وقدر إليك الملوكية على البشر »

الفصل الثاني: أسفار جلجامش وأنكيدو ومغامراتهما

رأينا كيف انتهت المصارعة بين البطلين بأن انعقدت أواصر الصداقة ما بينهما وصارا خلين حميمين ، يلازم أحدهما الآخر ، وشرعا بالقيام بسفر طويل في مغامرة إلى غابة «الأرز» المسحورة التي يحرسها العفريت «خمبابا» . وهوموضوع هذا الفصل الذي خصصنا له نصوص الألواح الثالث والرابع والخامس والسادس . وتكون بداية اللوح الثالث (الذي جاءنا بنسختين : آشورية وبابلية قديمة)[٩١] مخرومة ، ولذلك لا سبيل إلى معرفة الدوافع التي دفعت البطلين إلى ركوب تلك المغامرة . ولكن يبدو من القصص الأخرى المتعلقة بالموضوع أن الباعث كان مجرد تحقيق أعمال البطولة . وفي قصة سومرية من قصص جلجامش (انظر الملاحق) . نجد هذا البطل يقصد غابة الأرز ليضع اسمه في سجل الآلهة والأبطال الخالدين . ولعل الذي عجل جلجامش للشروع في سفره البعيد أنه أراد أن يرفه عن صديقه «أنكيدو» ، الذي يبدو أنه سئم حياة الحضارة ، وحن إلى حياته الأولى في البراري والبوادي . وبعد الخرم في بداية اللوح الثالث وبعد أن يصبح النص واضحاً نجد «أنكيدو» يحاور صديقه في عزمه على السفر إلى «غابة الأرز» :

اللوح الثالث : (نسخة من العهد البابلي القديم) وهي محفوظة في متحف جامعة ييل الأمريكية (انظر :

Yale Oriental series, IV, 3, pls 1-7.

ANET, (3rd ed.) 1969, p. 78.

علام أنت راغب في تحقيق هذا الطلب(*)

ولم عقدت العزم على الذهاب إلى الغابة ؟

. . . .

قبّل أحدهما الآخر وعقدا أواصر الود ما بينهما

. . . .

أم جلجامش المتمرسة بكل شيء ، رفعت يديها إلى « شمش»

العمود الثاني:

(نقص من نحو ٢٥ سطراً)

. . . .

ملأ الأسى قلب « أنكيدو » واغرورقت عيناه بالدموع

وأطلق الحسرات والآهات

فواساه جلجامش وكلّمه قائلاً :

«لماذا اغرورقت عيناك بالدموع يا صديقي ؟

ولم ملأ الأسى لبك وصرت تصعد الزفرات »

فتح « أنكيدو » فاه وقال لجلجامش :

(*) - لم يبق من العمود الأول من هذا اللوح سوى أسطرٍ قليلة .

«يا صديقي أشعر بالعبرات تخنقني
لقد تراخى ساعداي
واستحالت قوتي وهناً
فخاطب جلجامش «أنكيدو» وقال له :

العمود الثالث:

«يسكن في الغابة «خمبابا»[٩٢] الرهيب
فلنقتلنه كلانا أنا وأنت
لكي نزيل الشر من البلاد
. . . .
فتح «أنكيدو» فاه وقال لجلجامش :
«يا صديقي لقد علمت حينما كنت أجول
في التلال والبراري الواسعة مع حيوان البر
أن الغابة تمتد مسافة عشرة آلاف ساعة في كل جهة[٩٣]
فمن يجرؤ على الإيغال في داخلها
و «خمبابا» زئيره عبابُ الطوفان
تنبعث من فمه النار ، ونَفَسُه الموت الزؤام
فعلام ترغب في القيام بهذا الأمر
«خمبابا» لا قبل لأحد بهجومه مثل ماكنة الحصار .
ففتح جلجامش فاه وقال ل «أنكيدو» :

«عزمت لأرتقين جبال الأرز .

وأدخل الغابة ، مسكن «خمبابا»

وسآخذ معي فأساً لأستعين بها في القتال

أما أنت فامكث هنا ، وسأذهب أنا وحدي

. . . . . (نحو ٨ أسطر مخرومة)

ففتح «أنكيدو» فاه وقال لجلجامش :

«كيف سندخل غابة الأرز يا جلجامش ،

وإن حارسها مقاتل ، وهو قوي لا ينام»

. . . . . (ثلاثة أسطر مشوهة)

ولحفظ غابة الأرز عيّنه «أنليل» ،

وجعل هيئته تبعث الرعب في الناس .

خمبابا زئيره مثل عباب الطوفان

فتح جلجامش فاه وقال لأنكيدو :

«يا صديقي ، من الذي يستطيع أن يرقى إلى السماء

فالآلهة وحدهم هم الذين يعيشون إلى الأبد مع «شمش»[٩٤]

أما البشر فأيامهم معدودات[٩٥]

وكل ما عملوا عبث يذهب مع الريح[٩٥]

لقد صرت تخشى الموت ونحن ما زلنا هنا

فماذا دهى قوة بطولتك

دعني إذن أتقدم قبلك وليناديني صوتك :

« تقدم! ولا تخف! »

وإذا ما هلكت فسأخلد لي إسماً ، (وسيقولون عني)

من بعد أن تولد الأجيال الآتية فيما بعد

« لقد هلك جلجامش في نزاله مع خمبابا المارد »

. . . . . (نحو ستة أسطر مشوهة ، ويبدو أن الكلام الذي يلي لجلجامش) :

« بقولك هذا أحزنت قلبي

على أنني سأمد يدي وأقطع أشجار الأرز

ولاكوّن لي اسماً خالداً

وسأصدر يا صديقي أوامري إلى صانعي السلاح

وسيصنعون السلاح بحضورنا »

صدرت الأوامر إلى صانعي السلاح فاجتمعوا وتشاوروا

صنعوا أسلحة عظيمة : سبكوا فؤوساً تزن كل منها ثلاث وزنات[٩٦]

وسبكوا سيوفاً كبيرة تصل كل منها وزنتين وقبضاتها ثلاثين « منا »[٩٦]

وسيوفاً (أغمادها) من ذهب يزن الواحد منها ثلاثين منا

وتسلح جلجامش و « أنكيدو » بأسلحة زنتها عشر وزنات .

تجمع الناس في شوارع « أوروك » ازاء الباب ذي المزاليج السبعة

وشاهد الناس جلجامش في دروب « أوروك » ، ذات الأسواق

وجلس شيبُ أوروك قدام جلجامش فخاطبهم

وقال لهم هكذا :

« اسمعوا يا شيب (شيوخ) « أوروك » ، ذات الأسواق :

أريد ، أنا جلجامش ، أن أرى من يتحدثون عنه

ذلك الذي ملأ اسمه البلدان بالرعب

عزمت على أن أغلبه في غابة الأرز

وسأسمع البلاد بأنباء ابن « أوروك »

فتقول عني : ما أشجع سليل أوروك وما أقواه!

سأمد يدي وأقص الأرز فأسجل لنفسي اسماً خالداً

فأجاب شيب « أوروك » ، ذات الأسواق ، وقالوا لجلجامش :

يا جلجامش أنت ما زلت شاباً وقد حملك قلبك مدى بعيداً

وأنت لا تعرف عاقبة ما أنت مقدم عليه

إننا سمعنا عن « خمبابا » أن بنيته غريبة مخيفة

فمن ذا الذي يصمد ازاء أسلحته ؟

والغابة تمتد عشرة آلاف « ساعة مضاعفة » في كل الجهات

فمن ذا الذي يستطيع أن يوغل في داخلها

وأما « خمبابا » فزئيره عباب الطوفان

وتنبعث من فيه شواظ النيران ونَفَسُه الموت

فعلام رغبت في الإقدام على هذا الأمر ؟

لا قبل لأحد أن يصمد ازاء « خمبابا » .

ولما سمع جلجامش هذا الكلام من ناصحيه تلفت حوله

وتطلع إلى صاحبه وضحك (قائلاً) :

كيف سأجيبهم يا صاحبي ؟

أأجيبهم بأنني أخاف من خمبابا ؟

وسأظل ملازماً بيتي طوال أيام حياتي الباقية ؟

. . . . (يكون النص في الأسطر القليلة التالية مشوهاً ، ويبدو من الكلمات القليلة الباقية أنها تتضمن كلام جلجامش إلى

صديقه أنكيدو . وبعد هذا النقص نجد شيوخ أوروك

يخاطبون جلجامش داعين له بالتوفيق) :

ثم خاطب شيب (شيوخ) أوروك جلجامش وقالوا له :

عسى أن ينصرك إلهك الحامي(٩٧)

وعساه أن يرجعك سالماً في طريق عودتك إلى بلدك

ويعيدك سالماً إلى ميناء «أوروك»

ثم سجد جلجامش للإله «شمش» ودعا قائلاً :

«إنني ذاهب يا شمش وإليك أرفع يدي بالدعاء

ارجعني سالماً إلى ميناء «أوروك»

عسى أن تنال روحي الخير والبركة

وانشر علي ظلك واشملني بحمايتك

ثم دعا جلجامش صديقه واستطلع فاله

. . . . (انخرام نحو ٦ أسطر من النص ، ويبدو من أول سطر من النص الباقي أن طالعه لم يسعفه) :

اللوح السادس:

انهمرت الدموع على وجه جلجامش

. . . . (خمسة أسطر مخرومة)

جاؤوا إليه بأسلحته وقلدوه السيوف العظيمة

زودوه بالقوس والكنانة ، وأخذ معه الفؤوس

تنكب قوس « أنشان »[٩٨] وتقلد سيفه

وجاء الناس إلى جلجامش وتمنوا له قرب العودة

وباركه الشيب (الشيوخ) وأسدوا له النصح في سفره

وقالوا له :

« أيها الملك كنا نطيعك في مجلس الشورى[٩٩]

فاستمع إلينا وخذ بمشورتنا أيها الملك

لا تتكل على قوتك وحدها يا جلجامش

تبصر في أمرك واحم نفسك

دعه يتقدم في الطريق وابق على نفسك

دع « أنكيدو» يسير أمامك ، فإنه يعرف الطريق وقد سلكه

إنه يعرف الطريق إلى الأرز ، دعه يتوغل في مسالك خمبابا

وإن من يسير في الطليعة يحمي صاحبه

ليأخذ الحذر ويتبصر في حماية نفسه

وعسى « شمش » أن يجعلك تنال رغبتك

وعساه يُري عينيك ما قاله فمك

وعساه أن يفتح لك السبيل المسدود

ويفتح الطريق لمسراك ، ويمهد مسالك الجبال لقدميك

عسى الليل أن يأتيك بما يسرك ويفرحك

وعسى أن يقف «لوگال بندا»[١٠٠] بجانبك

ويجعلك تحقق رغبتك

ومثل الطفل عساك أن تحقق امنيتك

وبعد قتل «خمبابا» الذي تسعى لتحقيقه اغسل قدميك

وعند استراحتك مساء احفر بئراً

ولتكن قربتك ملأى بالماء النقي على الدوام

قرّب الماء البارد إلى «شمش»

وردِّد ذكرَ «لوگال بندا» دائماً

العمود الثالث:

النص الآشوري:

ففتح جلجامش فاه وقال لأنكيدو :

«هلم بنا يا صاحبي إلى (معبد) «اِي گال-ماخ»

إلى حضرة «ننسون» ، الملكة العظيمة

فإن «ننسون» ، الحكيمة البصيرة بكل معرفة

ستمحضنا النصح وتسدد خطانا» (تثبت أقدامنا)

فسار جلجامش وأنكيدو وقصدا «اِي گال-ماخ»

مثل جلجامش بحضرة « ننسون » ، الملكة العظيمة
دخل جلجامش واقترب منها وقال :
« يا ننسون لقد اعتزمت أمراً جسيماً
اعتزمت سفراً بعيداً ، إلى موطن « خمبابا »
إنني مقدم على قتال لا أعرف عاقبته
ومزمع على السير في طريق لا أعرف مسالكه
فحتى اليوم الذي أذهب فيه وأعود
والى أن أبلغ غابة الأرز العظيمة
وأذبح خمبابا المارد
وأمحو من على الأرض كل شر يمقته « شمش »
تشفعي لي عند « شمش » ، (وصلي له من أجلي) »
واذ ذاك دخلت « ننسون » حجرتها
وارتدت حلة تليق بجسمها
وازينت بحلى تليق بصدرها
ووضعت على رأسها تاجها
ثم ارتقت إلى السطح وتقدمت إلى « شمش »
وأحرقت البخور
قدمت قربان البخور ورفعت يديها إلى « شمش » وقالت :
« علام أعطيت ولدي جلجامش قلباً مضطرباً لا يستقر ؟
والآن حثثته فاعتزم سفراً بعيداً ، إلى موطن « خمبابا »

سيلاقي نزالاً لا يعرف عاقبته
وسيسير في طرق لا يعرف مسالكها
فحتى اليوم الذي يذهب فيه ويعود
وحتى يبلغ غابة الأرز .
ويقتل خمبابا المارد
ويمحو من على الأرض كل شر تمقته
عسى عروسك «آي»[١٠١] أن تذكرك به
ولتوكل به حراس الليل والكواكب وأباك «سين»
حينما تحتجب أنت في المساء[١٠٢]

العمود الرابع:

. . . . (نقص كبير في اللوح)
ثم أطفأت البخور وعوذت وأحضرت الكاهنات
والبغايا المقدسات والمتبتلات
ودعت إليها «أنكيدو» وأوصته قائلة :
«يا أنكيدو» القوي ، الذي ليس من رحمي ،
قد اتخذتك منذ الآن ولداً
ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقاً منه
وقالت له :
«ها إنني أئتمنك على ولدي فارجعه الي سالماً

. . . . (نقص كبير في النص حيث ينخرم معظم الحقل الرابع والحقل الذي يليه بأجمعه ، ويستمر النقص في اللوح الرابع «النص الآشوري») ، والنصوص المخرومة بلا شك تتضمن وصف سفر البطلين إلى غابة الأرز ولم يبق من أخبار ذلك سوى كسر ذات نصوص مقطعة وبالنظر إلى كثرة النواقص في اللوحين الرابع والخامس رأينا أن نترجم ما بقي منهما ترجمة ملخصة وبشيء من التصرف :

بعد سفر عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بقليل من الزاد

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل

ثم انطلقا سائرين (خمسين) ساعة مضاعفة أثناء النهار

وقطعا مدى سفر شهر ونصف الشهر في ثلاثة أيام[١٠٢]

وحفرا بئرا وقربا إلى الإله «شمش»

وبعد أن قطعا تلك المسافة الطويلة شارفا مدخل الغابة

وكان مدخلاً عجيباً بهرهما مشهده . إنهما لم يصلا بعد إلى الغابة

ولكن أشجار الأرز في المدخل كان منظرها عجيباً

فكان علوها اثنتين وسبعين ذراعاً ، وعرض المدخل أربعاً وعشرين ذراعاً

ووجدا عنده عفريتاً عينه «خمبابا» ليحرسه

فشجع «أنكيدو» صديقه جلجامش أن يتقدم

ليأسر الحارس قبل أن يأخذ سلاحه

فتشجع جلجامش ، وأسرع الصديقان وهجما عليه وقتلاه

ولكن لما أراد «أنكيدو» الدخول إلى الغابة شلت قواه

بتأثير الباب المسحور ، فنادى جلجامش وحذره من الدخول

ولكن جلجامش شجع صديقه قائلاً :

أبعد أن عانينا هذه الصعاب

وقطعنا هذا السفر البعيد نعود من حيث أتينا خائبين ؟

أنت الذي مارست النزال والصعاب ، تشجع وكن بجانبي ،

فتعود إليك شجاعتك ويفارقك الرعب والشلل

أيليق بصديقي أن يحجم ويتخلف ؟

كلا يا صديقي علينا أن نتقدم ونوغل في قلب الغابة

وسيحمي أحدنا الآخر ، وإذا ما سقطنا في النزال

فسنخلف من بعدنا اسماً خالداً .

استطاع البطلان أن يجتازا مدخل الغابة ووصلا إلى قلبها فأبصرا الجبال الخضر ، وذهلا من مشهد غابة الأرز وسحر جمالها ثم تتبعا المسالك التي يسير فيها عفريت الغابة «خمبابا» وشاهدا من بين ما شاهدا جبل أرز خاص بالآلهة ، حيث أقيم عرش الآلهة «ارنيني» (عشتار) وحيث تتعالى أشجار الأرز أمام ذلك الجبل بظلالها الوارفة التي تبعث البهجة والسرور وعند غروب الشمس حفر جلجامش بئراً وقرب منها .

وارتقى الجبل وسكب الماء المقدس وقرب الطعام

ودعا الجبل أن يريه حلماً يبشره بالفرح

ثم اضطجع الصديقان للراحة وسرعان ما أدركهما النوم

فرأى جلجامش رؤيا

ثم استيقظ فقص رؤياه على صديقه وقال :

«يا صديقي من ذا الذي ايقظني إن لم تكن أنت ؟

يا صديقي رأيت رؤيا ، رأيت إننا نقف في هوة جبل

ثم سقط الجبل فجأة ، وكنا أنا وأنت ، كأننا ذباب صغار

ورأيت في حلمي الثاني الجبل وهو يسقط

فصدمني وامسك بقدمي . ثم انبثق نور وهاج طغى لمعانه وسناه على هذه الأرض فانتشلني من تحت الجبل وسقاني الماء فسر قلبي » .

فأجاب « أنكيدو » صديقه جلجامش وفسر رؤياه قائلاً :

« إن رؤياك ، يا صاحبي ، ذات مغزى حسن وبشرى سارة

إن الجبل الذي سقط عليك هو « خمبابا » ، ونحن سنتغلب عليه ونقتله » .

ثم تسلقا الجبال مرة أخرى ورأى جلجامش رؤيا أخرى

فسرها بأنها بشائر على نجاحهما في لقائهما مع العفريت « خمبابا »

ودنت ساعة اللقاء الحاسمة لما بدأ جلجامش يقطع أشجار الأرز بفأسه ، اذ سمع « خمبابا » الصوت

فغضب وهاج وزمجر صائحاً : « من الداخل المتطفل

الذي كدر صفو الغابة وأشجارها الباسقة في جبلي ؟

ومن ذا الذي قطع أشجار الأرز ؟ »

وتهيأ خمبابا للهجوم على الصديقين اللذين استحوذ عليهما الرعب وندما على المغامرة ودخول غابة الأرز

وأخذا يتضرعان إلى الإله (شمش) ليعينهما على الخلاص من الهلاك ، فاستجاب لهما الإله ، وانقلبت الآية ،

حيث أهاج « شمش » الرياح العاتية وساقها على « خمبابا »

فأمسكت به وشلت حركته ، فاستسلم لهما

وأخذ يتضرع لهما أن يبقيا عليه ويأسراه فيكون خادماً لجلجامش ويجعل الغابة المسحورة وأشجارها ملك يديه .

فرق قلب جلجامش وكاد أن يبقي عليه ، ولكن صديقه «أنكيدو» حرضه على قتله ، فقتلاه وقطعا رأسه .

وتنتهي مغامرة غابة الأرز بنجاح البطلين وعودتهما إلى «أوروك» .

عودة البطلين الى «أوروك» واحتفالهما بالنصر

اللوح السادس:

غسل (جلجامش) شعره الطويل وصقل سلاحه

وأرسل جدائل شعره على كتفيه

وخلع لباسه الوسخ واكتسى حللا نظيفة

ارتدى حلة مزركشة وربطها بزنار

ولما لبس جلجامش تاجه

رفعت «عشتار» الجليلة عينيها

ورمقت جمال جلجامش (فنادته) : -

«تعال جلجامش وكن حبيبي الذي اخترت[١٠٤]

«امنحني ثمرتك (بذرتك) أتمتع بها

ستكون أنت زوجي وأكون زوجك

سأعدُ لك مركبة من حجر اللازورد والذهب

عجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز[١٠٥]

وستربط لجرها «شياطين الصاعقة» بدلاً من البغال الضخمة
وفي بيتنا ستجد شذا الأرز يعبق فيه إذا ما دخلته ،
إذا ما دخلت بيتنا
فستقبل قدميك العتبة والدكة
سينحني خضوعاً لك الملوك والحكام والأمراء
وسيقدمون لك الأتاوة من نتاج الجبل والسهل
وستلد عنزاتك «ثلاثاً ثلاثاً» وتلد نعاجك «التوائم»
وحميرك ستفوق البغال في الحمل
وسيكون لخيول مركباتك الصيت المعلى في السبق
وثورك لن يكون له مثيل وهو في النير»
ففتح جلجامش فاه وأجاب عشتار الجليلة :-
«ماذا علي أن أعطيك لو أخذتك (زوجة) ؟
هل سأعطيك السمن والكساء لجسدك ؟
هل سأقدم لك الخبز والطعام
وأي أكل وشراب سأعطيك مما يليق بسمة الآلوهية والملوكية ؟
.... (ثلاثة أسطر مشوهة لايمكن ترجمتها)
«أي خير سأناله لو أخذتك (زوجة) ؟
أنت! ما أنت إلا الموقد الذي تخمد ناره في البرد
أنت كالباب الخلفي لايصد ريحاً ولا عاصفة
أنت قصر يتحطم في داخله الأبطال

أنت فيل يمزق رحله(١٠٦)

أنت قير يلوث من يحمله

أنت قربة تبلل حاملها

أنت حجر مرمر ينهار جداره ؟

أنت حجر « يَشب »(*) يستقدم العدو ويغريه ؟

وأنت نعل يقرص عدم منتعله

أي من عشاقك من أحببته على الدوام ؟

وأي من رعاتك من أرضاك دائماً ؟

تعالي أقص عليك (مآسي) عشاقك :

من أجل تموز حبيب (صباك)

قضيت بالبكاء والنواح عليه سنة بعد سنة(١٠٧)

لقد رمت (طير) الشقراق المرقش(١٠٨)

ولكنك ضربته وكسرت جناحيه

وها هو الآن حاط في البساتين يصرخ نادباً :

« جناحي! جناحي »(١٠٩)

ورمت بحبك الأسد الكامل القوة

ولكنك حفرت (للإيقاع به) سبع وسبع وجَرَات(**)

(*) - ترجمة مشكوك فيها ، وقد ترجمها الباحث « سپايزر » بعبارة : « أنت ماكنة حصار تخرب بلد الأعداء » ANET, (1969) 3, p. 48.

(**) - لاحظ التعبير عن رقم ١٤ سبعة وسبعة ، وهو تعبير شعائري (طقوسي) . ويرد الاستعمال نفسه في اللوح الحادي عشر (ص١٦٦) ومقارنة ذلك بالتعبير اليوناني « ديس هبتا » أي « سبعتين » والوجرة الحفرة لاصطياد الحيوانات .

ورمت الحصان المجلى في البراز والسباق
ولكنك سلطت عليه السوط والمهماز والسير
وحكمت عليه بالعدو شوط سبع ساعات مضاعفة
وقضيت عليه أن لايرد الماء إلا بعد أن يعكره[110]
وقضيت على أمه «سليلي» أن تواصل البكاء والندب عليه
وأحببت راعي القطيع
الذي لم ينقطع يقدم إليك أكداس الخبز
وينحر الجداء ويطبخها لك كل يوم
ولكنك ضربته وحولته ذئباً
وصار يطارده الآن الفه من حماة القطيع
وكلابه تعض ساقيه
وأحببت (إيشو لنو) ، بستاني أبيك
الذي حمل إليك سلال التمر بلا انقطاع
وجعل مائدتك عامرة بالوفير من الزاد كل يوم
ولكنك رفعت إليه عينيك فراودته وقلت له :
تعال يا حبيبي «إيشو لنو» ، ودعني أتمتع برجولتك
مدّ يدك والمس مفاتن جسمي»
فقال لك «إيشو لنو» :
ماذا ترومين مني ؟
ألم تخبز أمي فآكل من خبزها

حتى آكل خبز الخنا والعار ؟
وهل يدرأ كوخ القصب (الحلفاء) الزمهرير[١١١]
وأنت لما سمعت قوله هذا
ضربته بعصاك ومسخته ضفدعاً[١١٢]
ووضعته وسط البساتين
فلا يستطيع أن يعلو مرتفعاً ولا ينزل منحدراً
فإذا أحببتني فستجعلين مصيري مثل هؤلاء »
ولما سمعت عشتار هذا
استشاطت غيظاً وعرجت (علت) إلى السماء
صعدت عشتار ومثلت أمام أبيها « آنو »
وفي حضرة أمها « آنتُم » ، جرت دموعها وقالت :
يا أبي إن جلجامش سبني وأهانني (عزرني)
لقد عدد جلجامش مثالبي وعاري وفحشائي
ففتح « آنو » فاه وقال لعشتار الجليلة :
ألم تكوني السبب ؟ ألم تتحرشي بجلجامش الملك فجنيت الثمرة
فعدد جلجامش فحشاءك وعارك ومثالبك »
ففتحت عشتار فاها وقالت لآنو ، أبيها :
«اخلق لي يا أبت ثوراً سماوياً
ليغلب جلجامش ويهلكه
وإذا لم تعطني الثور السماوي

فلأحطمن أبواب العالم الأسفل

وأجعل أعاليها أسافلها

وأدع الموتى يقومون فيأكلون كالأحياء[١١٣]

ويصبح الأموات أكثر عدداً من الأحياء

ففتح «آنو» فاه وأجاب عشتار الجليلة وقال :

لو فعلت ما تريدينه مني وزودتك بالثور السماوي

لحلت في الأرض «أوروك» سبع سنين عجاف[١١٤]

فهل جمعت غلالاً لهذه السنين العجاف

وهل هيأت العلف للماشية ؟ »

فتحت «عشتار» فاها وأجابت أباها «آنو» قائلة :

لقد جمعت «بيادر» الحبوب للناس

وخزنت العلف للماشية

فلو حلت سبع سنين عجاف

فقد خزنت غلالاً وعلفاً

تكفي الناس والحيوان

ولما سمع كلامها سلم عشتار

سلسلة مقود الثور السماوي

فأخذته وقادته إلى الأرض ،

أنزلته في أرض «أوروك»

. . . . (ينخرم من النص في هذا الموضع نحو ٨ أسطر ولكن

يتضح من النص الذي يلي ومن سياق القصة أن آنو استجاب لطلب عشتار فخلق لها الثور السماوي) :

هبط الثور السماوي وأخذ ينشر الرعب والفزع

وقضى في أول خوار له على مئة رجل ثم مئتين وثلاثمئة

وقتل في خواره الثاني مئة ومئتين وثلاثمئة

وفي خواره الثالث هجم على «أنكيدو»

ولكن «أنكيدو» صد هجومه

قفز «أنكيدو» وضبط (مسك) الثور السماوي من قرنيه

فرشق الثور السماوي وجهه بزبده ورغائه

وقذفه بالروث بذيله

ففتح «أنكيدو» فاه ، وقال لجلجامش :

لقد تبجحنا يا صاحبي ...

فكيف سنجيب ...

.... (نقص مقداره نحو ١٠ أسطر مضمونها يدور على المصارعة التي نشبت بين البطلين وبين الثور السماوي كما يدل على ذلك النص الذي يلي) :

ينبغي أن نقسم العمل فيما بيننا

أنا أمسك بالثور من ذيله

وينبغي أن يكون طعن السيف ما بين السنام والقرنين

فطارد «أنكيدو» ثور السماء ليمسك به

وأمسك به من ذيله وضبطه بكلتا يديه

وجلجامش ، مثل قصاب ماهر ،
طعن الثور السماوي طعنة قاتلة
وغرس حسامه ما بين السنام والقرنين
وبعد أن أجهزا على الثور السماوي اقتلعا قلبه
وقرباه إلى الإله «شمش» ، وسجدا له
وقعد الأخوان كلاهما واستراحا
(أما) عشتار فانها أعتلت فوق أسوار «أوروك» المحصنة
قفزت فوق الشرفات وقذفت بلعناتها (صارخة) :
«ألويل لجلجامش» الذي دنسني وأهانني لأنه قتل ثور السماء
ولما سمع «أنكيدو» هذا القول من عشتار
قطع فخذ الثور السماوي (الأيمن) وقذفه بوجهها وقال :
«لو أمسكت بك لفعلت بك مثل ما فعلت به
ولربطت أحشاءه بجنبيك»
فجمعت عشتار المترهبات وبغايا (المعبد) والمومسات
وأقامت المناحة والبكاء على فخذ الثور السماوي الأيمن .
أما جلجامش فإنه دعا الصناع ، وصانعي السلاح كلهم
فانبهر الصناع من كبر قرنيه وثخنهما
فإن كلاً منهما من حجر اللازورد بزنة ثلاثين منا[١١٥]
وثخن طلاء كل منهما اصبعان
ومقدار ستة «كرات» من السمن سعة كليهما[١١٦].

فقرب بمقدار ذلك زيتاً للمسح إلى آلهة (الحامي) «لوكال بندا»

أخذهما وعلقهما في حجرة نومه الزاهية

ثم غسلا أيديهما في نهر الفرات

وعانق كل منهما الأخر وهما سائران في الطريق

سارا راكبين في درب السوق في «أوروك»

فاجتمع أهل «أوروك» ليشاهدوهما

وصار جلجامش يخاطب (مغنيات)[١١٧] أوروك ويردد :

«من الأزهى بين الأبطال ؟

ومن الأمجد بين الرجال ؟»

فيجبنه : «جلجامش الأزهى بين الأبطال ؟

جلجامش الأزهى بين الرجال»

. . . . (انخرام في النص)

تلك التي قذفناها بفخذ الثور السماوي ونحن غضبى

عشتار . . لم تجد في الدرب من يواسيها ويفرح قلبها

. . . .

(نحو ٣ أسطر مخرومة من النص)

الفصل الثالث: موت أنكيدو وحزن جلجامش عليه وسعيه وراء الخلود

أقام جلجامش حفل فرح في قصره

نام البطلان واستراحا في فراشهما مساء

وعندما نام «أنكيدو» رأى حلماً

فنهض أنكيدو وقص رؤياه على صاحبه وقال :

«يا صاحبي لِمَ اجتمع الآلهة العظام في مجلس الشورى[١١٨]

اللوح السابع:

ثم طلع النهار فقص أنكيدو رؤياه على جلجامش قائلاً[١١٩] :

«يا صاحبي أي حلم عجيب رأيت الليلة الماضية!

(رأيت) أن «آنو» و «أنليل» و «إيا» وشمش السماوي

قد اجتمعوا يتشاورون وقال آنو لأنليل :

«لأنهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا

فينبغي أن يموت ذلك الذي اقتطع أشجار الأرز من الجبال

ولكن أنليل أجابه قائلاً : «أنكيدو هو الذي

سيموت ، ولكن جلجامش لن يموت»

ثم انبرى «شمش» السماوي وأجاب أنليل البطل وقال :

ألم يقتلا ثور السماء و «خمبابا» بأمر مني ؟

فعلام يقع الموت على أنكيدو وهو بريء» ؟

فالتفت أنليل إلى «شمش» السماوي وأجابه حانقاً :

«الانك تطلع عليهم كل يوم حتى صرت كأنك واحد منهم(١٢٠)

رقد «أنكيدو» مريضاً أمام جلجامش

وأخذت الدموع تنهمر من عينيه

فقال له جلجامش : يا أخي العزيز علام يبرئونني من دونك ؟

وأردف يقول : هل سيتحتم علي أن أراقب أرواح الموتى

وأجلس عند باب الأرواح ؟

هل سيكتب علي ألا أرى صاحبي العزيز بعيني ؟».

. . . .

(هنا ينتهي ما تبقى من اللوح ، ولكن يستبان من سياق القصة ومما سيلي أن (أنكيدو) وقد رقد على فراش الموت وأدرك قرب نهايته أخذت تتوارد عليه الخواطر والذكريات ، فود لو أنه ما جاء إلى حياة الحضارة بل ظل في باديته سعيداً خالي البال يرعى مع الظباء ، والحيوان . وأخذ يكيل اللعنات على من زين له المجيء إلى حياة المدينة . فصار يلعن الباب الذي صنعه ودخل منه ، والصياد الذي جاء إليه بالبغي ، والبغي التي زينت له المجيء إلى أوروك . ويروى لنا هذا المشهد المؤثر النص الآشوري بعد نقص في أوله ، كما في الترجمة الآتية) :

« رفع أنكيدو عينيه وخاطب الباب كما لو كان إنساناً
مع أن باب خشب الغابة لا يفهم ولا يعقل :
« اخترت خشبك من مسافة عشرين ساعة مضاعفة
قبل أن أبصر أشجار الأرز الباسقة
إن خشبك ، يا باب ، لم أر مثيلاً له في البلاد
علوك اثنتان وسبعون ذراعاً ، وأربع وعشرون ذراعاً عرضك
لقد صنعك نجار ماهر في « نفّر » وجلبك منها .
أيها الباب لو كنت أعلم أن هذا ما سيحل بي
وأن جمالك سيجلب علي المصائب
اذن لرفعت فأسي وحطمتك
وأن جمالك سيجلب علي المصائب
وجعلت منك كلكا (طوافة)[١٢١]
ولكن ما الحيلة يا باب وقد صنعتك وجلبتك
لعل ملكاً ممن سيأتي من بعدي
سيستعملك ويزيل اسمي ويضع اسمه »
سمع جلجامش قول صاحبه « أنكيدو » فجرت دموعه
فتح جلجامش فاه وقال لأنكيدو :
« حباك أنليل بقلب واسع
ومنحك الحكمة ولكنك تقول قولاً شططا .
علام يا صاحبي نطقت بهذه الأقوال الغريبة ؟

كانت رؤياك رؤيا عجيبة ولكنها مخيفة

ويا ما أكثر الرؤى العجيبة!

يسلط الآلهة على الأحياء الأحزان

وتسلط الرؤى على الباقين من الأحياء الأحزان

سأنام وأتضرع إلى الألهة »

(يعقب هذا السطر نقص كبير في النص من نحو ٥٠ سطراً وقد رأى بعض الباحثين ترجمة قسم منه على الوجه الذي أثبتناه في الترجمة (Schott, Das Gilgamesh Epos, 51-62) وبعد أن يبدأ النص السالم نجد «أنكيدو» يدعو الإله «شمش» ليحل اللعنات بالصيد) :

ثم أخذ يلعن الصياد والبغي ويقول :

« إسلب (الصياد) ماله وأحل به الوهن

وعساك ألا تتقبل منه أعماله

وعسى أن يفر كل صيد يروم اقتناصه

وألاّ تتحقق له أمنية من أماني قلبه »

ثم دفعه قلبه إلى أن يلعن البغي فقال :

« تعالي أيتها البغي أقدر لك مصيرك

وهو مصير لن ينتهي إلى الأبد

سألعنك لعنة كبرى

ستحل بك لعناتي في الحال

لن تستطيعي أن تبني بيتاً يليق بجمالك

(نقص من نحو ٩-٨ أسطر)

«ليكن أكلك من فضلات المدينة
ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواك
وفي ظل الجدار سيكون وقوفك
وسيلطم السكران والصاحي خدك
وعسى أن ينبذك عشاقك بعد أن يقضوا وطرهم من سحر جمالك»
(نقص أيضاً من نحو ١٠ أسطر)
ولما سمع الإله شمش كلامه ناداه من السماء وكلمه :
«علام تلعن البغي يا أنكيدو ؟
تلك التي علمتك كيف يؤكل الخبز اللائق بسمة الألوهية
واسقتك خمراً يليق بسمة الملوكية
والبستك الحلل الفاخرة
واعطتك جلجامش الوسيم خلاً وصاحباً
أفلم يجعلك جلجامش ، خلك وأخوك
تنام على الفراش الوثير
أجل إنه جعلك تنام على سرير الشرف
وأجلسك على كرسي الراحة الذي إلى شماله.(يساره)
وجعل أمراء الأرض يقبّلون قدميك
وسيجعل أهل «أوروك» يبكونك ويندبونك
ويجعل الفرحين من الناس يقربون ويصلون من أجلك.
أما هو نفسه فسيطلق شعره من بعدك

ويلبس جلد الأسد ويهيم على وجهه في الصحارى »

ولما سمع أنكيدو « شمش » البطل ، هدأت سورة غضبه

(انخرام من سطرين ، ويتضح مما سيلي أن أنكيـدو ندم على كيل اللعنات للبغي فبدلها بركات اذ يعاود خطابه للبغي) :

تعالي أيتها البغي لأقدر مصيرك

إن لساني الذي لعنك قد تبدل ليباركك

« سيحبك الملوك والأمراء والعظماء

ولن يضرب أحد فخذه مستعيباً إياك(١٢٢)

ومن أجلك سيهز الشيخ لحيته(١٢٢)

وسيحل الشباب أحزمتهم من أجلك

(وسيقدمون) لك اللازورد والذهب والعقيق

وعسى أن يحل العقاب بكل من يمتهنك

ويكون بيته واهراؤه خالية

وسيدعك الكاهن تدخلين إلى حضرة الآلهة

ومن أجلك ستُهجر الزوجة ، ولو كانت أم سبعة »

ثم اشتد المرض بأنكيدو ولبث راقداً علَى فراش المرض

وصار يبث أحزانه في تلك الليلة إلى صديقه

وناجاه قائلاً : يا خلي ، رأيت الليلة الماضية رؤيا

كانت السماء ترعد فاستجابت لها الأرض

وعندما كنت واقفاً ما بينهما

ظهر أمامي شخص مكفهر الوجه

كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة «زو»(١٢٣)

ومخالبه كأظافر النسر

لقد عرّاني من لباسي

وأمسك بي بمخالبه

وأخذ بخناقي حتى خمدت أنفاسي

(نقص من نحو ١٢ سطراً)

لقد بدل هيئتي فصار ساعداي مثل جناحي طائر

مكسوين بالريش(١٢٤)

ونظر إلي وأمسك بي وقادني إلى دار الظلمة ،

إلى مسكن «إراكَلاَّ»(١٢٥)

إلى البيت الذي لا يرجع منه من دخله

إلى الطريق الذي لا رجعة لسالكه

إلى البيت الذي حرم ساكنوه من النور

حيث التراب طعامهم والطين قوتهم

وهم مكسوون كالطير بأجنحة من الريش

ويعيشون في ظلام لا يرون نوراً

وفي بيت التراب الذي دخلت

شاهدت الملوك والحكام .

ورأيت تيجانهم قد نزعت وكدست على الأرض

أجل! رأيت أولئك العظماء الذين لبسوا التيجان

وحكموا البلاد في سابق الأيام

وكان نواب «آنو» و «أنليل» هم وحدهم الذين

يقدم لهم شواء اللحم[١٢٦]

ويقدم لهم الخبز ويسقون الماء البارد من القرب

وفي بيت التراب الذي دخلت

يسكن الكاهن الأعلى وخدم المعبد

ويسكن كهنة التطهير والرقاة والمعوذون

ويسكن الذين يقدمون زيت المسح للآلهة العظام

ويسكن «إيتانا»[١٢٧] و «سموقان»[١٢٨]

وتحكم «ايرش-كيگال» ، ملكة الأرض السفلى

و «بعلة صيري» ، كاتبة الأرض السفلى تسجد أمامها

وبيدها رقيم تقرأ لها منه

ولما رفعت رأسها أبصرتني فقالت :

من الذي أتى بهذا الرجل إلى هنا ؟ نحيه عني!

(الباقي من النص الآشوري ومقداره نحو ٥٠ - ٥٥ سطراً مخروم ، وتوجد كسرة من لوح يبدو أنها تعود إلى سياق القصة هنا ، وتحتوي على كلام يظهر أنه موجّه من جلجامش إلى أمه الآلهة «ننسون» ، وهو النص الذي تلي ترجمته) :

«لقد رأى صديقي رؤيا تنذر بالشر»

ولما انقضى اليوم الذي رأى فيه «أنكيدو» الرؤيا

اشتد به المرض فظل ملازماً فراشه يوماً وثانياً وثالثاً

ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً وثامناً وتاسعاً وعاشراً

وثقل المرض على «أنكيدو» ، ومضى اليوم الحادي عشر والثاني عشر وهو لا يزال راقداً على فراش المرض ، فدعا إليه جلجامش

وكلمه قائلاً :

«يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة

فلن أموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى

كنت أخشى القتال (ولكنني سأموت ذليلاً حتف أنفي)

فمن يسقط في القتال يا صديقي فإنه مبارك

(باقي النص مخروم ، ثم يلي اللوح الثامن ، الحقل الأول[١٢٩] :

عندما نورت أولى خيوط الفجر قال جلجامش لصديقه :

« يا «أنكيدو» إن أمك ظبية وأبوك حمار الوحش ،

وقد ربيت على رضاع لبن الحمر الوحشية

لتندبك المسالك التي سرت فيها في غابة الأرز

وعسى الايبطل النواح عليك مساء نهار

وليندبك شيوخ أوروك ، ذات الأسوار

وليبكك الأصبع الذي أشار إلينا من ورائنا وباركنا

فيرجع صدى البكاء في الأرياف

وليندبك الدب والضبع والنمر والأيل والسبع

والعجول والظباء وكل حيوان البرية

ليندبك نهر «أولا»[١٣٠] الذي مشينا على ضفافه

وليبكك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه

لينح عليك محاربو «أوروك» ، المحصنة

. . . ذبحنا الثور . . . ليندبك . . .

ليبكك من عظم اسمك في أريدو

ومن مسح ظهرك بالزيت المعطر وسقاك الجعة

ولينح عليك من أطعمك الغلة

ولتبكك الأخوة والأخوات

ثم دعا جلجامش الصناع والنحاسين والنحاتين وقال لهم اصنعوا تمثالاً لصديقي ، وصنع التمثال لصديقه

(بعد انخرام في النص يأتي الحقل الثاني من اللوح الثامن) :

«اسمعوني أيها الشيبة (الشيوخ) واصغوا إلي

من أجل «انكيدو» ، خلي وصاحبي ، أبكي

وأنوح نواح الثكلى

أنه الفأس التي في جنبي وقوة ساعدي

والخنجر الذي في حزامي والمجن الذي يدرأ عني

وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي

وقد ظهر شيطان رجيم وسرقه مني

يا خلي وأخي الأصغر

لقد طاردت حمار الوحش في التلال

اقتنصت النمور في الصحارى

«انكيدو!» يا صاحبي ، وأخي الأصغر

الذي اقتنص حمار الوحش في النجاد والنمر في الصحارى

تغلبنا معاً على الصعاب وارتقينا أعالي الجبال

ومسكنا بالثور السماوي ونحرناه

قهرنا خمبابا الساكن في غابة الأرز

فأي سنَة (من النوم) هذه التي غلبتك وتمكنت منك ؟

طواك ظلام الليل فلا تسمعني »

ولكن «انكيدو» لم يرفع عينيه

فجس قلبه فلم ينبض

وعند ذلك برقع صديقه كالعروس

وأخذ يزأر حوله كالأسد

وكاللبؤة التي اختطف منها أشبالها

وصار يروح ويجيء أمام الفراش وهو ينظر إليه

وينتف شعره ويرميه على الأرض

مزق ثيابه الجميلة ورماها كأنها أشياء نجسة

ولما لاح أول خيط من نور الفجر نهض جلجامش

. . . . . (نقص)

ونادى صناع المدينة وصاح بهم :

«أيها الصفار والصائغ والجوهري

ونحات الأحجار الكريمة اصنعوا لي تمثالاً لخلي »

ثم نحت لصديقه تمثالاً جاعلاً صدره من اللازورد وجسمه من الذهب

ونصب منضدة من الخشب القوى

وإناء من اللازورد مملوءً بالزبد

وقرب ذلك الى « شمش »

وشرع يندب صديقه ويرثيه .

(انخرام في النص لايعلم مقداره بوجه التأكيد ولعله يقارب الستين سطراً ثم يعقب ما يأتي في العمود الثالث من اللوح الثامن) :

على فراش المجد اضجعتك

وأجلستك على كرسي الراحة الذي الى شمالي (يساري)

لكي يقبّل أمراء الأرض قدميك

سأجعل أهل « أوروك » يبكون عليك ويندبونك

وسأجعل أهل الفرح يحزنون عليك

وأنا نفسي (بعد أن توسد في الثرى) سأطلق شعري

وألبس جلد الأسد وأهيم على وجهي في الصحارى »

(باقي النص مشوه تتعذر ترجمته ، ولكن يبدو من سياق القصة أن جلجامش بعد أن قام بشعائر الدفن الخاصة ، صار يرثي صديقه ويندبه ويبكيه ليل نهار ، ثم شرع يهيم على وجهه في البراري ، ومن بعد ذلك قام برحلته البعيدة قاصداً جده « أوتو - نبشتم » ليسأله عن الخلود ، ويأتي من بعد ذلك اللوح التاسع) .

اللوح التاسع:

العمود الأول:

من أجل أنكيدو ، خله وصديقه

بكى جلجامش بكاءً مراً

وهام على وجهه في الصحارى (وصار يناجي نفسه) :

إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل أنكيدو ؟

لقد حل الحزن والأسى بجسمي

خفت من الموت ، وها أنا أهيم في البوادي

والى بيت «أوتو - نبشتم»[١٣١] ابن «اوبار - توتو»

أخذت الطريق وحثثت الخطا إليه

ولما بلغت مجازات الجبال في المساء

رأيت الأسود فتملكني الخوف والرعب

فرفعت رأسي الى «سين» وصليت له

وابتهلت الى العظيم بين الآلهة ودعوت أن يحميني ويحفظني

وفي المساء اضطجع فأيقظه حلم رآه

رأى (الأسود حواله) وهي تمرح مسرورة في ضوء «سين» (القمر)

رفع فأسه بيده واستل سيفه(*) من غمده

وانقض عليهم كالسهم

(*) - أو خنجره .

فضربها وجعلها تفر منه

(ثم بلغ جلجامش جبلاً عظيماً)

(باقي النص مخروم «نحو ٢٣ سطراً» يدل ما بقي منه على أن جلجامش بلغ الجبال التي سيأتي وصفها) :

وكان اسم الجبل «ماشو»[١٣٢]

لقد قصد جبل «ماشو» فبلغه

(وهو الجبل) الذي يحرس كل يوم شروق الشمس وغروبها

والذي تبلغ أعاليه قبة السماء

وفي الأسفل ينزل صدره الى العالم الأسفل

ويحرس بابه «الرجال العقارب»[١٣٣]

الذين يبعثون الرعب والهلع ، ونظراتهم الموت

ويطغى جلالهم المرعب على الجبال

الذين يحرسون الشمس في شروقها وغروبها

ولما أبصرهم جلجامش اصفّر وجهه فزعاً وهلعاً

ولكنه استعاد رباطة جأشه واقترب منهم

ونادى أحد «الرجال العقارب» زوجه وقال لها :

«إن الذي جاء إلينا جسمه من مادة الآلهة»

فأجابت زوجة «الرجل العقرب» زوجها وقالت :

«أجل إن ثلثيه إله وثلثه الآخر من مادة بشرية» .

ثم نادى «الرجل العقرب» جلجامش

وخاطب نسل الآلهة بهذه الكلمات :

«ما الذي حملك على هذا السفر البعيد ؟

وعلام قطعت الطريق الطويل وجئت عابراً البحار الشاقة العبور ؟

أبن لي القصد من المجيء إلي :

(يتبع نقص من عدة أسطر)

فأجابه جلجامش قائلاً :

«أتيت قاصداً أبي ، أوتو - نبشتم ، باحثاً عن الحياة

أبي الذي دخل في مجمع الآلهة

جئت لأسأله عن (لغز) الحياة والموت»

ففتح «الرجل العقرب» فاه وقال مخاطباً جلجامش :

لايوجد إنسان يستطيع ذلك يا جلجامش

لم يعبر أحد من البشر مسالك الجبال

إن داخلها يمتد اثنتي عشرة ساعة مضاعفة

والظلام حالك ولايوجد نور

والى مطلع الشمس . . . . .

والى مغرب الشمس . . . . . .

(الباقي مخروم ، ويبدو من السياق أن الرجل العقرب يسترسل في وصف رهبة مسالك الجبال ووعورتها) :

(فأجاب جلجامش) : عزمت على أذهب بالحزن والألم

وفي القر والحر وفي الحسرات والبكاء

فافتح لي الآن باب الجبل

ففتح الرجل العقرب فاه وأجاب جلجامش :

«ادخل يا جلجامش ولا تخف

أذنت لك أن تعبر جبال «ماشو»

وعساك أن تقطع الجبال وسلاسلها

وعسى أن تعود بك قدماك سالماً

وها هو باب الجبل أمامك»!

ولما سمع جلجامش اتبع كلمة «الرجل العقرب»

اتبع طريق مسير الشمس

ولما قطع ساعة مضاعفة كان الظلام دامساً ولا يوجد نور

فلم يستطع أن يبصر ما أمامه ولا ما خلفه

وسار ساعتين مضاعفتين ثم أربع ساعات

ولم يزل الظلام حالكاً ولا نور هناك

فلم يرَ ما أمامه وما خلفه

(انخرام من نحو ١٥ سطراً ، ولكن يمكن تكميل النقص باستمرار سيره ثلاث ساعات مضاعفة ثم أربعاً وخمساً الخ) .

وسار خمس «ساعات مضاعفة» وست ساعات

وسبع ساعات وثماني ساعات مضاعفة

ولم يزل الظلام دامساً ولا نور يمكنه أن يبصر ما أمامه وما خلفه

وبعد أن قطع تسع ساعات مضاعفة أحس بالريح الشمالية تلطم وجهه ولكن الظلام لم يزل دامساً

فلم يستطع أن يبصر ما أمامه وما خلفه

ثم سار عشر ساعات مضاعفة وبعد إحدى عشرة ساعة بزغ الفجر .

وبعد أن قطع اثنتي عشرة ساعة مضاعفة عم النور

وأبصر أمامه أشجاراً تحمل الأحجار الكريمة .

ولما رآها اقترب منها

فوجد الأشجار التي أثمارها العقيق

وتتدلى الآعناب منها ومرآها يسر الناظر

ووجد الأشجار التي تحمل اللازورد فما أبهى مرآها(١٣٤)

رأى الشوك والعوسج الذي يحمل الأحجار الكريمة واللؤلؤ البحري

(باقي اللوح التاسع مخروم لم تبقَ منه أجزاء واضحة تستحق الترجمة)

ولكن يستدل من الأجزاء القليلة السالمة أن الباقي من هذا اللوح يواصل وصف تلك البستان العجيبة ويستمر النقص الى أن نجد جلجامش في اللوح العاشر يصل الى ساحل البحر حيث يلتقي صاحبة الحانة التي كان للقائه بها علاقة بطريقة وصوله الى جده «أوتو - نبشتم» الخالد ، وهو موضوع الطوفان كما سيأتي(*) :

«سدوري صاحبة الحانة الساكنة عند ساحل البحر(١٣٥)

شاهدت جلجامش مقبلاً وكان لباسه من الجلود

ووجهه أشعث كمن سافر سفراً طويلاً ويبدو عليه العناء والتعب

(*) - حول الأجزاء الصغيرة العائدة الى اللوح العاشر انظر :

A. R. Millard in Iraq, 26 (1964), 99 ff, Anet, 3, 506.

ولكن جسمه مادة الآلهة

فنظرت صاحبة الحانة الى جلجامش وناجت نفسها بهذه الكلمات :

يبدو أن هذا الرجل قاتل فليت شعري الى أين يريد

فأوصدت بابها لما رأته يقترب وأحكمت غلقه بالمزلاج[١٢٦]

فسمع جلجامش صرير الباب فنادى صاحبة الحانة وقال :

«ما الذي أنكرت في ياصاحبة الحانة

حتى أوصدت بابك بوجهي وأحكمت غلقه بالمزلاج ؟

لأحطمن بابك وأكسر المدخل»

وأردف جلجامش قائلاً لصاحبة الحانة :

«أنا جلجامش ، أنا الذي قبضت على الثور

الذي نزل من السماء وقتلته

وغلبت حارس الغابة وقهرت «خمبابا»

فأجابت صاحبة الحانة جلجامش وقالت له :

«إن كنت حقاً جلجامش الذي قتل حارس الغابة

وغلب خمبابا الذي يعيش في غابة الأرز

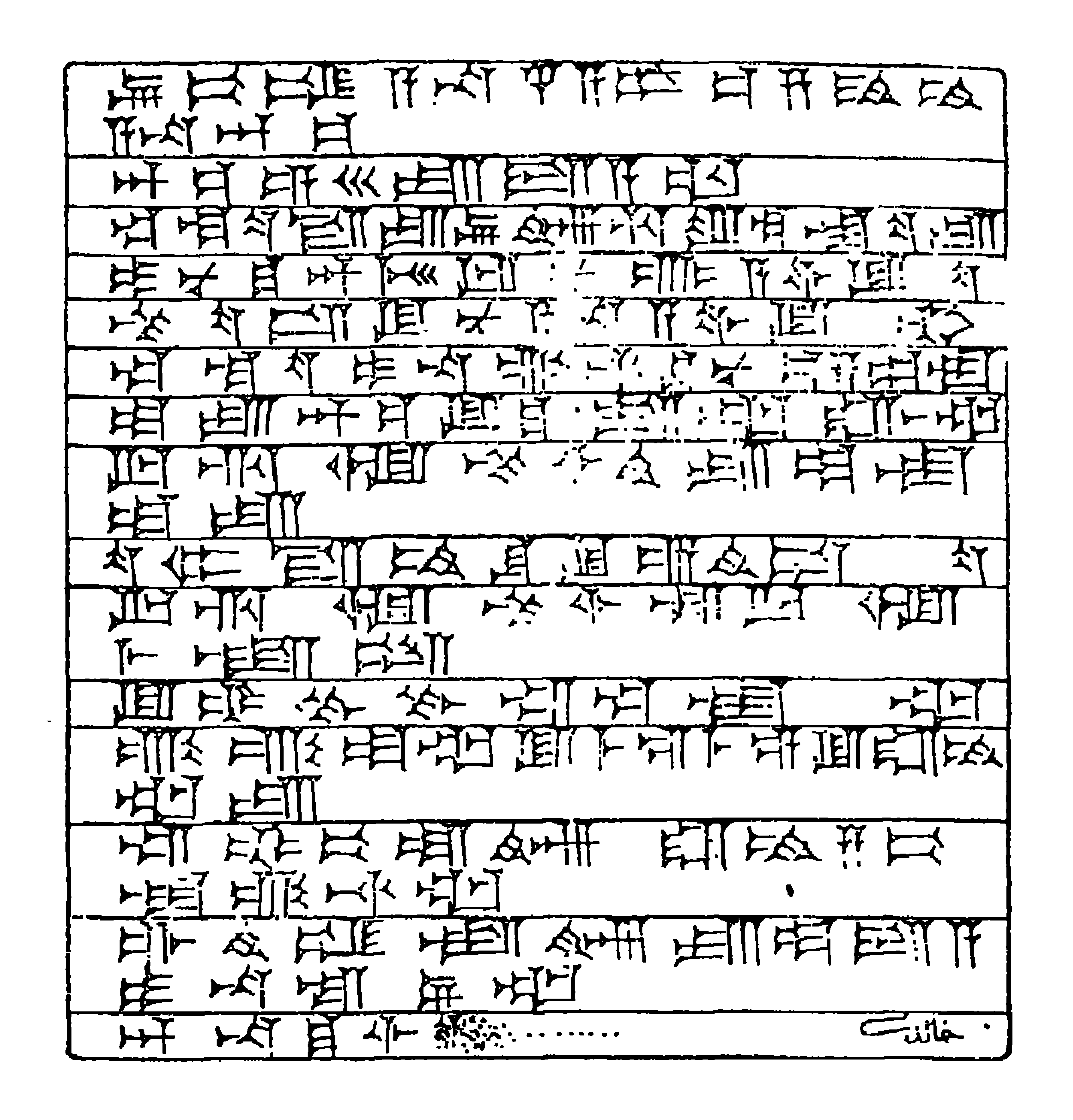
وقتل الأسود في مجازات الجبال وأمسك بثور السماء وقتله

فلم ذبلت وجنتاك ولاح الغم على وجهك ؟

وعلام ملك الحزن قلبك وتبدلت هيئتك

ولمَ صار وجهك أشعث كوجه من سافر سفراً طويلاً

وكيف لفح وجهك الحر والقر ؟



خطاب صاحبة الحانة لجلجامش

Col II, 14

sa-bi-tum a-na sa-a-sum iz-za-kar-am a-na (il)GIS

Col III

1, (il)GIŠ e-eš ta-da-a-al

2, ta-la-ṭam ša ta-sa-aḫ-ḫu-ru la tu-ut-ta

3, i-nu-ma ilâni ib-nu-u a-wi-lu-tam

4, mu-tam iš-ku-nu a-na a-wi-lu-tim

5, ba-la-ṭam i-na ga-ti-šu-nu iṣ-ṣa-ab-tu

6, at-ta (il)GIŠ lu ma-li ka-ra-aš-ka

7, ur-ri u mu-ši ḫi-ta-at-tu at-ta

8, umi(mi)-ša-am šu-ku-un ḫi-du-tam

9, ur-ri ù mu-ši su-ur u me-li-il

10, lu ub-bu zu-ba-tu-ka

11, ga-ga-ad-ka lu me-si me-e lu ra-am-ka-ta

12, zu-ub-bi ṣi-iḫ-ra-am ṣa-bi-tu ga-ti-ka

13, mar-ḫi-tum li-iḫ-ta-ad-da-a i-ma su-ni-ka

14, an-na-ma ši-pir a-wi-lu-tim

وعلام تهيم على وجهك في الصحارى ؟ »
فأجاب جلجامش صاحبة الحانة وقال لها :
« كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي
ويملأ الأسى والحزن قلبي وتتبدل هيئتي
فيصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل
ويلفح وجهي الحر والقر وأهيم على وجهي في الصحارى
وقد أدرك « مصير البشر » صاحبي وأخي الأصغر
الذي صاد الحمر الوحشية والنمور في الصحارى
والذي تغلب على جميع الصعاب
وغلب خمبابا الذي يسكن في غابة الأرز
إنه « أنكيدو » صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً
لقد انتهي الى ما يصير إليه البشر جميعاً
فبكيته في المساء وفي النهار
ندبته ستة أيام وسبع ليالٍ
معللاً نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي
وامتنعت عن تسليمه الى القبر
أبقيته ستة أيام وسبع ليالٍ حتى تجمد الدود على وجهه
فأفزعني الموت حتى همت على وجهي في الصحارى
إن النازلة التي حلت بصاحبي تقض مضجعي
آه! لقد غدا صاحبي الذي أحببت ترابا

وأنا ، سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين
فيا صاحبة الحانة ، وأنا أنظر الى وجهك ،
أيكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه! »
فأجابت صاحبة الحانة جلجامش قائلة له :
«الى أين تسعى يا جلجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد[١٣٧]
حينما خلقت الآلهة العظام البشر
قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة[١٣٨]
أما أنت يا جلجامش فليكن كرشك مليئاً على الدوام
وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء[١٣٩]
وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك
وارقص والعب مساء نهار[١٤٠]
واجعل ثيابك نظيفة زاهية[١٤١]
واغسل رأسك واستحم في الماء
ودلل الصغير الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين أحضانك[١٤٢]
وهذا هو نصيب البشرية»[١٤٢]
(ولكن) جلجامش أعاد الخطاب الى صاحبة الحانة قائلا :

«يا صاحبة الحانة أين الطريق الى «أوتو – نبشتم»

دليني كيف أتجه إليه ؟

فإذا أمكنني للوصول إليه فإنني حتى البحار سأعبرها

وإذا تعذر الوصول إليه فسأهيم على وجهي في الصحارى

فأجابت صاحبة الحانة جلجامش وقالت له :

«يا جلجامش لم يعبر البحر قبلك أحد

أجل! إن «شمش» القدير يعبر البحر حقاً

ولكن مَنْ غير شمش يستطيع عبوره ؟

إن عبوره شاق عسير .

وما عساك ستصنع لما تبلغ مياه الموت العميقة ؟

ولكن يا جلجامش هناك «أور – شنابي»[١٤٣] ملاح «أوتو – نبشتم»

وعنده صور الحجر وها هو الآن في الغابة يقتطف النبات

فعسى أن تراه عيناك

وإذا أمكنك فاعبر بصحبته وإلا فعد الى وطنك»

ولما سمع جلجامش ذلك أخذ فأسه واستل خنجره من حزامه

وتغلغل الى الغابة واتجه إليها[١٤٤]

وانقض عليها كالسهم وكسرها وهو في سورة غضبه

رفع «أور – شنابي» عينيه وأبصر جلجامش فصاح به :

قل لي ما اسمك! أما أنا فاسمي «أور – شنابي»

من التابعين لـ « أوتو – نبشتم » القاصي
فأجاب جلجامش « أور – شنابي » ، وقال له :
« اسمي جلجامش ، أنا الذي قدم من أوروك ، من « إِي – أنّا »
واجتاز البحار وركب الأسفار الطويلة من مطلع الشمس
جئت لأراك . فيا « أور شنابي » ، وقد رأيت وجهك
دلني على « أوتو – نبشتم » ، القاصي »
فأجاب « أور – شنابي » جلجامش وقال له :
(ولكن) لِمَ ذبلت وجنتاك وامتقع وجهك ؟
وعلام غمر الحزن قلبك وتبدلت هيئتك ؟
فصار وجهك أشعث كمن عانى الأسفار الطويلة
ولم لفع وجهك الحر والقر
وهمت على وجهك في الصحارى »
فأجاب جلجامش « أور – شنابي » وقال له :
« يا أور شنابي » ، كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي!
ويغمر الحزن والأسى قلبي وتتبدل هيئتي
وكيف لايصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل ؟
ويلفع وجهي الحر والقر ،
وأهيم على وجهي في الصحارى
وأن خلي ، وأخي الأصغر
الذي طارد حمار الوحش في البرية واصطاد النمور في الصحارى

إنه أنكيدو ، خلي وأخي الأصغر
الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال
الذي أمسك بثور السماء وقتله ،
وقهر خمبابا الساكن في غابة الأرز
صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً
والذي صاحبني في كل الصعاب
قد أدركه مصير البشرية
فبكيته ستة أيام وسبع ليالٍ
حتى سقط الدود من أنفه
لقد أفزعني الموت حتى همت على وجهي في الصحارى
إن النازلة التي حلت بصاحبي قد أوهنتني وأقضت مضجعي
فهمت على وجهي المسافات البعيدة في الصحارى
إذ كيف أهدأ ويقر لي قرار
فصديقي الذي أحببت صار تراباً
وأنا أفلا أكون مثله فأضطجع ضجعة لا أقوم من بعدها أبد الدهر ؟
ثم أردف جلجامش وخاطب « أور - شنابي » قائلاً :
والآن يا « أور - شنابي » أين الطريق الى « أوتو - نبشتم »
أين الاتجاه إليه ؟ دلني على الطريق إليه
فإذا استطعت الوصول إليه فحتى البحار سأعبرها
وإذا تعذر بلوغ مرادي فسأظل أجول في الصحارى »

فقال « أور – شنابي » لجلجامش :

يا جلجامش يداك هما اللتان منعتاك من عبور البحر

لأنك حطمت صور الحجر وأتلفتها

وإذا تحطمت صور الحجر فلا يمكننا العبور

والآن خذ الفأس بيدك يا جلجامش

وانحدر الى الغابة واقطع منها مئة وعشرين « مرديا »

طول كل منها ستون ذراعاً

وأطلها بالقير واجعل أعقابها الأزجاج(*)

ولما سمع جلجامش ذلك

رفع الفأس بيده وسحب خنجره

وانحدر في الغابة واقتطع منها مئة وعشرين (مرديا) طول كل منها ستون ذراعاً

وطلاها بالقير وغلف أعقابها (بالأزجاج) وجاء بها إليه »

(*) – الازجاج جمع « زج » (ferrule) وهي الحديدة التي في أسفل الرمح .

الفصل الرابع: قصة الطوفان
كما يرويها «أوتو - نبشتم»
الخالد الى جلجامش

«ركب جلجامش و «أور - شنابي» في السفينة

أنزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها

وفي اليوم الثالث قطعا

في سفرهما ما يعادل شهراً وخمسة عشر يوماً

من السفر العادي

وبلغ «أور-شنابي» مياه الموت

وعند ئذ نادى «أور - شنابي» جلجامش وقال له :

«هيا يا جلجامش أسرع وخذ مرديا وادفع به»

وحذار أن تمس يدك مياه الموت

أسرع يا جلجامش وتناول «مرديا» ثانياً وثالثاً ورابعاً

ياجلجامش خذ «مرديا» خامساً وسادساً وسابعاً

خذ يا جلجامش «مرديا» ثامناً وتاسعاً وعاشراً

خذ مرديا حادي عشر وثاني عشر

وبمئة وعشرين دفعة «مردي» استعمل جلجامش كل «المرادي[١٤٥]

ثم نزع جلجامش ثيابه

ونشرها بيديه كأنها الشراع

وكأن «أوتو - نبشتم» قد أبصر السفينة من بعيد

فأخذ يخاطب قلبه ويناجي نفسه ويقول :

«علام دمرت «صور الحجر» الخاصة بالسفينة ؟

ولم يركب عليها شخص غير ملاحها ؟

فإن الآخر الآتي فيها ليس من أتباعي

. . . .

(بقية النص من العمود الرابع وبداية الخامس مخرومة ، ولكن يتضح من السياق أن جلجامش يلتقي جده «أوتو - نبشتم» فيسأله هذا عن سبب مجيئه ، وهي الأسئلة نفسها التي وجهتها إليه صاحبة الحانة والملاح ، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين ، كما أن جلجامش يجيبه بالإجابة نفسها تقريباً وقد أثبتنا ترجمتها لأن فيها بعض التغيير والزيادة) : -

«أجاب جلجامش «أوتو - نبشتم» وقال له :

يا «أوتو - نبشتم» ، كيف لا تذبل وجنتاي

ويمتقع وجهي ويغمر الحزن قلبي وتتبدل هيئتي

ويصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل

ويلفح وجهي الحر والقر

وأهيم على وجهي في البراري ،

وأن خلي وأخي الأصغر

الذي طارد الوحش في البرية

واصطاد النمور في الصحارى . إنه «أنكيدو» الذي تغلّب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال

الذي أمسك بثور السماء وقتله ، وغلب «خمبابا» الذي يسكن غابة الأرز

صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً

الذي رافقني في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية

فبكيته ستة أيام وسبع ليالٍ ولم أسلمه للقبر

حتى خرج الدود من أنفه

لقد أفزعني الموت فهمت على وجهي في الصحراء

فالنازلة التي حلت بصاحبي قد جثمت بثقلها على صدري

وأقضّت مضجعي حتى همت مطوفاً في الصحارى

إذ كيف أهدأ ويقرّ لي قرار ،

وصاحبي الذي أحببت صار تراباً

وأنا ألا سأكون مثله فأهجع هجعة لا أقوم من بعد أبد الدهر ؟

ثم أردف جلجامش وخاطب «أوتو – نبشتم» قائلاً : –

ولذا تراني قد جئت لأرى «أوتو – نبشتم» الذي يدعونه القاصي

لقد طوفت في كل البلاد واجتزت الجبال الوعرة

وعبرت كل البحار

لم يغمض لي جفن ولم أذق طعم النوم

أنهكني السفر والترحال وحل بجسمي الضنى والتعب

ولم أكد أبلغ بيت «صاحبة الحانة»

حتى خلقت ثيابي وتمزقت ،

قتلت الدب والضبع والأسد والفهد والنمر

والضبي والايل والوعر وكل حيوان البر ودوابه

أكلت لحومها واكتسيت بفروها

. . . . .

(يأتي نقص يبلغ نحو ٤٢ سطراً)

. . . . .

«قال «أوتو - نبشتم» لجلجامش :

«إن الموت قاس لايرحم»(؟)

هل بنينا بيتاً يقوم الى الأبد ؟

وهل ختمنا عقداً يدوم الى الأبد ؟

وهل يقتسم الأخوة ميراثهم ليبقى الى آخر الدهر ؟

وهل تبقى البغضاء في الأرض الى الأبد[١٤٦]

وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام ؟

والفراشة لاتكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها ولم يكن دوام وخلود منذ القدم[١٤٧]

ويا ما أعظم الشبه بين النائم والميت

ألا تبدو عليهما هيئة الموت ؟

55

من كلام « اوتو ـ نبشتم » الى جلجامش وفيه يقص عليه

خبر الطـوفان

ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد إذا وافاهما الأجل ؟

إن «الانوناكي»[١٤٨] الآلهة العظام تجتمع مسبقاً

ومعهم «ما ميتم» ، صانعة الأقدار تقدّر معهم المصائر

قسموا الحياة والموت[١٤٩]

ولكن الموت لم يكشف عن يومه»

- اللوح الحادي عشر -

فقال جلجامش لـ «أوتو – نبشتم» القاصي[١٥٠] :

ها أنذا أنظر إليك يا «أوتو – نبشتم»

فلا أجد هيئتك مختلفة ، فأنت مثلي لا تختلف عني

أجل! أنت لم تتبدل بل إنك تشبهني

لقد تصورك لبي كاملاً كالبطل على أهبة القتال

فإذا بي أجدك ضعيفاً مضطجعاً على ظهرك

فقل لي كيف دخلت في معجم الآلهة ووجدت الحياة (الخالدة) ؟

فأجاب «أوتو – نبشتم» جلجامش وقال له :

«يا جلجامش سأفتح لك عن سر خفي محجوب

سأطلعك على سر من أقدار الآلهة :

«شروپاك)[١٥١] ، المدينة التي تعرفها أنت

الواقعة على شاطئ نهر الفرات

26, im-ma-ti-ma ni-ip-pu-ša bîti im-ma-ti-ma ni-kan-na-(ak)
27, im-ma-ti-ma âḫe i-zu-uz-(zu)
28, im-ma-ti-ma zi-ru-tum i-ba-ši ina (nakri)
29, im-ma-ti-ma nâru iš-ša-a mela ub-(bal)
30, ku-li-li ki-rip-pa a.....
31, pa-nu ša i-na-aṭ-ṭa-lu pa-an (il) šamši
32, ul-tu ul-la-nu-um-ma ul i-ba-aš-(ši....)
33, sal-lu u mi-tum ki-i a-ḫa-meš (šu-nu)
34, ša mu-ti ul iṣ-ṣi-ru ṣa-lam-šu
35, amelu-u (am) c-til: ul-tu ik-ru-bu (ana šimti-šu)
36, il A-nun-na-ki ilâni râbûti pah-(ru?)
37, il ma-am-me-tum ba-na-at šim-ti itti-šu-nu ši-ma-tam i-sim-(mi)
38, iš-tak-nu mu-ta u ba-la-ṭa
39, ša mu-ti ul ud-du-u umê-šu

من كلام « اوتو ـ نبشتم » لجلجامش مبينا له ان كل ما يعمله الانسان زائل لا يدوم

من كلام « اوتو ـ نبشتم » لجلجامش يخبره فيه ان كل ما يعمله الانسان زائل لا يدوم .

إن تلك المدينة قد عتقت وكان الآلهة فيها .

إن الآلهة العظام قد حملتهم قلوبهم (آنذاك) على إحداث الطوفان

وكان معهم أبوهم « آنو »

و «انليل» ، البطل ، مستشارهم

و «ننورتا» ، مساعدهم

و «أنوگي» ، حاجبهم[١٥٢] والموكل بالري والمياه

وكان حا ضراً معهم «نن – ايكي – كو» ، أي «ايا»

فنقل هذا كلامهم الى كوخ القصب وخاطبه :

«ياكوخ! يا كوخ القصب! يا جدار ، يا جدار!

اسمع ياكوخ القصب وافهم ياحائط[١٥٣]

أيها الرجل «الشروپاكي» يا بن «اوبار – توتو»[١٥٤]

قوض البيت وابنِ لك فلكاً «سفينة»[١٥٤]

تخلَّ عن مالك وانشد النجاة

أنبذ الملك وخلص حياتك

واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة[١٥٥]

والسفينة التي ستبني

عليك أن تضبط مقاسها

ليكن عرضها مساوياً لطولها[١٥٦]

واختمها جاعلاً إياها مثل مياه الـ «أپسو» (العمق)»

ولما وعيت ذلك قلت لربي «أيا» :

« سمعاً يا سيدي! إن ما أمرت به سأصدع به وأعمل به
ولكن ما عسى أن أقول للمدينة ؟
وبِمَ سأجيب الناس والشيوخ ؟
ففتح « أيا » فاه ، وقال لي ، مخاطباً إياي ، أنا عبده :
« قل لهم هكذا : « إني علمت أن انليل يبغضني
فلا أستطيع العيش في مدينتكم بعد الآن
ولن أوجه وجهي الى أرض انليل وأسكن فيها
بل سأرد (أنزل) الى الـ « ابسو »(١٥٧)
وأعيش مع « ايا » ،
وأنتم سيمطركم بالوفرة والفيض
ومن مجاميع الطير ، وعجائب الأسماك
وستملأ البلاد بالغلال والخيرات
وفي المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح(١٥٨) »
ولما نورت أولى بشائر الصباح تجمع البلد حولي
حملوا الي أضاحي الأغنام الغالية
وأحضروا الي أضاحي من ماشية مراعي البراري
. . . . (انخرام من أربعة أسطر)
جلب إليّ الصغار منهم القير
وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى
وفي اليوم الخامس أقمت بنيتها (هيكلها)(١٥٩)

وكان سطح أرضها «ايكو» واحداً
وعلو جدرانها مئة وعشرين ذراعاً[١٦٠]
وطولُ كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مئةً وعشرين ذراعاً
حددت شكلها الخارجي وبنيتها هكذا :
جعلت فيها ستة طوابق (تحتانية)
وبهذا فرزتها (قسمتها) الى سبعة أقسام (طوابق)
وفرزت (قسمت) أرضيتها الى تسعة أقسام[١٦١]
وحشوتها وغرزت فيها أوتاد الماء[١٦٢]
ووضعت فيها «المرادي» وجهزتها بالمؤن
سكبت ستة «شارات» من القير في الكورة[١٦٣]
وسكبت أيضاً ثلاثة «شارات» من القطران
وجلب حاملو السلال ثلاثة «شارات» من السمن
بالإضافة الى «شار» واحد من السمن لحشو أوتاد الماء
و «شارين» من السمن اختزنهما الملاح
(ثم) نحرت البقر وطبختها للناس[١٦٤] .
ونحرت الأغنام كل يوم
وقدمت عصير الكرم والخمر الأحمر والأبيض والسمن
الى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر
ليقيموا الأعياد كما في أيام عيد رأس السنة
ومسحت يدي بسمن الزيت

وتم بناء السفينة في اليوم السابع

وكان إنزالها (الى الماء) أمراً صعباً

فكان عليهم أن يبدلوا الأثقال في الطوابق العلوية والسفلية

الى أن غطس في الماء ثلثاها

وحملت فيها كل ما أملك

وكل ما عندي من فضة حملته فيها .

وحملت فيها كل ما أملك من ذهب

أركبت في السفينة جميع أهلي وذوي قرباي

وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية(١٦٥)

أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر

وجميع الصناع أركبتهم فيها(١٦٦)

وضرب لي الآله «شمش»(١٦٧) موعداً معيناً بقوله :

«حينما يُنزِل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك

فادخل في السفينة واغلق بابها»

ومن أجل الموعد المعين

وفي الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً

وتطلعت الى حالة الجو فكان مكفهراً مخيفاً للنظر

فولجت في السفينة وأغلقت بابي

وأسلمت قياد السفينة الى الملاح»(١٦٨) وما يحويه من متاع

ولما ظهرت أنوار السحر(*)

علت من الأفق البعيد (من أسس السماء) غمامة ظلماء(١٦٩)

وفي داخلها أرعد الاله «أدَدْ»(١٧٠)

وكان يسير أمامه «شُلاّت» و «خانيش»(١٧١)

وهما ينذران أمامه في الجبال والسهول

ونزع الاله «إيراكال» الأعمدة(١٧٢)

ثم أعقبه الاله «ننورتا» الذي فتق السدود

ورفع الـ «انوناكي» المشاعل

وجعلوا الأرض تلتهب بوهج أنوارها

وبلغت رعود الآلهة «أدد» عنان السماء

وبلغ الخوف من الاله أدد الى السموات

فأحالت كل نور الى ظلمة

وتحطمت البلاد الفسيحة كما تتحطم الجرة

وظلت زوابع الريح الجنوبية(١٧٣) تهب يوماً كاملاً

وازدادت شدة في مهبها حتى غطت الجبال(١٧٤)

وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان

وصار الأخ لا يبصر أخاه

ولا الناس يميزون في السماء

(*) - يذكرنا هذا التعبير الذي ورد كذلك في مواطن أخرى من الملحمة ولاسيما بعد موت انكيدو بالتعبير الهوميري في الأوديسة وهو (أصبع الفجر الوردي) (The roseyfinger of the dawn)

وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان
فهربوا وعرجوا الى سماء «آنو»[١٧٥]
لقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب حذاء الجدار
وصرخت «عشتار» (كما تصرخ) المرأة في الولادة
إنتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي نادبة :
«واحسرتاه! لقد عادت الأيام الأولى الى طين[١٧٦]
لأنني نطقت بالشر في مجمع الآلهة
فماذا دهاني إذ نطقت بالشر
لقد سلطت الدمار على أناسي (خلقي)[١٧٧]
وأنا التي ولدت أناسي هؤلاء
لقد ملؤوا اليم كبيض السمك» .
وبكى معها آلهة الـ «انوناكي»
أجل! جلس الآلهة منكّسي الرؤوس يندبون
وقد يبست شفاههم
ومضت ستة أيام وست أمسيات
ولم تزل زوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد
ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدتها
وقد كانت تفتك كالجيش في الحرب العوان
ثم هدأ البحر وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان[١٧٨]
وتطلعت الى الجو ، فوجدت السكون عاماً

ورأيت البشر وقد عادوا جميعاً الى طين

وكالسقف كانت الأرض مستوية

فتحت كوة طاقتي فسقط النور على وجهي[١٧٩]

سجدت وجلست أبكي

فانهمرت الدموع على وجهي

وتطلعت الى حدود سواحل (البحر)

وفي كل ناحية من النواحي الأربع عشرة

ظهر جبل (جزيرة)[*]

واستقر الفلك على جبل « نصير[١٨٠]

لقد ضبط (مسك) جبل نصير السفينة ولم يدعها تجري

ومضى يوم ويوم ثان وجبل « نصير » ممسك بالسفينة فلم تجرِ

ومضى يوم ثالث ورابع وجبل « نصير » ممسك بالسفينة فلم يدعها تجري

وكان يوم خامس وسادس وجبل نصير ممسك بالسفينة

ولما حل اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)

طارت الحمامة ولكنها عادت

رجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه

وأخرجت السنونو وأطلقته

(*) - وفي إحدى الترجمات : « وظهر جبل في كل من الاثنتي عشرة ناحية » على أننا آثرنا أن نترجم الكلمة الواردة وهي « ناگو » (nagu) جزيرة ، وهذا معناها المألوف وقد تعني « ناحية » أو شاطئ

(NAET, 3, p. 94).

ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعاً يحط فيه

ثم أخرجت غراباً وأطلقته[١٨٢]

فذهب الغراب ، ولما رأى المياه قد قرت وانحسرت

أكل وحام وحط ولم يعد

وعند ذاك أخرجت كل ما في السفينة الى الرياح الأربعة

وقربت قربانا

وسكبت الماء المقدس على زقورة (قمة) الجبل[١٨٣]

ونصبت سبعة وسبعة قدور للقرابين[١٨٤]

وكدست أسفلها القصب وخشب الأرز والآس

فتنسم الآلهة شذاها

أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب

فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب

ولما حضرت الآلهة العظيمة (عشتار)

رفعت عقد الجواهر الذي صاغه لها «آنو» ، وفق هواها ، وقالت :

«أنتم أيها الآلهة الحاضرون : كما أنني لا أنسى عقد اللازورد هذا الذي في جيدي

سأظل أتحسس (أذكر) هذه الأيام ولن أنساها أبداً[١٨٥]

ليتقدم الآلهة الى القرابين

لأنه لم يترو فأحدث عباب الطوفان

وأسلم أناسي (خلقي) الى الهلاك»

ولما جاء انليل وأبصر الفلك غضب

وامتلأ حنقا على آلهة الـ «ايكيكي»[١٨٦] وقال :

«عجباً كيف نجت نفس واحدة ،

وكان القدر ألا ينجو بشر من الهلاك ؟

ففتح الاله «ننورتا»[١٨٧] فاه وقال مخاطباً البطل «أنليل» :

من ذا الذي يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير (ايا) ؟

أجل أن «ايا» هو الذي يعرف خفايا الأمور

وعند ذاك فتح «ايا» فاه وقال مخاطباً «انليل» البطل :

«أيها البطل! أنت أحكم الآلهة

فيكف لم تتروَ فأحدثت عباب الطوفان ؟

حمّل المخطئ وزر خطيئته

وحمّل المعتدي إثم اعتدائه

ولكن ارحم (في العقاب) لئلا يهلك ،

وتشدد لئلا يمعن في الشر

ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان

سلطت السباع على الناس فقلّلت من عددهم[١٨٨]

ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان

سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس

وبدلاً من الطوفان لو أنك أحللت القحط في البلاد

وبدلاً من الطوفان لو أن «ايّرا»[١٨٩] ، فتك بالناس

أما أنا فلم أفشِ سر الآلهة العظام

ولكنني جعلت «أترا – حاسس»[١٩٠] يرى رؤيا

فأدرك سر الآلهة

والآن تدبر أمره وقرر مصيره»

«ثم علا (صعد) «أنليل» فوق السفينة

وأمسك بيدي وأركبني معه في السفينة

وأركب معي أيضاً زوجي وجعلها تسجد بجانبي

ووقف ما بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلاً :

«لم يكن «أوتو – نبشتم» قبل الآن سوى بشر

ولكن منذ الآن سيكون «أوتو – نبشتم» وزوجه مثلنا نحن الآلهة

وسيعيش «أوتو – نبشتم» بعيداً عن «فم الأنهار»

ثم أخذوني بعيداً وأسكنوني عند «فم الأنهار»

والآن من سيجمع الآلهة من أجلك في مجلسهم (يا جلجامش)

لكي تنال الحياة التي تبغي ؟

تعال (أمتحنك)! لاتنم ستة أيام وسبع أمسيات»

ولكن وهو لايزال قاعداً على عجزه إذا بسنة من النوم

تأخذه وتتسلط عليه كالضباب

فالتفت «أوتو – نبشتم» الى امرأته وخاطبها قائلاً :

«انظري (وتأملي) هذا الرجل البطل الذي ينشد الحياة!

لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب»

فأجابت زوج «أوتو - نبشتم» زوجها وقالت له :

«المس الرجل كيما يستيقظ

ويعود أدراجه سالماً في الطريق الذي جاء منه

ليعد الى وطنه من الباب الذي خرج منه»

فأجاب «أوتو - نبشتم» امرأته وقال لها :

«لما كان الخداع من طبيعة البشرية فإنه سيخدعك[١٩١]

«فهلمي اخبزي له أرغفة من الخبز وضعيها عند رأسه

والأيام التي ينام فيها أشّريها في الجدار»

فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه

وأشّرت في الجدار الأيام التي نامها

فصار الرغيف الأول يابساً وتلف الرغيف الثاني

والثالث لم يزل رطباً

وابيضّت قشرة الرغيف الرابع

والخامس لم يزل طرياً والسادس قد تم خبزه في الحال

ولما كان الرغيف السابع لايزال على الجمر لمسه فاستيقظ[١٩٢]

(ولما استيقظ) جلجامش قال لـ «أوتو - نبشتم» ، القاصي :

«لم تكد تأخذني سنة من النوم حتى لمستني فأيقظتني» :

فأجاب «أوتو - نبشتم» جلجامش قائلاً :

«يا جلجامش عدّ أرغفتك

فينبئك المؤشر على الحائط عدد الأيام التي نمت فيها

فقد يبس رغيفك الأول والثاني لم يعد صالحاً

والثالث لايزال رطباً وابيضت قشرة الرابع والخامس لايزال طرياً

والسادس خبز في الحال . والسابع - إذا بك تستيقظ في الحال »

فقال « جلجامش » لـ « أوتو - نبشتم » ، القاصي :

« ماذا عساي يا « أوتو - نبشتم » أن أفعل والى أين أوجّه وجهي ؟

وها أن « المثكل »(١٩٢) قد تمكن من لبي وجوارحي :

أجل! في مضجعي يقيم الموت

وحيثما أضع قدمي يربض الموت »

ثم قال « أوتو - نبشتم » الى « أور - شنابي » الملاح

« يا « أور - شنابي ، عسى ألاّ يرحب بمقدمك المرفأ

ويبرأ منك موضع العبور!

ولتذهب مطروداً من الشاطئ

والرجل الذي قدته الى هنا ،

والذي يغطي جسمه الوسخ

وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود

خذه يا « أور - شنابي » ، وقده الى موضع الاغتسال

ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج

لينزع عنه جلود الحيوانات وليرمها في البحر حتى يتجلى جمال جسمه

ودعه يجدد عصابة رأسه

وليلبس حلة تستر عريه

والى أن يصل طريق سفره

لا تدع آثار العتق تبدو على حلته

بل لتحافظ على جدتها(١٩٤)

فأخذه «أور – شنابي» الى موضع الاغتسال(١٩٤)

وغسل أوساخه في الماء حتى بدا نظيفاً كالثلج

وخلع عنه لباس الجلود فجرفها البحر

حتى تجلى جمال جسمه

وجدد عصابته (عمامته) حول رأسه

وألبسه حلة كست عريه

والى أن يصل الى مدينته وينهي طريق سفره

جعل ثيابه جديدة على الدوام»

ثم ركب جلجامش و «أور – شنابي» في السفينة

وأنزلا السفينة في الأمواج وتهيأا للابحار

(واذ ذاك) خاطبت امرأة «أوتو نبشتم» زوجها وقالت له :

«لقد جاء جلجامش الى هنا وقاسى التعب واشتطت به النوى

فماذا عساك أن تعطيه وهو عائد الى بلاده ؟»

وكان جلجامش في تلك اللحظة قد رفع المردي

ليقرب السفينة الى الشاطئ ،

(فأدركه) «أوتو – نبشتم» وخاطبه قائلاً :

لقد جئت يا جلجامش الى هنا وقاسيت التعب ؟
فما عساني أن أعطيك حتى تعود الى بلادك ؟
سأفتح لك ، يا جلجامش ، سراً خفياً
أجل! سأكشف لك عن سر من أسرار الآلهة!
يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه
وشوكه يخز يديك كما يفعل الورد
فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة (الجديدة) »
وما إن سمع جلجامش هذا القول
حتى فتح المجرى الذي أوصله الى المياه العميقة
وربط بقدميه أحجاراً ثقيلة
ونزل الى أعماق المياه حيث أبصر النبات
فأخذ النبات الذي يخز يديه
وقطع الأحجار الثقيلة من قدميه
فخرج من عمق البحر الى الشاطئ
ثم قال جلجامش لـ « أور - شنابي » ، الملاح :
« يا « أور - شنابي » ، إن هذا النبات عجيب
يستطيع المرء أن يعيد به نشاط الحياة
وسيكون اسمه : « يعود الشيخ الى صباه كالشباب »
لاحملنه معي الى « أوروك » ، المحصنة
وأشرك معي (الناس) ليأكلوا منه

وأنا سآكله (في آخر أيامي) حتى يعود شبابي »[١٩٥]

ثم سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل

وأبصر جلجامش بئراً باردة الماء

فورد (نزل) فيها ليغتسل في مائها

فشمت الحية شذى (نَفَس) النبات

فتسللت واختطفت النبات

ثم نزعت عنها جلدها[١٩٦]

وعند ذاك جلس جلجامش وأخذ يبكي

حتى جرت دموعه على وجنتيه

وكلم « أور - شنابي » ، الملاح قائلاً :

« من أجل مَنْ يا « أور - شنابي » كلت يداي ؟

ومن أجل من استنزفت دم لبي (قلبي) ؟

لم أحقق لنفسي مغنما

أجل! لقد حققت المغنم الى « أسد التراب »[١٩٧]

أفبعد عشرين ساعة مضاعفة[١٩٨]

يأتي هذا المخلوق فيخطف النبات مني ؟

وقد سبق لي أني لما فتحت منافذ الماء

وجدت أن هذا نذير لي أن أتخلى (عن مطلبي)

وأترك السفينة في الساحل »[١٩٩]

وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل

ثم وصلا الى «أوروك» ، ذات الأسوار

فقال جلجامش لـ «أور – شنابي» ، الملاح :

اعلُ يا أور – شنابي ، وتمشَّ فوق أسوار «أوروك»

وافحص قواعد أسوارها وانظر الى آجر بنائها ،

وتيقن أليس من الآجر المفخور

وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها(٢٠٠)

إن «شارا» واحداً خصص للسكن

«وشارا» واحداً لبساتين النخل

و «شارا» واحداً لسهل الري ، بالإضافة الى حارة معبد «عشتار»

فتتضمن أوروك ثلاثة «شارات»(٢٠١) والحارة .

تذييل! «اللوح الحادي عشر من «هو الذي رأى

كل شيء» ، من «سلسلة ، جلجامش»

استنسخ طبق الأصل وحقق

مكتبة (قصر) آشور بانيبال ، ملك العالم ، ملك بلاد آشور .

الهوامش

(٥٥) – تلفظ الجيم في اسم جلجامش وغيره من الاعلام البابلية جيما معطشة (أي ما يسمى بالكاف الفارسية) .

(٥٦) – لانخرام بعض الكلمات من هذا السطر فقد ترجم ترجمات أخرى منها : «هو الذي عرف جميع الأراضي . وهو الذي أخصه بجد يحيي» و «عمن رأى الأعماق» .

(٥٧) – ومثل ذلك يقال بالنسبة الى السطر الثاني حيث ترجم بصور أخرى منها : «هو الذي عرف جميع الأراضي . وهو الذي أخصه بجد يحيى» و «عمن عرف البحار سأقص الخبر كاملاً» .

(٥٨) – «أوروك» المدينة السومرية الشهيرة التي حافظت على اسمها في العهد العربي – الاسلامي بهيئة الوركاء (الورقاء) . وورد ذكرها في التوراة بصيغة «ارك» ، وفي المصادر اليونانية والرومانية باسم «اورخوي» . وتقع بقاياها الآن على نحو ٢٢٠كم جنوب شرقي بغداد ، وعلى مسافة قصيرة (نحو ٢٠كم) شرقي مجرى الفرات الحالي ، بالقرب من خضر الدراجي ويمر فيها شط النيل المندرس الذي كان مجرى الفرات القديم ، وهي مسورة على هيئة شبه دائرة ، ومحيطها نحو ٢/١ ٨كم . وقد اشتهرت في العراق القديم ، وأظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة التي أجرتها البعثة الأثرية الألمانية (١٩١٢ ، ١٩٢٨ ، ومن عام ١٩٥٣ الى الآن) نتائج باهرة في معرفة أطوار حضارة وادي الرافدين . ومعبد «اي – انا» الوارد في الملحمة أشهر معابد الوركاء المقدسة ، وقد خصص لعبادة كبير الآلهة السومري «آنو» والآلهة «أنانا» (عشتار) .

(٥٩) – وفي بعض الترجمات «المجلوبة من بلاد قاصية» وقد استعملنا كلمة الأسكفة العربية المطابقة للكلمة البابلية في الملحمة بدلاً من العتبة على الرغم من أن الأسكفة تطلق بالعربية في الغالب على العتبة العليا من الباب .

(٦٠) – أمكن اكمال الأسطر ، المخرومة في اللوح الأول من أسطر ٢٠ الى السطر (٥٠) من لوح «نمرود» (الذي ذكرنا برقم ١٢ص) (٦٥) والموجود الآن في المتحف العراقي تحت الرقم ٦٧٥٧٥ انظر :

Wiseman, in IRAQ, XXXVII, (1975).

أما الحكماء السبعة فسيأتي ذكرهم في الملحق . . . .) ، وكانوا بحسب مآثر العراق القديم أقدم حكام لسبع مدن جاؤوا بأصول العمران والمدنية ويطلق على أحدهم «منتلكو» (Muntalku) (ويفي المستشار أيضاً) وكذلك مصطلح «ابكلو» (Apkallu) (الافكل) .

(٦١) – السار (ومنه في البابلية مساور) (المشارة) مساحة سطحية يساوي ١/ ١٠٠ من الايكو (الكان) ويعادل

زهاء ٣٠٠م٢

(٦٢) - صندوق الألواح وفي البابلية « طيشينو » (T. upshennu) من النحاس ومفتاحة من البرونز ، والمحتمل أن هذا الصندوق محفوظ فيه لوح أو ألواح من حجر اللازورد ، وكان ينقش بأخبار التأسيس أو تأسيس البناء ولاسيما المعابد ، وقد جرت العادة أن تدفن هذه الألواح مع دمى طينية وتماثيل صغيرة في أسس البناء (انظر :

(IRAQ XXXVII, 1975).

(٦٣) - الاله « شمش » ، الاله الشمس ، وكان عند العراقيين القدماء اله العدل والحق وموحي الشرائع ، وقد اشتهرت عبادته ومركزه وأقيمت له عدة مراكز للعبادة أشهرها معبده في سبارو « لارسا » المسمى « اي - ببار » ويسمى بالسومرية « اوتو » . والاله « ادد » ، اله الجو والرعود والعواصف والامطار .

(٦٤) - المرجح أن هذا يشير الى استدعاء جلجامش لرعيته بضرب الطبول لاستخدامهم في أعمال السخرة . وفي ترجمة أخرى « أصحابه » بدلاً من رعيته .

(٦٥) - وفي ترجمة أخرى لهذين البيتين : « يكون جلجامش هذا راعي اوردك المسورة » : « أهذا هو راعينا القوي الجميل » .

(٦٦) - وفي بعض الروايات »شكواهن « ، ولعل هذا اشارة الى شكوى النساء الى الالهة من مظالم جلجامش انظر حول ذلك البحث الآتي :

O. Ravn, The Passage in Gilgamesh and the Wives of Uruk in Bibliotheca Orientalis, X, (1959), 12 ff.

(٦٧) - اي الاله « آنو » ، كبير الآلهة في العراق القديم ، وكان مركز عبادته في مدينة الوركاء ، وعبدت معه الآلهة «عشتار« (انانا السومرية) ، ويسمى معبدهما « أي - انا » ، بيت الاله « آنو » أو « بيت السماء » .

(٦٨) - إحدى الآلهات الخالقات .

(٦٩) - « ننورتا » ، إله الحرب والصيد . وكلمة « نسل » في الترجمة غير أكيدة إذ أن الكلمة الأكدية « قسرو » (Qisru) الواردة لها عدة معان منها أنها تعني في الطب « جوهر » أو « خلاصة » (essense)

(٧٠) - نصابا الهة الحبوب والغلال .

(٧١) - سموقان ، إله الماشية .

(٧٢) - في بعض الترجمات « الجال » أي المرتفعات والتلال .

(٧٣) - في ترجمات أخرى « جند آنو » ، و « جند السماء » و « شهاب السماء) ، و (جوهر آنو) .

(٧٤) - الأوجار جمع وجرة الحفر التي تحفر لايقاع حيوان الصيد فيها .

(٧٥) - ترجم هذا الشطر في الطبعة الثانية (١٩٧١) ص (٥٧) ، « الغي شمخة » حيث ارتأى أحد الباحثين :

C. H. Gordon, Before The Bible (1962).

إن شمخة اسم علم للبغي . ولكن هذا مشكوك فيه ، ولذلك استعملت في الترجمة القديمة (الطبعة الأولى ١٩٦٢) « البغي المومس » .

(٧٦) - ما بقي من السطر (٩) بنصه البابلي :

a-Sar...... as-si-nu-a-lu-u

والسطر الذي يليه (١٠) :

ir (Sam?) - ha-a-ti... su-na bi-nu-tu

ومصطلح (آسنو) يطلق بوجه عام على صنف من الفتيان كانوا ملحقين بالقصر وقد ترجم هذا المصطلح في الطبعات السابقة بالكسراني «اسينو» ويعني العيد والأعياد .

(٧٧) – حرفيا : «وسعوا أذنه أو سمعه» ، والأذن الطويلة أو الواسعة عند العراقيين القدماء كناية عن االفهم والحكمة .

(٧٨) – أم جلجامش ، الآلهة «ننسون» كما سيمر اسمها .

(٧٩) – أي الكلمة البابلية «قصرو» التي ترجمناها : «جوهر» (خلاصة) (essenc)

(٨٠) – قارن رؤيا يوسف في القرآن الكريم وتفسير رؤياه لكوكبي الشمس والقمر ساجدين له بأبيه وأمه .

(٨١) – من هنا يبدأ اللوح الثاني (النص البابلي القديم) الواضح النص ، وأن الحقل الأول منه وجزءاً من الحقل الثاني تكرار لما سبق من رؤيا جلجامش وتفسيرها ، فلم نثبته في الترجمة التي تبتدئ من العمود الثاني ، وقد أدمجنا النصين ليستقيم المعنى . عن النص البابلي القديم للوح الثاني انظر :

A. Hoidol, TheGilgamwsh Epic (1949) speiser, in ANET (3rd. ed. 1969) 76.

(٨٢) – في النص الآشوري توصف الوركاء بأنها «ذات الأسوار» كما مر بنا .

(٨٣) – قرابة خمسة أسطر مخرومة من نهاية الحقل (العمود) الثالث وثمانية . من بداية الحقل الرابع .

(٨٤) – بداية الحقل الرابع من اللوح الثاني للنص البابلي القديم .

(٨٥) – معنى النص من بعد هذا السطر غير واضح تماماً ولكن يبدو أن أهل أوروك أرسلوا هذا الرسول ليبلغ انكيدو شكواهم من جلجامش ويحرضوه على قتاله .

(٨٦) – معنى السطر غامض وقد ترجم مصطلح «بيت الرجال» (بيت العرائس) أيضاً أو «بيت الزواج» و «بيت الاجتماع» انظر التعليقات المهمة للباحث Leo oppenheim المنشورة في مجلة Orientalia (١٩٤٨) ، ص ٤٨ وانظر كلمة Emuti في المعجم الآشوري الجديد لجامعة شيكاغو .

(٨٧) – إن هذا إشارة واضحة الى ما يضاهي بالضبط عادة الحاكم أو النبيل في العصور القديمة أو الوسطى في حق الدخول على العروس أول ليلة قبل زواجها مما عرف في تاريخ العصور الوسطى بحق الليلة الأولى وباللاتينية Jus Primae noctus.

(٨٨) – نحو ستة أسطر مخرومة ، والمحتمل كثيراً أنها تتعلق باعتزام انكيدو على الذهاب الى أوروك ، كما تدل على ذلك الأسطر التالية .

(٨٩) – إشارة وتمهيداً للصراع الذي سينشب بين البطلين جلجامش «وانكيدو» .

(٩٠) – «اشخارا» الهة من آلهات الحب وشكل من أشكال عشتار ، ويتضمن المشهد ابتداء من هذا السطر الشعائر الدينية الخاصة بما يمكن أن يترجم بالزواج الالهي المقدس (Hieros Gamos) الذي كان يمارس في العراق القديم رمزاً لاتصال الملك بالالهة وكانت كاهنة تقوم بدور الالهة للاتصال الجنسي بالملك ضمانا لاحلال الخصب والرخاء في البلاد . انظر حول هذه الشعائر :

G. Dossin, "Un rituel du culte d'Ishtar" in Revue d'Assyriologie, XXXV, 1ff.; IRAQ (1960) 5g ff., Kramer, "The Dumuzi Inanna sacred Marriage Rite" XVII, Rencontre Assyriologique Internationale (1970), 133 ff.

ولما كان جلجامش يتهيأ للقيام بهذه الشعائر صادف مجيء «انكيدو» فتصدى له ومنعه من دخول المعبد ، ولعل انكيدو أراد هو أن يقوم بذلك الدور فنشبت المعركة بين البطلين ، وكانت بطريقة المصارعة ، وقد

درس بعض الباحثين طريقة المصارعة

(Cyrus Gordon, in Iraq, XV, [. 4).

والطريف ذكره بهذا الصدد أن هناك تقوياً بابلياً ورد فيه عن شهر آب بأنه « شهر جلجامش » الذي تقام فيه المصارعة بين الرياضيين طوال تسعة أيام » :

(E. Weidner, Handbuch der Bab. Astronomie, p. 86, II, 5 - 15).

ويبدو من سياق النص في الأسطر التالية أن الغلبة كانت للجلجامش ، ولكن هذا أعجب ببطولة خصمه فأبقى عليه ، وستصف كانت الأسطر التالية كيف صارا صديقين حميمين . وأن انكيدو من جانبه اعترف بغلبة خصمه الذي يتحلى بالملوكية المقدسة .

(٩١) - النص البابلي القديم المنشور في :

Yale Oriental Series IV, 3 pls. 1 - 7.

والنص الأشوري الناقص منشور في :

C. Thompson, Op. Cit.

(٩٢) - العفريت الذي يحرس غابة الأرز ، وقد ورد اسمه في نصوص الألواح البابلية القديمة بهيئة (خواوا » .

(٩٣) - المصطلح البابلي « بيرو » يعني ساعة مضاعفة لقياس الزمن والمسافات .

(٩٤) - وفي ترجمة أخرى محتملة : « يعيشون تحت الشمس الى الأبد » .

(٩٥) - قارن عبارة سفر الجامعة (التوراة) الاصحاح الأول : ٢- ٤ .

(٩٦) - الوزنة البابلية تساوي ستين منا بابلياً ، « والمنا » نحو نصف كيلو غرام أو رطل انجليزي .

(٩٧) - وفي بعض الروايات السومرية الخاصة بسفر جلجامش الى أرض الخلود نجد جلجامش يتقدم الى الاله شمش وهو ممسك بجدي أبيض وبآخر أسمر وقد وضعهما على صدره ليقدمهما الى الاله شمش ، كما أمسك بيده الأخرى بصولجانه الفضي داعياً « شمش » أن يعينه في رحلته ويرجعه سالماً . والمشهد الأول كثيراً ما يمثل في المنحوتات الأشورية (انظر المقدمة) .

(٩٨) - « انشان » ، اقليم في بلاد عيلام التي هي عربستان أو الأحواز الآن .

(٩٩) - تشير المصادر الكثيرة من حضارة وادي الرافدين الى أن نوعاً من نظام حكم الشورى أو نظام الحكم الديمقراطي كان يمارسه العراقيون الأقدمون في فجر حياتهم السياسية ، وإذا كان ليس في الوسع شرح هذا الموضوع التأريخي المهم فنحيل القارئ الى ما سبق أن نشرناه في مجلة « سومر » (١٩٥١) ، ص ٢٣ فما بعد ونحيله أيضاً الى البحثين المهمين :

1 - Jacobsen, in the Journal pf Near Eastern Studies, vol II, no. 3 (1943), 195 ff.

2 - S. N. Kramer, From The Tablets of Sumer (1956), chap. 4.

(١٠٠) - لوكال بند (بلفظ الكاف كافا فارسية) ، اله جلجامش الحامي ، وزوج الاله ننسون أو (ننسونا) ، أم جلجامش ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

(١٠١) - الآلهة « آي » أو « آية » ، زوج شمش وهي تمثل الفجر مثل الآلهة اليونانية « أيوس » (Eos) والرومانية « أرورا » (Aurora)

(١٠٢) - حراس الليل هم الآلهة الموكلون بحراسة الليل ، والاله (سين) الاله القمر ، الذي اعتقدوا فيه أنه أبو الاله « شمش » ، حيث يتولد النهار من الليل ، وعبادة الاله القمر ، مثل الاله الشمس ، انتشرت في أماكن

كثيرة من الشرق الأدنى ، ومن ذلك جنوب الجزيرة العربية فيما قبل الاسلام وعرف بأسماء مختلفة أشهرها ١٠ - المقا (في سبا) ٢ - سين (حضرموت) ٣ - وَد (معين) ٤ - عم (قتبان) .

(١٠٢) - إن المسافة التي تقطع في الساعة البابلية المضاعفة تبلغ نحو فرسخين ، وبالضبط ٨, ١٠كم . وتكون مسافة ثلاث مرات خمسين ساعة مضاعفة نحو ١٦٠٠كم ، وهي المسافة التقريبية بين بلاد بابل ولبنان (منطقة الأرز) . حول ذلك انظر :

Schott. Das Gilgamesh Epos (1958). p. 43.

(١٠٤) - وقد يترجم بهيئات أخرى مثل « زوجي » أو « حبيبي » الخ .

(١٠٥) - الكلمة البابلية في النص « الميشو » (elmeshu) ترجمها الأستاذ « سبايزر » (ANET. 1969 3, p. 83) بكلمة (brass) أي الشبه أو الشبهان أو النحاس الأصفر الذي هو مزيج من النحاس والزنك انظر :

C. Thompson, An Assyrian Dictionary of Chemistry and Geology (1936) 76.

أما ترجمتها بالبرونز فهي ليست بعيدة عن الحقيقة ، والبرونز على ما هو معروف مزيج من النحاس والقصدير .

(١٠٦) - الترجمة غير مؤكدة لانخرام عدة كلمات وقد ترجم البعض هذا السطر بعبارة : « عمامة غطاؤها » . . .

(١٠٧) - يشير هذا الى العادة التي عمت في تلك الأزمان من الندب والبكاء على تموز ، اله الحصار والربيع ، حيث اعتقدوا أنه كان ينزل الى العالم الأسفل ويظل رهينة في ذلك العالم طوال نصف عام ثم يقوم الى الحياة في النصف الثاني مقابل بقاء أخته المسماة كشتن - انا رهينة في العالم الأسفل بدلاً عنه . قارن هذا بما ورد في التوراة سفر حزقيال (٨ - ١٥) : « فجاء بي الى مدخل بيت الرب الذي من جهة الشمال ، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز » . وظلت العادة شائعة بين الأقوام المتأخرة . راجع مثلاً رواية ابن النديم في فهرسته عن ممارسة النواح والبكاء على تموز « تاوز » عند أهل حران الذين يسميهم صابئة .

(١٠٨) - وقد يترجم « طير الراعي » ، وفي البابلية « الألو » (allalu) .

(١٠٩) - ترجم بعضهم هذا الطائر بطير الراعي كما ذكرنا . ويلاحظ أن الشقراق الذي يكثر في العراق يخرج في أثناء موسم اللقاح ، وهو طائر ، يطلق صوتاً يشبه اللفظ البابلي (كپي) Kappi أي « جناحي » . وأن صوته هذا وتقلبه في أثناء الطيران هو الذي أوحى على ما يرجح هذا الخيال الطريف لأدباء العراق القديم ومنه نشأت « أسطورة الجناح الكسير » .

(١١٠) - الملاحظ أن الحصان لما يرد يضع قائمتيه الأماميتين في الماء ويحفر بهما الأرض فيعكر الماء .

(١١١) - يبدو أن هذه العبارة من الأمثال البابلية السائرة . وقد ترجم كوخ الحلفاء . والحلفاء في البابلية الكلمة نفسها في العربية .

(١١٢) - في البابلية « دلالو » (dallalu) وأقرب ترجمة (ضفدع) (انظر معجم شيكاغو الآشوري) ، وقد اقترح بعضهم تعيينه بالخلد أو العنكبوت .

(١١٣) - فحوى هذا التهديد واضح ، إذ أنه بقيامة الموتى من العالم الأسفل ومشاركتهم الأحياء في الطعام تحل المجاعة في الأرض ويحرم حتى الآلهة من الطعام .

(١١٤) - كان الأولى أن يحل القحط والمجاعة لو فعلت عشتار ما هددت به ، ولكن يبدو ، كما رأى البعض ، أن ثور السماء يرمز الى انحباس المياه وحلول الجفاف .

(١١٥) - زنة (المنا) البابلي ، كما ذكرنا ، نحو نصف كيلو غرام .

(١١٦) – الكر البابلي قياس للسعة أو الحجوم يساوي نحو ٣٠٠ لتر .

(١١٧) – صيغة لاسم فاعل بابلي واضح المعنى . أما هذه الصيغة فهي جمع (mutabbilate) ولا يبعد أن يكون اسم فاعل مضعفاً من الفعل المضاهي في العربية « طبّل » (يطبل) .

(١١٨) – ينتهي اللوح السادس هنا بالتذييل الآتي :

– اللوح السادس من : (هو الذي رأى كل شيء) . سلسلة جلجامش . كتب طبق الأصل وحقق .

(١١٩) – بداية اللوح السابع ، وإن بداية هذا اللوح من النص الآشوري مفقودة أيضاً ولكن يمكن تكميلها من النص الحثي . حول الدراسات الجديدةعن اللوحين الرابع والسابع من الملحمة انظر :

B. Landsberger in Revue d'Assyriologie, 67 (1968). 97 ff. ،

Speiser in ANET (1969).

(١٢٠) – أي نزول الاله « شمش » الى الناس حيث طلوع الشمس على البشر كل يوم جعل هذا الاله يعطف على البشر ويقف بجانبهم ويدافع عنهم في مجالس الالهة ، حتى صار كأنه واحد من البشر .

(١٢١) – الكلك « جمعه أكلاك » ولا يزال يستعمل في انهار العراق الآن وهو عبارة عن عدة أخشاب أو ألواح تربط بعضها الى بعض للطواف في الأنهار على هيئة قوارب مسطحة .

(١٢٢) – في ترجمة أخرى لهذين السطرين : « من كان على بعد فرسخ سيضرب فخذه من أجلك . ومن كان على بعد فرسخين سيهز شعره من أجلك ، وعادة ضرب الفخذ باليد أثناء التعجب والاستغراب أو الاستهجان ما زالت مستعملة الى الآن .

(١٢٣) – « زو » طير الصاعقة في أساطير العراق القديم .

(١٢٤) – الغالب على تصور العراقيين القدماء لأرواح الموتى أنها على هيئة الطيور ، ويشاركهم في هذا التصور بعض الأقوام القديمة ، مثل المصريين القدماء الذين صوروا أرواح الموتى على هيئة الفراشة ، ولعل أحسن بحث مقارن عن عقائد العراقيين والعبرانيين في عالم ما بعد الموتى في :

(A. Heidel, The Gilgamesh Epic).

(١٢٥) – من أسماء آلهة العالم الأسفل وملكة ذلك العالم التي تدعى « ايرش كيگال » .

(١٢٦) – المحتمل كثيراً أن هؤلاء هم الملوك والحكام الذين يمثلون الآلهة وينوبون عنهم في حكم البشر على الأرض . وقد ترجم بعضهم النص بأن هؤلاء الذين يقدمون اللحم والماء في العالم الأسفل .

(١٢٧) – « ايتانا » ويلقب بالراعي ورد اسمع في اثبات الملوك السومرية أنه أحد ملوك « كيش » القدامى ، وترتيبه الملك الثالث عشر من سلالة كيش الأولى ، التي كانت أول سلالة حكمت بعد الطوفان ، وقد خصص لحكمه (١٥٠٠) عام ، ووردت عنه أسطورة طريفة تروي صعوده الى السماء على ظهر نسر (انظر ترجمة الأسطورة في مجلة سومر – ١٩٥١) .

(١٢٨) – « سموقان » إله الماشية .

(١٢٩) – انظر : .ANET, 3, 506 وقد اكتشفت الكسرة التي تكون بداية اللوح الثاني في الموضع الأثري المسمى « سلطان ثيه » ، القريب من حران ، وقد نشرت في المرجع الآتي :

O. R. Gurney in Hournal of Cueiform Studies, VIII (1954). 90 ff.

(١٣٠) – لايعلم موقع هذا النهر على وجه التأكيد وإنما يحتمل أنه نهر « كارون » الآن في خوزستان ، الذي ورد ذكره في المصادر اليونانية والرومانية بصيغة « اولاس » .

(١٢١) - لأول مرة يرد اسم بطل الطوفان البابلي « اوتو - نبشتم » ابن « اوبار - توتو » ويحتمل أن « اوتو - نبشتم » يعني بالبابلية : « الذي أدرك الحياة » (انظر المقدمة) . وقد ورد اسم بطل الطوفان في الروايات السومرية بهيئة : « زيسودرا » ، حكيم مدينة « شروباك » (فارة الآن) وكاهنها . وقد خلد هذا البطل أيضاً وأسكنته الآلهة في « دلمون » ، وهو موضع يحتمل تعيينه بالبحرين (انظر بحث المؤلف في مجلة سومر عدد ١٩٤٧) ، وانتقل اسم هذا البطل الى المآثر الاغريقية . أما « أوبار - توتو » ، فقد ورد ذكره من بين الملوك الثمانية الذين حكموا في خمس مدن في أزمان ما قبل الطوفان حيث كانت مدينة « شروباك » المدينة الخامسة .

(١٢٢) - لا يعلم بالضبط أصل هذا اللفظ ، فإذا كان الاسم (بابليا) فيحتمل أنه يعني « التوءمين » ، ولعل هذا إشارة الى تصور العراقيين القدماء لجبال لبنان الغربية والشرقية .

(١٢٣) - مخلوقات أسطورية مركبة من انسان وعقرب .

(١٢٤) - يشبه وصف هذا البستان العجيب ما ورد في قصص ألف ليلة وليلة .

(١٢٥) - في نهاية السطر الباقي من اللوح التاسع يأتي تذييل اللوح :

- « اللوح التاسع » من « هو الذي رأى كل شيء » من سلسلة (جلجامش) ، مكتبة قصر (آشور بانيبال) ، ملك العالم ، ملك « بلد آشور » ، ثم يأتي اللوح العاشر وبدايته مخرومة أيضاً ، ووجد لهذا اللوح نصان ، بابلي قديم وآشوري فاضطررنا الى تغيير مواضع نصوصه ليستمر المعنى منسجماً في سياق واحد .

(١٢٦) - يذكرنا هذا بإحدى مواد شريعة حمورابي (المادة ١٠٩) التي فرضت عقوبة شديدة على صاحبات الحانات إذا هن آوين المتآمرين وقطاع الطرق ولم يبلّغن السلطة عنهم . وفي النص البابلي تستعمل كلمة « سابيتم » لبائعة الخمر ، وفي المادة العربية نفسها « سبأ » ، و (سباء) أي بائع الخمر .

(١٢٧) - قارن هذا القول بما جاء في المزامير : المزمور ١١٥ : ١٧ .

(١٢٨) - حرفياً في النص البابلي : وضبطت الحياة بأيديها » .

(١٢٩) - قارن سفر الجامعة ٥ : ١٨ - ١٩ : « هو ذا الذي رأيته أنا خير الذي هو حسن أن يأكل الانسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذي تعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التي أعطاه الله إياها لأنه نصيبه ، أيضاً كل انسان أعطاه غنى ومالاً وسلطة عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله » .

(١٤٠) - انظر سفر الجامعة ٨ : ١٥ « فمدحت الفرح لأنه ليس للانسان خير تحت الشمس إلا أن يأكل ويشرب ويفرح وهذا يبقى له في تعبه مدة أيام حياته التي يعطيه الله إياها تحت الشمس » .

(١٤١) - سفر الجامعة أيضاً ٩ : ٨ - ٩ « لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن . التذ عيشاً مع المرأة التي أحببتها كل أيام حياة باطلك التي أعطاك الله إياها تحت الشمس ، كل أيام باطلك ، لأن ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تتعبه تحت الشمس » .

(١٤٢) - انظر الهامش ١٢٢ .

(١٤٣) - ولهذا الاسم قراءة أخرى بهيئة « سر - شنابي » .(Speiser).

(١٤٤) - أي الى صور الحجر ، ويبدو أن هذه الصور السحرية هي التي تمكّن « أور - شنابي» ، ملاح « أوتو - نبشتم » من عبور مياه الموت في طريقه إليه ، حيث يقطن في جزيرة في آخر بحر الموت .(١٤٥) - لأنهما كانا يمخران في « مياه الموت » فإن جلجامش لم يستعمل المردي الواحد إلا لدفعة واحدة ، إذ أنه بعد أن ينطس معظم طوله في الماء يرميه فيه مخافة أن تلمس يده مياه الموت . و « المردي » وجمعه « مرادي » أو « مراريد » ، لايزال يستعمل في العراق في دفع السفن النهرية .

(١٤٦) – قارن سفر الجامعة ١ : ٤ ، ١١

(١٤٧) – قارن سفر الجامعة ١ : ٤ ، ١١

(١٤٨) – الـ «انوناكي» اسم جنس عام يطلق على مجموع الآلهة ، وبوجه خاص آلهة العالم الأسفل بوصفها قضاة ذلك العالم .

(١٤٩) – قارن سفر التثنية ٣٠ : ١٩ .

(١٥٠) – بهذا السطر يبتدئ اللوح الحادي عشر ، وفي نهاية اللوح العاشر يوجد سطر التذييل المألوف : «اللوح العاشر» من «هو الذي رأي كل شيء» من «سلسلة جلجامش» ، مكتبة (قصر) آشور بانيبال ، ملك العالم ، ملك بلاد آشور .

(١٥١) – «شروباك» ، وتعرف اطلالها الآن باسم تل «فاره» بالقرب من مدينة الوركاء (على بعد نحو ١٨ ميلاً ، أي ٢٥كم الى الجهة الشمالية الغربية) ، وكانت من المدن السومرية الشهيرة ، وموطن بطل الطوفان البابلي «أوتو – نبشتم» ، وجاء ذكرها في اثبات الملوك السومرية من بين المدن الخمس التي حكمت فيها سلالات ما قبل الطوفان . أما هذه المدن فهي بالترتيب : «أريدو» (أبو شهرين) ثم «بادتبيرا» (يرجح أن بقاياها تعرف الآن باسم المدينة في منطقة لجش) و«أراك» (لعل موقعها في منطقة ناحية الحسينية من الكوت) ، و «سبار» ثم «شروباك» ، وتعطي أثبات الملوك السالفة الذكر لحكم سلالات هذه المدن ٢٤١٢٠٠ عام . وستأتي الاشارة في الملحمة الى أن الآلهة كانوا يحكمون في شروباك في أزمان ما قبل الطوفان حيث كانت الملوكية بيد الالهة وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية الى السماء ثم عادت الى الأرض من بعد الطوفان ، وكانت أول سلالة حكمت بعد الطوفان سلالة «كيش» الأولى .

(١٥٢) – بعضهم يترجم هذا بمأمور أو موظف خاص بالري .

(١٥٣) – الخطاب ، كما هو واضح من النص ، موجه بطريق التورية الى صاحب الكوخ أي «أوتو – نبشتم» (من قبيل) : «واسأل القرية» أي أهل القرية . «أوبار – توتو» كان أيضاً أحد الملوك القدامى وأنه حكم في شروباك مدى طويلاً .

(١٥٤) – قارن نص التوراة ، سفر التكوين ٦ : ١٤

(١٥٥) – أيضاً سفر التكوين ٦ : ١٩ – ٢٠ (انظر الملحق) .

(١٥٦) – سفر التكوين ٦ : ١٥ (انظر الملحق) .

(١٥٧) – مياه العمق الـ «ابسو» ، وكانت في اعتقاد العراقيين القدماء ، المياه الجوفية السفلى . حيث موطن إله الماء «أيا» . وقد يعنون بـ «أبسو» ، مياه المحيط الأسفل ، حيث اعتقدوا أن الأنهار والأهوار تخرج من تلك المياه .

(١٥٨) – استعمل الكاتب هنا تورية من الكلمتين البابليتين (kibati) و (kukku) اللتين تعنيان معنى مزدوجاً ، إمّا الطعام أو الهلاك ، وقد قصد الاله «ابا» من هذه التورية أن يفهم عامة الناس أن هذه بشرى بالخير . أما بالنسبة الى «اوتو – نبشتم» فيعني وقوع الطوفان الذي كان على وشك الحدوث .

(١٥٩) – أي هيكل السفينة وقد أثبتنا الكلمة البابلية «بنية» التي تعني المعنى نفسه بالعربية .

(١٦٠) – الـ «ايكو» البابلي مساحة سطحية تعادل نحو ٣٦٠٠ متر مربع أي نحو «ايكر» واحد (يساوي الايكر نحو ٤٠٠٠م٢) . أما الذراع البابلية فتساوي نحو نصف متر (أي بقدر الذراع العربية تقريباً) ، وبما أن ارتفاعها ٦٠م (١٢٠ ذراعاً) فيكون شكل سفينة «اوتو – نبشتم» مكعباً منتظماً وسعتها نحو ٢١٦٠٠٠ متر مكعب . قارن بهذا الصدد أبعاد سفينة نوح كما وردت في سفر التكوين ٦ : ١٥ .

(١٦١) - أي أن كل طابق من الطوابق السبعة قسمه «اوتو - نبشتم» الى تسعة أقسام أو مقاصير .

(١٦٢) - قارن سفر التكوين (٦ : ١٦) . ومصطلح «اوتاد الماء» واضح ، وهذا ما يستعمل في بناء السفن بغرز حشوات خشبية في الفواصل ما بين الألواح لمنع الماء من النفاذ إليها وفي الأصل البابلي «سكك» أو «سكات» بالجمع .

(١٦٣) - الـ «شار» البابلي كيل أو قياس حجم المساحة الى المساحة السطحية .

(١٦٤) - قارن سفر التكوين ٦ : ٢١ (انظر الملحق) .

(١٦٥) - سفر التكوين ٦ : ٢١ .

(١٦٦) - سفر التكوين ٧ : ٧ - ٨ .

(١٦٧) - في الموارد السابقة كان «ايا» هو الإله الذي انذر «اوتو - نيشتم» بموعد حدوث الطوفان ، فهل يعني ادخال الاله «شمش» بدلا عنه في هذا السطر وجود نص ثان للملحمة .

(١٦٨) - في الأصل «القصر» أي «الهيكل» ، أي السفينة .

(١٦٩) - سفر التكوين ٧ : ١١ .

(١٧٠) - الاله «أدد» إله الزوابع والرعود .

(١٧١) - من رسل الاله «أدد» الذي سبق أن قلنا إنه إله الرعود والبروق والزوابع .

(١٧٢) - «ايراكال» من آلهة العالم الأسفل ، وأحد أسماء الاله «نرجال» (نرجول في التوراة») ، اله العالم الأسفل ، ولعل المقصود بالأعمدة هنا «دعائم سد العالم الأسفل» ، الذي يحبس المياه الجوفية السفلى .

(١٧٣) - الريح الجنوبية في العراق وبالأحرى الجنوبية الشرقية التي تسمى «شرجي» (شرقي) هي الرياح الممطرة عادة ، وهي الرياح التي تهب من جهة الخليج ومنطقة الأهوار .

(١٧٤) - سفر التكوين ٧ : ٢٠ - ٢٣ .

(١٧٥) - «آنو» اله السماء او الاله السماء . وكانت سماء «آنو» بحسب تصور العراقيين القدماء أعلى سماء من السماوات السبع .

(١٧٦) - سفر التكوين ٧ : ٢٣ .

(١٧٧) - سفر التكوين ٨ : ٢١ .

(١٧٨) - سفر التكوين ٨ : ١ - ٢ .

(١٧٩) - سفر التكوين ٨ : ٦ .

(١٨٠) - قارن رواية سفر التكوين (٨ : ٤ ، انظر الملحق) حيث الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبال «اراراط» اسم أرمينية القديم «اورارطو» ، وإذا صحت قراءة اسم الجبل في الملحمة «نصير» فلعل معناه «جبل الخلاص» . وورد اسم جبل نصير في أخبار الملك الآشوري «آشور ناصربال» الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق .م) وإنه يقع بموجب هذه الأخبار الى جنوب وادي الزاب الصغير ، وقد ذكر مصحوباً باسم «الكوتيين» ، وقد عينه بعض الباحثين بجبل (بيره مكرون) ، الجبل الشهير القريب من السليمانية ، الذي يرتفع نحو ٩ آلاف قدم ، ويبعد عن «شروباك» موطن «اوتو - نبشتم» بنحو ٤٥٠ كم الى الجهة الشمالية الشرقية ، وكان يعرف الى عهد قريب أيضاً باسم «بير عمر كودرون» ، وجاء اسم الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح البابلي بحسب رواية «بيروسوس» (برعوشا ، الكاتب البابلي ، القرن الثالث ق .م) باسم جبل الـ «كوردين» أي جبل الأكراد ، وفي المآثر العربية (القرآن الكريم) والمآثر السريانية كان الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبل الجودي .

(١٨١) - سفر التكوين ٨ : ٨ - ١٠ (انظر الملحق حول الطيور التي أطلقها نوح) .

(١٨٢) - في سفر التكوين ٨ : ٧ وصف حدث اطلاق الطيور في التوراة باسهاب ، فبعد أربعين يوماً من بدء الطوفان وعند ظهور قمم الجبال أطلق نوح غراباً ، فظل هذا الطائر يحوم حتى انحسار الطوفان ولم يعد الى السفينة ، وبعد سبعة أيام أطلق نوح حمامة ، وهذه لم تجد موضعاً تحط فيه فعادت (٨ : ٨ - ٩) ، وبعد سبعة أيام أخرى أطلق نوح حمامة أخرى فوجدت هذه طعاماً وبعض المواضع اليابسة ولكنها عادت حاملة معها غصن زيتون أخضر (٨ : ١٠ - ١١) . وبعد سبعة أيام أيضاً أطلق حمامة ثالثة (٨ : ١١) لم ترجع إليه ، فتأكد من انحسار المياه حتى من الأجزاء الواطئة من الأرض .

(١٨٣) - سفر التكوين (٨ : ١٩ - ٢٠) .

(١٨٤) - التعبير سبعة وسبعة لرقم ١٤ ذو مغزى حضاري والتعبير نفسه نجده مستعملاً في لغة الطقوس الدينية عند اليونان (DIS HEPTA)

وهذا من جملة الأدلة الكثيرة على مواطن الشبه والاتصال بين ملحمة جلجامش وأساطير اليونان وآدابها . حول ذلك راجع :

C. H. Gordon, Before The Bible (1962).

(١٨٥) - يقارن بعضهم هذا العمل من جانب الآلهة « عشتار » ، بقوس قزح الوارد ذكره في التوراة والذي كان آيا عهد الله الى نوح وذريته بعدم تكرر حدوث الطوفان (وسفر التكوين ٩ : ٨ - ١٧ . انظر الملحق) .

(١٨٦) - اسم جنس عام يطلق على جميع آلهة السماء .

(١٨٧) - « ننورتا » ، ابن الاله « انليل » ، رسول الآلهة واله الحرب .

(١٨٨) - قارن سفر الجامعة ١٤ : ١٣ - ٢١ .

(١٨٩) - « ايرّا » ، اله الوباء والطاعون .

(١٩٠) - سبق أن ذكرنا « أترا - حاسس » (ومعناه بالبابلية المفرط في الحس والفهم أي الحكمة) ، وهي صفة أو اسم آخر لبطل الطوفان « اوتو - نبشتم » ، وتوجد قصة بابلية أخرى عن الطوفان تدور عن أترا - حاسس وقد جاء فيها أن الآلهة سلطت على البشر لمعاقبتهم وإفنائهم عدة آفات من بينها القحط والوباء وأخيراً الطوفان (انظر المراجع المذكورة في المقدمة ص١٨ هامش ١٢ والملحق الخامس) .

(١٩١) - قارن عبارة التوراة ، سفر التكوين ٨ : ٢١ .

(١٩٢) - أي أن اوتو - نبشتم لمس جلجامش .

(١٩٣) - « المتحكم » أو المفرق أو المثكل ، كناية عن الموت .

(١٩٤) - يرى بعض الباحثين أن هذا كان محاولة أولى يقوم بها « اوتو - نبشتم » ليجعل جلجامش دائم الشباب باغتساله في « مياه الشباب » واكسائه بلباس « الشباب » الدائم ، قبل أن يدله على النبات الذي يجدد الشباب ، مما سيأتي ذكره في الأسطر التالية (قارن ذلك بالأسطورة الخاصة بالاسكندر الكبير عن بحثه عن نبع الحياة في بحر الظلمات) .

(١٩٥) - يتضح من الوصف أن خاصية هذا النبات السحري تجديد الشباب ، وأنه ينبغي أن يؤكل بعد أن تدرك المرء الشيخوخة ، وقد ترجمه البعض نبات « العجرم » (Buckthorn) ولهذا لم يأكل منه جلجامش بل انتظر حتى يعود الى مدينته الوركاء ويستعمله متى ما أدركته الشيخوخة ، كما يبدو أنه صمم على زرعه في بلاده لتكثير نوعه .

(١٩٦) - إن الحية استطاعت بتأثير ذلك النبات السحري أن تجدد شبابها بنزع جلدها كل عام ، ومن هذه الأسطورة نشأت عادة اتخاذ صورة الحية رمزاً للحياة والشفاء والطب . كما يجدر ربط هذه الحادثة الأسطورية بالعداء الذي استحكم بين الحية وأولاد حواء من بعد الاغواء حيث أمر الله بذلك وكان من بين العقوبات التي فرضها على آدم وحواء وذريتهما من بعد أكلهما من شجرة الجنة المحرّمة .

(١٩٧) - من نعوت الحية عند العراقيين القدماء .

(١٩٨) - السياق يقتضي خمسين ساعة مضاعفة .

(١٩٩) - فسر جلجامش اخفاقه بأنه نذير له أن يترك السفينة ويعود براً مع الملاح « اور - شنابي » الذي نفاه سيده « اوتو - نبشتم » فجاء مع جلجامش .

(٢٠٠) - يعود المؤلف الى بداية الملحمة ، كما ذكرنا في المقدمة .

(٢٠١) - الشار أو السار مساحة سطحية تساوي نحو ٣٥ متراً مربعاً . وبالنظر الى سعة مدينة الوركاء فالمحتمل أن هناك خطأ في الكتابة أو في التقدير ، ولعل المقصود هنا وحدة مساحة أكبر يرجح أن تكون « گان » أي « ايكو » الذي يساوي (١٠٠) سار ، وبذا تكون المساحة أقرب الى الحقيقة ، أي مساحة المدينة التي محيطها يبلغ نحو ١/٢ ٨كم .

القسم الثالث

الملاحق

الملحق الأول
اللوح الثاني عشر من الملحمة

لقد سبق أن ذكرنا أن اللوح الثاني عشر من مجموعة الألواح الأثني عشر المسماة «سلسلة جلجامش» لا يمت بصلة في حوادثه الى مادة الملحمة ، ولكنه أدمج فيها دمجاً اصطناعياً ، ولعل المناسبة أو الصلة في ذلك أنه بعد أن عاد جلجامش خائباً من نيل الخلود صار شغله الشاغل التفكير بمصيره في عالم ما بعد الموت ، فجاء وصف ذلك العالم ، وهو موضوع اللوح الثاني عشر ، وحال الموتى فيه باستعادة حادثة نزول صديقه «أنكيدو» الى ذلك العالم ، محققاً بذلك لسان حاله :

لو جاء من أهل البلى مخبر

سألته عن قوم وأرخت

هل فاز بالجنة عمالها

أو هل ثوى بالنار نوبخت[٢٠٢]

ومع أن هذا اللوح لم يدرج في ترجمة الملحمة في كثير من الترجمات التي عددناها إلا أننا ارتأينا أن نورد خلاصة له في نهاية الترجمة اتماماً للفائدة .

ومما يقال بوجه الاجمال ، أن هذا اللوح يكاد يكون ترجمة بابلية

حرفية لأصل سومري يدور على الأعمال البطولية المنسوبة الى جلجامش وصديقه «أنكيدو» ، ولاسيما قصة نزول «أنكيدو» الى عالم الموتى أو العالم الأسفل . ولكن يوجد نقص يناهز نحو اثني عشر سطراً من أول هذا اللوح . وقد أصبح المرجح أن هذه الأسطر المخرومة تحتوي على المادة الموجودة في الأصل السومري نفسها[٢٠٣] الذي تبدأ حوادثه من زمن الخليقة بعد انفصال السماء عن الأرض وخلق البشر . وبعد أن تقاسم الآلهة العظام أجزاء الكون ومسؤولياتها ، واختص كل منهم بجزء منه ، حدث في تلك الأزمان أن شجرة اسمها بالبابلية خلبو Huluppu لعلها الصفصاف (أي الخلاف العربية) قد اقتلعتها الريح الجنوبية وجرفها نهر الفرات ، وحين أوصلها التيار الى مدينة «أوروك» ، رأتها الآلهة «أنانا» (عشتار البابلية) حينما كانت تتمشى على ضفاف النهر فانتشلتها من الماء وأخذتها الى بستانها المقدسة في «أوروك» وتعهدتها بالرعاية لتصنع من خشبها سريراً وكرسياً لها . ولكن لما كبرت الشجرة لم تستطع «أنانا» أن تحقق ذلك الغرض لأن ثعباناً اتخذ أسفلها مأوى له كما اتخذ أعلاها طير الصاعقة «زو» عشاً لصغاره واتخذت وسطها الشيطانة «ليلث» مأوى لها[٢٠٤] فحزنت «أنانا» (عشتار) لما حل بشجرتها . ولما سمع جلجامش بمحنتها خف لنجدتها وهجم على الثعبان وذبحه كما فر طير الصاعقة ومثل ذلك فعلت الجنية «ليلث» ، ثم عمد جلجامش ومعه رجال «أوروك» الى قطع الشجرة وتسليمها الى عشتار لتصنع منها السرير والكرسي . وإضافة الى ذلك ، صنعت عشتار من القسم السفلي من الشجرة ومن قسمها العلوي آلتين غريبتين ما أمكن ترجمتهما ، واسم أولاهما «پكو» والثانية «مكو»[٢٠٥] ، أهدتهما الى جلجامش . ولكن حدث لسوء الحظ أن هاتين الآلتين سقطتا في أحد الأيام في العالم الأسفل ، ولم يستطع استعادتهما من ذلك العالم فحزن حزناً عظيماً بحيث صار يندبهما .

والى هنا ينتهي النص السومري ، ولكن يبدأ نص اللوح الثاني عشر من ألواح سلسلة جلجامش . ويبدأ هذا اللوح (من بعد انخرام

١٢ سطراً منه) بحزن جلجامش على فقدان آلتيه الـ « پكو » والـ « مكو » فتطوع صديقه « أنكيدو » لنجدته بأن نزل الى العالم الأسفل لجلب تينك الآلتين ، وهنا نجد جلجامش يحاور « أنكيدو » ويرشده الى ما ينبغي له أن يسلك في ذلك العالم :

« إذا اعتزمت النزول الى العالم الأسفل

فسأقول لك كلمة فاتبع كلمتي

سأرشدك فسر وفق ارشادي

لا تكتس بالحلة النظيفة الزاهية

فتبدو نزيلاً غريباً عنهم

« لاتمسح جسمك بالزيت الفاخر

لئلا يجتمعوا حولك بسبب عطره .

لا ترم عصا في العالم الأسفل

مخافة أن تصيب بعضهم فيحيطوا بك

لا تأخذ بيدك عصا

وإلا فإن الأرواح سترتجف منك

لاتلبس نعلاً في قدميك

ولا تحدث صوتاً في العالم الأسفل

وإذا وجدت الزوجة التي تحبها فلا تقبّلها

والزوجة التي تبغضها لاتضربها

ولا تقبل الابن الذي تحب

ولا تضرب الابن الذي تكره

وإلا فإن بكاء العالم الأسفل سيغلبك »

ولكن « أنكيدو » لم يأخذ بنصح سيده « جلجامش » بل سار على عكس الوصايا التي أوصاه بها ، فلبس حلة فاخرة ومسح جسمه بالزيت الطيب فتجمع حوله سكان العالم الأسفل ، وقذف بالعصا فأحاط به من أصابهم ، وأخذ معه عصا فارتجفت الأرواح قدامه ، ولبس الخف بقدميه وأحدث صوتاً في العالم الأسفل ، وقبّل المرأة التي أحب ، وضرب المرأة التي أبغض ، وقبّل الابن الذي أحب وضرب الابن الذي كره ، فغلبه صراخ العالم الأسفل وعويله .

ولهذا قررت ملكة العالم الأسفل بألا يخرج أنكيدو من ذلك العالم ، لأن سنة ذلك العالم أن من دخله لايرجع منه(٢٠٦) . فصار جلجامش يندبه ويبكيه ، وقصد معبد الآله « أنليل » في مدينة « نُفّر » ، المسمى « إي - كور » ، وبث شكواه وتضرعه الى الآله « أنليل » من ضياع آلته الـ « پكو » والـ « مكو » ، في العالم الأسفل ، وكيف أمسك هذا العالم بصديقه « أنكيدو » الذي نزل إليه ليرجعهما له . ولكن الآله « أنليل » لم يسعفه . فذهب الى مدينة « أور » وقصد معبد إلهها « سين » وشكا إليه حاله والتمس عونه ، فلم يستجب إليه هذا الآله ، فقصد معبد الآله « إيا » المسمى « إي - أپسو » ، في مدينة « أريدو » وطلب منه العون فاستجاب له بأن طلب من إله العالم الأسفل « نرجال » أن يحدث فتحة صغيرة من العالم الأسفل حتى تخرج منها روح « أنكيدو » وتخبر صديقه جلجامش بأحوال ذلك العالم ، ففعل « نرجال » ذلك ، فخرجت روح أنكيدو أو شبحه كأنها هبة الريح فتعانق الصديقان وأخذ جلجامش يسأل شبح صديقه :

« أخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت »

فأجابه صديقه :

« لن أقص عليك أخبار العالم الأسفل يا صديقي

وإذا كان لابد من إخبارك فعليك أن تجلس وتبكي

فأجابه جلجامش : «سأجلس وأبكي»

فأخذ شبح أنكيدو يشرح له الصور القاتمة التي وجدها للعالم الأسفل :

«إن جسمي الذي كنت تلمسه يوم كان قلبك تعمره الأفراح ،

يلتهمه الدود الآن كما لو كان لباساً خلقاً» .

فصرخ جلجامش يا ويلتاه وتمرغ في التراب

صرخ (جلجامش) ورمى نفسه في التراب وخاطب شبح أنكيدو :

هل رأيت الذي قتل في المعركة(؟)

أجل ، لقد رأيت . أبوه وأمه يرفعان رأسه

وتنوح عليه زوجته

وهل رأيت من ترك جثمانه في البرية(؟)

أجل لقد رأيت . إن روحه لاتجد الراحة في العالم الأسفل

هل رأيت من لايوجد أحد يقرّب لروحه ؟

أجل لقد رأيت . إن روحه تأكل من حثالة الأوعية وكسرات الخبز وفضلات الشوارع .

«هل رأيت الذي لاولد له ؟

أجل رأيته (وطعامه التراب والطين)

هل رأيت الذي خلف وراءه ابنا واحداً

«أجل لقد رأيته وهو ممدد أسفل الجدار ويبكي بكاءً مراً»

والذي خلف ابنين هل رأيت ؟

أجل لقد رأيته ، إنه يضطجع في بناء من الآجر ويأكل الخبز

هل رأيت الذي خلف ثلاثة أبناء ؟

أجل رأيت . إنه يسقى الماء من زقاق ماء العمق .

والذي له أربعة أبناء هل رأيت ؟

أجل شاهدته وهو فرح القلب

وهل رأيت الذي خلف خمسة أبناء

نعم رأيته وهو كالكاتب السعيد ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر .

ثم يسأله عن الذي خلف ستة وسبعة وثمانية ، ولكن ينخرم النص في الإجابة ، فلا يعلم حالهم في عالم الأموات ، ولكن بالقياس الى قاعدة أن كثرة الأولاد مدعاة لرفاه الميت ، فلابد أن يكون الجواب كذلك[٢٠٧] . ثم يسأله عن حالات غير معروفة لانخرام النص أيضاً وأوضحها التي ترجمناها مثل سؤاله عن الذي قتل في المعركة حيث شاهده بصحبة أبويه ، ولكن زوجته تبكي عليه ، وسأله عن الذي لم يدفن فأجابه أن روحه لا قرار لها في عالم الأموات ، وسأله عن الذي لايقرب له أحد من بعد موته فأجابه بأنه يأكل الفضلات التي ترمى في المزابل . وينتهي اللوح الثاني عشر بالتذييل المألوف «اللوح الثاني عشر من سلسلة هو الذي رأى كل شيء . وفي نص آخر : «اللوح الثاني عشر من سلسلة جلجامش» وقد تمت .

الملحق الثاني
إضافات جديدة إلى ألواح الملحمة

١ - اللوح الأول:

سبق أن ذكرنا أن زهاء خمسين سطراً مخروماً من اللوح الأول مما يكون ديباجة الملحمة قد أمكن إكمالها من اللوح الجديد المكتشف في نمرود (كالح) في أثناء تنقيبات البعثة البريطانية فيها ، وقد أثبتنا ترجمتها والتعليق عليها .

٢ - اللوح الخامس:

كما قد ذكرنا اكتشاف ثلاث كسر مهمة من ألواح طينية تعود الى اللوح الخامس . وقد عثر على اثنتين منهما في تنقيبات مديرية الآثار العراقية في تل حرمل (١٩٥٥ - ١٩٥٦) . أما الكسرة الأولى (أ) فقد نشرها الباحث Van Dijik في مجلة «سومر» ، ١٥ ، (١٩٥٩) ، القسم الانكليزي ، ونشر الباحث نفسه الكسرة الثانية (ب) في المجلة نفسها المجلد ١٣ (١٩٥٧) والمجلد ١٤ (١٩٥٨) ، وعلق عليها الباحث Van Soden في المجلة نفسها .

أما الكسرة الثالثة (ج) فقد عثر عليها في تنقيبات المعهد الشرقي

لجامعة شيكاغو في تل «اشجالي» وقد نشرها (Th. Bauer) في مجلة
Journal of Near Eastern Studies, (1957) 254 ff.

وقد أضاف محتويات هذه الكسر الثلاث الأستاذ سبايزر (Speiser) الى ترجمته للملحمة المنشورة في :
Ancient Near Eastern Texts (1969), 304 ff.

الكسرة «أ» A

أما الكسرة الاولى(أ) (A) ، فإنها في حالة مشوّهة وناقصة بحيث يتعذر تقديم ترجمة لها ، ولكن يمكن ايجاز محتوياتها بأنها تدور على وصول جلجامش وصاحبه «أنكيدو»الى غابة الأرز ، وهو الحدث الذي جاء في بداية اللوح الخامس .

الكسرة «ب» (B)

تتضمن هذه الكسرة وصفاً لحلم شبيه بما جاء في اللوح الخامس

الأسطر ٧ - ١٩ ، كما أن مافيه يضاهي ما جاء في اللوح السادس من وصف ثور السماء . ولكنه جاء في هذه الكسرة وقد وقع في أثناء حلم رآه جلجامش وفسره له صديقه «أنكيدو» . وندرج فيما يأتي ترجمة للأسطر الواضحة من نص هذه الكسرة(*) :

انهض وانظر إلى الجبال . .

لقد حرمت من نومي المقدس

يا صديقي رأيت رؤيا ولكنها تنذر بالشر وتبعث الهلع

(*) - ANET (1969), p. 50.

(رأيت) أني أمسكت بثور وحشي في البرية

وهو يجأر بخواره ويثير الغبار الذي غطى السماء

لقد أصابني الهلع منه

لقد كان قوياً مخيفاً . . .

لقد مزَق . . .

لقد هيأ طعاماً . . .لقد شرب وقدم لي

لقد شرب من ماء قربته

***

(وإلى هنا ينتهي ما بقي سالماً من وصف الحلم ويبدأ أنكيدو في تفسيره لحلم جلجامش) على الوجه الآتي :

أن الإله الذي ستذهب إليه يا صديقي

ليس ثوراً وحشياً وإن كانت هيئة جسمه غريبة

إن الثور الوحشي الذي رأيت هو «شمش» المضيء

سيأخذ بأيدينا عند الشدة

أما الذي أعطاك ماء من قربته لتشرب

فإنه الآله الذي سيجعلك تنال المجد

فعلينا أن نلازمه ونستعين به – إنه «لوگال بندا»

لنستطيع أن نأتي بالأعمال التي

لن تكون عاراً علينا من بعد الموت

الكسرة ج (G) وتتضمن مقتل «خمبابا»(٢٠٨) (من تل اسجالي)

وجه اللوح

قال جلجامش لأنكيدو :

سنصل إلى . . .

إن حزم الأشعة المتوهجة ستضطرب وتختفي

ستتلاشى الحزم المضيئة وسيصبح الضوء كدراً غائماً

أجاب «أنكيدو» جلجامش قائلاً :

يا صديقي : إذا أمسكت بالطائر فإلى أين ستذهب صغار طيوره ؟

فدعنا نبحث عن حزم الأشعة المضيئة من بعد ذلك .

فإنها مثل صغار الطير سوف تتنقل في الحشائش

اقتل أولاً خواوا ، ثم اقضِ على أتباعه

قفا اللوح:

استمع جلجامش إلى قول صديقه

فأخذ الفأس بيده

واستل السيف من حزامه

طعنه جلجامش في الرقبة (طعن خواوا)

أما صديقه «أنكيدو» . .

وفي الطعنة الثالثة سقط (خواوا)

لقد ضرب الحارس (خواوا) فسقط على الأرض

لقد ارتجت أشجار الأرز مسافة ساعتين مضاعفتين

لقد قتل «أنكيدو» معه . . .

قتل «أنكيدو» حارس الغابة

لقد ارتجفت من سيفه جبال لبنان (حرمون)[٢٠٩]

وأصبحت الجبال جميعها . . .

وأصبحت جميع التلال . . .

. . . . . (أربعة أسطر غير واضحة)

لقد كشف عن المسكن السري لآلهة «الأنوناكي»

في حين أن جلجامش قطع الأشجار ، وحفر أنكيدو ال «اورمازيلي ؟ ؟»

وقال أنكيدو لجلجامش . .

يا جلجامش . . . لقد اقتلعت أشجار الأرز

(البقية مشوّهة لا تصلح للترجمة)

اللوح السابع:

اكتشف في الموضع الأثري المسمى «سلطاتبة» (القريب من حران في تركية) جزء من اللوح السابع يحتوي بهيئة غير كاملة على بقية كلام «أنكيدو» الموجه إلى الباب ، ويكمل هذا النص الجديد النص المخروم الذي يسبق العمود الثالث من اللوح السابع ووجد ما يضاهي نص «سلطان ثبة» كسرة يرجع عهدها إلى العصر البابلي الحديث[٢١٠] ، وفيما يلي ترجمة الواضح من هذا النص الجديد :

(من بعد بضعة أسطر مشوهة يستمر كلام «أنكيدو» الموجه إلى الباب) :

أيها الباب إنني أنا الذي صنعتك وأنا الذي رفعتك

لعل ملكاً ممن سيأتي من بعدي

ولعل إلهاً. . . .

عسى أن يزيل اسمي ويضع اسمه بدلاً منه

. . . . لقد مزق وحطم . . .

وبينما كان يستمع إلى كلامه. . . أسرع. . .

وبينما كان جلجامش يصغي إلى كلام صديقه أنكيدو

انهمرت دموعه

فتح جلجامش فاه وخاطب أنكيدو :

إن من يحوز على الحكمة قد يتفوه بأقوال غريبة

علامَ يا صديقي تَصْدُرُ من قلبك أمورٌ غريبة

لقد كان الحلم يتصف باليمن ، ولكن كان الرعب عظيماً. .

ومع عظم الرعب والهلع فإن الحلم ينبئ باليمن

سيزول الهلع والرعب عن الأصحاء

لقد خلف الحلم الخوف عند الأصحاء

وإنني سأصلي وأدعو الآلهة العظام

(نحو ١١ سطراً مخروماً)

وحين ظهر ضوء النهار

رفع أنكيدو رأسه وهو يبكي أمام «شمش»
لقد جرت دموعه أمام ضوء شمس الباهر وخاطبه :
أدعوك يا شمش من جهة الصياد الشرير .
إن الصياد الذي منعني من أن اصطاد كثيراً مثل صديقي
عساه ألا يجد صيداً كثيراً مثل صديقه

اللوح الثامن:

وقد اكتشف من هذا اللوح كسرة أيضاً في سلطان ثبة السالف الذكر(*) ويتضمن كلام جلجامش إلى أنكيدو وهو يسليه ويخفف من وطأة الحلم الذي رآه عن اقتراب موته :

وعندما نور النهار قال جلجامش لصديقه
يا أنكيدو إن أمك ظبية وأبوك حمار الوحش
قد زوداك . . .
ولقد رباك من لهم ذيول الماشية
في البرية وفي المراعي
عسى آثارك في غابة الأرز
أن تبكي من أجلك ليل نهار
وعسى أن ينوح عليك شيوخ «أوروك» المسورة

(*) انظر :

Gurney in Journal of Cuneiform Studies VIII (1954), 90 ff.
ANET (1969), 506.

وعسى أن يبكيك الأصبع الذي باركنا من ورائنا
وعسى أن يتردد صدى البكاء في الأرياف
وكأنه بكاء أمك . . .
وعسى أن يندبك الدب والضبع
والنمر والظبي والفهد والأسد والعجول والظباء
وجميع وحوش البرية
وعسى أن يبكيك نهر «اولا»
الذي مشينا على ضفافه
وعسى أن يندبك الفرات الطاهر الذي كنا نسقى منه بالقرب
ومحاربو «أوروك» المسورة الواسعة
لقد ذبحنا الثور– عسى أن يندبك
وعسى أن يندبك من عظم اسمك في «أريدو»
ويبكيك من أطعمك الخبز
ومن مسح ظهرك بالزيت
ويندبك من سقاك الجعة
وتبكيك البغي التي طيبتك بالزيت العطر
وأن يندبك من جلب إليك الزوجة والخاتم (الحلقة)
التي اخترت
وعسى أن يبكيك الأخوة كالاخوات وأن يطيلوا شعورهم
من أجلك

ثم تأتي أسطر مشوهة يعقبها اصدارجلجامش أوامره إلى الصنّاع والصاغة والنحاتين بأن يصيغوا لصديقه تمثالاً من اللازورد مما هو مثبت في الترجمة) .

الملحق الثالث
اللوح الثاني عشر من الملحمة

١ - موت جلجامش

الأسطورة أو القصة التي تدور على موت البطل جلجامش جاءتنا بهيئة قصيدة سومرية لم يبقَ منها إلا جزء قليل ، حيث لا يعلم مقدار طولها بالأصل . وقد جاء الجزء الباقي منها في ألواح (ثلاثة) من نفر ويرجع زمنها إلى العصر البابلي القديم (مطلع الألف الثاني ق .م) . ولكن على الرغم من قلة ما بقي سالماً من النص فإنه يلقى ضوءاً كاشفاً على جانب مهم من عقائد القوم في عالم ما بعد الموت .

وقد قسم الباحث (كرامر)[٢١١] النص إلى قسمين دعاهما في ترجمته A وB ، ولم يستطع ربطهما اذ توجد ما بينهما خروم لا يعلم مقدارها .

وخلاصة النص (A) أن جلجامش أدرك الحقيقة المقدرة على البشرأي الموت وأنه لا سبيل له للحصول على الخلود ، وعليه أن يرضى بنصيبه ، ويكفيه أن الإله « أنليل » منحه الملوكية والبطولة ورفعة الشأن وخلود الذكر . ويعقب ذلك موت جلجامش ، وقد جاء في عشرة أسطر باقية من النص ، وينتهي بالندب والنوح على جلجامش .

وخلاصة القسم الثاني (B) الذي يتألف ما بقي منه من ٤٢ سطراً

أنه يتضمن قائمة أو ثبتا بأفراد أسرة جلجامش وحاشيته واتباعه وخدمه ممن ذهب معه إلى العالم الأسفل ، ثم ثبتا بالهدايا التي قدمها جلجامش لآلهة العالم الأسفل ، وفي مقدمتهم ملكة ذلك العالم «أيريشكيگال» .

وهنا تتوارد إلى الذهن جملة احتمالات مهمة لتفسير هذا المورد من النص ، منها أن جلجامش صار ملك العالم الأسفل وأن الأتباع والحاشية الذين يعددهم النص على أنهم اصطحبوه إلى ذلك العالم قد دفنوا معه أحياءً ، الأمر الذي يؤكد التفسير الذي ارتآه المنقب « وولي » عن المقبرة الملكية الشهيرة في أور(٢١٢) عن ممارسة دفن الأتباع مع الأمير والحاكم معه .

ويجدر أن نلاحظ بهذا الصدد أن زمن جلجامش ، بصفته شخصية تأريخية ، يقع في حدود زمن المقبرة الملكية في أور ، أي قبيل الدور الثالث مما يسمى عصر السلالات في العراق القديم ، أو أواخر الدور الثاني من ذلك العصر (في حدود ٢٥٠٠ق .م .) .

الترجمة:

١ - القسم الأول (A)

وندرج فيما يلي ترجمة الأسطر الواضحة من هذا القسم من النص ، حيث تكون الأسطر الأولى من ١ إلى ٢٤ مشوّهة ولم يبقَ منها سوى كلمات متقطعة لا تصلح للترجمة :

. . . ابن اوتو

في العالم الأسفل ، موضع الظلمة ، إنه سيضيء حقاً

والبشر مهما كثرت أسماؤهم وأنواعهم .

فمن غيره من سيكون مثل هيئته إلى قابل الأيام ؟

والأبطال العظام ، والعرافون . إنهم كالهلال حقاً . .

٣٠- من غيره من وجد القوة والمقدرة قبلهم (قدامهم) . . .

٣٢-وفي شهر آب . . . الأرواح (الأشباح) . . . .

٣٣-لا يكون ضوء أمامهم بدونه

٣٤-إن « أنليل » ، الجبل العظيم ، أبا الآلهة . .

٣٥-أن مغزى حلمك يا أيها السيد جلجامش

لقد قدر مصيرك أن تحوز على الملوكية يا جلجامش

أما الحياة الخالدة فلم تقدر لك

ولكن لا يحزن قلبك من أجل تلك الحياة . . .

ولا تبتئس ولا تقنط وتحزن

ومن ارتكب الخطيئة من بني الإنسان

ومن المحرمات أطلق قيدك ؟

لقد وهبك نور البشر وظلمتهم

ووهبك السيادة على البشر

وقدر لك النصر في المعركة التي لا يسلم منها أحد

وقدر لك النصر في الهجوم الذي لا يسلم منه أحد

. . . .

وعليك أن . . . قدام الاله « أوتو »

. . . خروم من نحو أحد عشر سطراً

ومن . . . الشر . . . أنه يضطجع ولا يقوم .

ومن مكن العدل في البلاد يضطجع ولا يقوم

. . . .

والشديد القوى يضطجع ولا يقوم . .

إن سيد « كلاب »(٢١٣) يضطجع ولن يقوم

والحكيم الوسيم يضطجع ولا يقوم

ومن ارتقى الجبال معه يضطجع ولا يقوم .

على فراش المنية المقدرة يضطجع ولا يقوم

وعلى السرير . . المزركش يضطجع ولا يقوم

القائمون غير صامتين والقاعدون غير صامتين .

لقد أقاموا ندباً ومناحة(٢١٤)

ومن يتناول طعاماً لم يسكت ومن يشرب الماء لم يسكت

لقد أقاموا مناحة

و « نمتار »(٢١٥) غير صامت

وكالسمكة قد مد . . .

وكالغزال الذي وقع فريسة لسلاح « كشيرُو »(٢١٦)

« نمتار » الذي لا أيدي له ولا أرجل ولا يشرب الماء

ولا يأكل الطعام

(بقية الأسطر وعددها زهاء عشرة أسطر مخرومة لا تصلح للترجمة)

القسم الثاني (B):

زوجته المحبوبة وابنه الحبيب

. . . الزوجة . . محظيته (سَريته) المحبوبة

وموسيقاره ، نديمه المحبوب

حاجبه الأمين

أسرته المحبوبة واتباع قصره وحارسه الحبيب

القصر المطهر . . . قلب « أوروك » وكل من يضطجع معه

في ذلك الموضع

جلجامش ابن الآلهة « نِنسُن »

كلهم وزنوا وقدموا قرابينهم إلى « ايريشكيگال »

وقدموا هداياهم إلى « نمتار »

ووزنوا وقدموا هداياهم إلى « دمييكك »

وزنوا قرابينهم من الخبز إلى « نيتي »[٢١٧]

لقد وزنوا قرابين الخبز إلى « ننكشزيدا » و « دموزي »

وقدموا إلى « انكى » و « ننكي » و « اينمُل » و « نِنمُل »

وإلى « انددكُگَّا » و « نندِدُكُگا »

وإلى « اننداشرَّيمانو » و « نندا شرينما »

. . . .

آباء الآله « أنليل »

وإلى « شليااءا » ، رئيس الطعام (الخوان)

وسموقان و «ننخرساگ»

وإلى انوناكي العائدين إلى «دوكگ»

والى «ايكيكي»ال «دوكك»

والى الاموات . . . والى «سنگو» و«انتو»

. . . .

لقد وزن السيد جلجامش قرابينهم من الطعام

جلجامش ابن «ننسن»

وفي موضع سكب الماء المقدس ، قرب خمر التمر

. . . . (ستة أسطرمخرومة)

الذي لايضارِعه منافس ولانظيرله

ياجلجامش ياسيد «كلاّب» إن مديحك خير وبركة

٢ - جلجامش و «أكّا»

من قصص الملاحم القصيرة التي تدور أحداثها على البطل جلجامش وأحد حكماء مدينة كيش المعاصر له وهو «أگّا» قصة أو قصيدة سومرية تروي النزاع ما بين هذين الحاكمين ، أي «جلجامش» الذي كان من الناحية التأريخية خامس ملوك الوركاء الأولى (بحسب جداول الملوك السومرية)(٢١٨) و «أگّا» (Agge) آخر ملوك سلاسة كيش الأولى (بحسب تلك الجداول أيضاً)(٢١٨) وكلاهما حكم في أواخر عصر السلالات الثاني في حدود ٢٥٠٠ ق .م .

وقد جاءت هذه القصة مدونةً على إحدى عشرة قطعة من ألواح الطين وكسر الألواح ، عثر على عشر منها في تنقيبات المدينة

السومرية نفر ، والقطعة الحادية عشر من معثر مجهول ، وكلها ترجع في زمنها الى ما يسمى بالعصر البابلي القديم (من النصف الأول من الألف الثاني ق .م .)(٢١٩) .

وإضافةً الى طرافة هذه القصة من الناحية الروائية والدرامية ، ورغم قصرها ، فإنها على قدر كبير من الأهمية السياسية ، فهي تصور لنا أحوال ذلك العصر السياسية ، أي عصر دول المدن أو عصر السلالات الذي تميز من الناحية السياسية بالنزاع والاحتراب ما بين دول المدن التي كان الكثير منها متعاصراً(٢٢٠) . وخلاصة القصة أن « أگا » ، ملك كيش أراد أن يبسط سلطانه على دولة مدينة الوركاء ، وكان يحكم فيها ، كما قلنا « جلجامش » ، وقبل أن يشنّ الحرب على الوركاء ، أرسل سفارة الى جلجامش تحمل إنذاراً له بأن يخضع له ويعترف بسيادة كيش على الوركاء . وهنا تروي القصة حدثاً سياسياً مهماً هو أن دويلة الوركاء كان يصرف أمورها وشؤونها المهمة مجلس شورى أو برلمان مؤلف من قسمين ، أحدهما مجلس شيوخ المدينة وثانيهما مجلس الرجال المحاربين . ولما كان جلجامش لا يستطيع أن يقرر وحده شؤون الدولة الخطيرة مثل الحرب والسلم فإنه استدعى أولاً مجلس شيوخ المدينة وعرض عليهم إنذار « أگا » وحثّهم على عدم الرضوخ الى مطالبه بل مقاومته بالحرب ، لكن المجلس رأى الرضوخ والاستسلام بدلاً من الحرب ، فامتعض جلجامش وعرض الأمر على المجلس المؤلف من رجال المدينة المحاربين - كما ذكرنا - وكرر عليهم تحريضه على عدم الاستسلام لملك كيش بل المقاومة والحرب ، فاستجاب هؤلاء ، وقرروا الحرب دون التفريط باستقلالهم وحريتهم . وتستمر الملحمة من بعد خروم .

فتقدم المشهد الثاني من الحوادث بقدوم « أگا » على رأس جيشه لحرب الوركاء وحصاره لها . ويبدو من سياق النص أن المدافعين عن المدينة قد أخذتهم المفاجأة بغتةً ودب فيهم الخذلان ، فاضطر جلجامش

الى التسليم وقبول المفاوضة والصلح . ومع النواقص والخروب ، فإنه يبدو من سياق القصة أن « أگا » قبل الصلح ورفع الحصار عن أسوار الوركاء ، كما يشير الى ذلك الخطاب الذي وجّهه جلجامش الى « أگا » ، وهو ثناء ومديح له . وتنتهي القصيدة السومرية المؤلفة من زهاء ١١٥ سطراً بتمجيد البطل جلجامش .

وندرج فيما يلي ترجمة للأسطر الواضحة منها :

إن رسل « أگا » بن « إينمر براگيسي »[١٢١]

شرعوا بالسفر من كيش الى « جلجامش » في الوركاء

فعرض الحاكم جلجامش الأمر على (مجلس) شيوخ مدينته

(عرض) الأمر عليهم وطلب منهم المشورة قائلاً :

علينا ألا نخضع لبيت كيش بل لنحارب بالسلاح

ونرفض أعمال السخرة وحفر الآبار .

فأجاب مجلس شيوخ المدينة وقالوا لجلجامش :

« لنخضع لبيت كيش ولا نحارب بالسلاح

لنخضع لأعمال السخرة وحفر الآبار

أما جلجامش سيد « كلاّب »[٢٢٢]

والذي حقق أعمال البطولة للآلهة « انانا »

فلم يرضَ ويسر بكلام شيوخ مدينته

إن « جلجامش » سيد كلاب ، مرة أخرى

عرض الأمر على رجال مدينته (المحاربين) وطلب

منهم النصح والمشورة قائلاً :

لا تذعنوا لبيت كيش بل علينا أن نحارب بالسلاح

فأجاب رجال المدينة المحاربون وقالوا لجلجامش :

لاتذعن وتستسلم لبيت كيش .

أيها القائمون والقاعدون لا ترضخوا لبيت كيش

انتم الذين ربيتهم مع أبناء الملك

لاتخضعوا لبيت كيش بل دعونا نقاوم بالسلاح

إن « أوروك » المدينة التي شيدتها الآلهة

و « اي - أنا »[٢٢٣] ، البيت الذي هبط من السماء

إن الآلهة العظام هم الذين صمموا وأقاموا أجزاءه

وأن سورها الذي يناطح السماء

وأن بيتها الثاني الذي أسسه « آنو »

أنت يا (جلجامش) الذي رعيته ، أنت الملك والبطل

أنت الأمير الذي يحبه « آنو »

فكيف خفت من اقترابه[٢٢٤]

فإن جيشه مبعثر صغير

وإن رجاله ليسوا جنوداً شجعاناً

وعندئذ فرح وسرّ « جلجامش » ، سيد « كُلاّب » لكلام رجال مدينته

وقال لتابعه « أنكيدو »

عليك أن تهيئ الان ال « شكارا »[٢٢٥] يوم تشتد المعركة

أجمع آلات القتال

ودعها تحدث الرعب والهلع

أما عن « أكا » فإن الخوف مني سيتسلط عليه

وسوف يضطرب أمره ويحل به الوهن »

ولم يكد يمضي أكثر من عشرة أيام وأكثر من خمسة أيام

حتى وصل « أكّا » بين « اينميركار » وضرب الحصار على « أوروك »

وحل الوهن والرعب في « أوروك »

. . . .

ويعقب ذلك أسطر مخرومة غير كاملة ، ولكن يستدل من الكلمات المتقطعة الباقية منها أن المدافعين عن مدينة الوركاء من محاربي جلجامش قد أخذوا بغتة ، فاضطر جلجامش الى إرسال رسولين الى « أكّا » عارضاً عليه الرضوخ والصلح ، وقد أسر أحد الرسولين ، ولكن أرسل مبعوثاً آخر ، وقبل « أكّا » الصلح ورفع الحصار عن أسوار الوركاء ، كما يشير الى ذلك الخطاب الذي وجّهه جلجامش الى « أكّا » ويعترف فيه بسيادته ويكيل له المديح والثناء ، ثم تنتهي هذه القصيدة السومرية المؤلفة من ١١٥ سطراً ، كما قلنا ، بتمجيد البطل جلجامش .

٣ - جلجامش وأرض الحياة

وجاءت إلينا قصة سومرية ملحمية ثالثة تروي طرفاً من أعمال جلجامش البطولية ، وتضاهي الى حد كبير ما جاء في ملحمة جلجامش

البابلية ، وهو الحدث المتعلق بسفره مع تابعه أنكيدو الى غابات الأرز وقتل العفريت « خمبابا » أو « خواوا » ، بحيث يصح القول إنها أحد الأصول السومرية لملحمة جلجامش البابلية .

وقد أمكن جمع هذه الملحمة من نحو ١٤ لوحاً وكسر من ألواح عثر على معظمها في تنقيبات المدينة السومرية الشهيرة « نفر » (القريبة من عفك) ، ووجدت قطعة منها في مدينة كيش (القريبة من بابل بنحو ١٠ أميال الى الشرق) .

ويرجع زمن هذه الألواح الى مايسمى في تأريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني ق .م .) ، ويؤلف النص الذي بقى سالماً فيها قصيدة سومرية يبلغ عدد أسطرها ١٧٥ سطراً[٢٢٦] .

وتدور أحدث هذه الملحمة - كما قلنا - على مغامرة لجلجامش وصديقه أنكيدو في جبال الأرز وقتلهما لحارس الغابة العفريت « خواوا » . فجلجامش وقد أدرك أن مصيره الى الموت مثل البشر الآخرين ، وأن لاسبيل له لبلوغ الخلود المادي ، عزم على إتيان بعض الأعمال البطولية التي تخلد اسمه قبل أن يوافيه الأجل المحتوم . وكان من بين الأعمال ، أنه قرر أن يذهب الى أرض الحياة[٢٢٧] ، ويقطع الأشجار ، وعندما بلّغ عزمه هذا الى صاحبه وتابعه « أنكيدو » نصحه هذا بالعدول ، وصوّر له الأهوال والمخاطر التي ستصدر منها ، ولما أصر على السفر نصحه أن يستشير الإله « أوتو » (شمش) ويلتمس منه العون ، لأن غابات الارز تحت سلطانه وحمايته . فأبدى له « أوتو » العون والحماية في سفره المحفوف بالاخطار عبر الجبال . وقبل أن يشرع جلجامش بالسفر جمع لحملته خمسين متطوعاً من رجال الوركاء وشبابها ممن لا تربطهم رابطة عائلية .

وبعد أن هيأ أسلحة مختلفة شرع بالسفر وعبر سبع سلاسل من الجبال الصعبة العبور . ولا يعلم سير الحملة من بعد اجتياز تلك الجبال

لانخرام النص . ولكن بعد أن يصبح النص واضحاً نجد جلجامش وقد غط في سباتٍ عميق ولم يواصل سفره . ولما أيقظه أنكيدو أقسم بحياة أمه الآلهة ، « ننسن » وأبيه « لوگابندا » أنه سيدخل أرض الحياة . وهنا نجد صديقه أنكيدو يحاول مرة أخرى أن يثني صديقه عن عزمه لما سيلاقيه من المخاطر ، ولاسيما ملاقاة « خواوا » ، حارس الغابة الذي لاقبل لأحد على ملاقاته وصدّ هجومه . وبعد أن شجع جلجامش صديقه واصل الاثنان سيرهما ووصلا الى غابة الأرز أو « أرض الحياة » واقتطعا سبع أشجار منها . وعندما اقترب جلجامش من مربض العفريت خمبابا جبن إزاءه ، خلافاً لما كان متوقعاً من بطشه ، وأخذ يتضرع إليه أن يبقيه حياً ومتضرعاً الى الإله « أوتو » . فَرّق قلب جلجامش له وكاد أن يعفو عنه . ولكن « أنكيدو » حذره وحرضه على قتله ، فقتله وقطع رأسه ، وقررا أن يقدما جثته هديةً الى الاله « أنليل » وزوجته الآلهة « ننليل » .

وندرج فيما يلي الترجمة للأسطر الواضحة المحفوظة من الملحمة :

الى « أرض الحياة » وجّه السيد عزمه

السيد جلجامش وجّه عزمه الى « أرض الحياة »

فقال لتابعه « أنكيدو » :

يا « أنكيدو » بما أن الأجر وختم الأجر قد أحلاّ النهاية المحتومة(٢٢٨)

فإنني اعتزمتِ أن أدخل الى « أرض الحياة » وأسجل اسمي

في المواضع التي لم تسجل فيها أسماء . سأضع اسمي

فأجابه تابعه « أنكيدو » قائلاً :

إذا اعتزمت دخول أرض (الحياة) فأنبىءالآله « أوتو »

أجل بلّغ البطل « أوتو »

. . . فإن تلك الأرض بعهدة «أوتو»

أجل ، إن «أرض الأرز» بعهدة «أوتو» فأخبر «أوتو»

فأمسك جلجامش بجدي أبيض بيده

ووضع جدياً أسمر على صدره ليكونا قرباناً

وأمسك بالصولجان الفضي بيده

وقال «لأوتو» السماوي :

«يا أوتو لقد اعتزمت على أن أدخل أرض الحياة

فكن حليفي وعوني

عزمت على أن أدخل أرض الأرز المقطوع (؟) فكن حليفي وعوني

فأجاب «أوتو» السماوي :

. . . انك حقاً . . . . ولكن ما شأنك بأرض الحياة ؟

(فأجابه جلجامش) : يا أوتو أريد أن أكلمك فاصغِ لكلمتي .

في أرضي (مدينتي) يموت الرجل وهو حزين القلب

إن الرجل يهلك وقلبه مثقل بالألم

ها أنذا أنظر من فوق الأسوار

فأشاهد هياكل الموتى وهي طافية في النهر»

وأنا سيكون مصيري هكذا حقاً

والإنسان مهما استطال لايمكنه أن يبلغ السماء

وبما أن الأجل الموعود لما يحل

فإنني عزمت على أن أدخل أرض الحياة وأخلّد اسمي

وفي المواضع التي تسجل فيها أسماء سوف أسجل أسماء الآلهة

وتقبّل منه «أوتو» تضرعه ودموعه على أنها قرابين وأظهر ، الرحمة والعطف عليه .

. . . .

(يعقب ذلك عدة أسطر غير واضحة المعنى) . ولكن يبدو من النص الواضح أن جلجامش جند لحملته وسفره الى غابة الأرز وأرض الحياة ٥٠ متطوعاً من رجال مدينة الوركاء لاتربطهم روابط عائلية ، وعلى أتم الاستعداد لمرافقته . وعند إذن ، هيأ جلجامش العدة ومنها الأسلحة وشرع بالسفر ، وعبرت الحملة سبع سلاسل من الجبال) . وفيما يلي ترجمة الأسطر التالية الواضحة :

الأبطال السبعة أبناء أمٍ واحدة

لقد اجتاز هؤلاء الأبطال السبعة الجبال

وأسقطوا أشجار الأرز

لقد جمع البطل جلجامش خمسين بطلاً معه وجهّزهم بالعدة والسلاح

ولما عبروا الجبل السابع

شرع جلجامش بقطع أشجار الأرز

ولكنه من بعد ذلك ، غطّ في نومٍ عميق ولم يستيقظ

فخاطبه تابعه ، ولكنه لم يجب .

«أيها النائم ، أيها المضطجع

يا أيها البطل جلجامش ، يا بن « كلاّب »[٢٢٩] الى متى ستظل نائماً

ها أن الأرض قد لفّها الظلام وغدت مظلمةً

وحل الفجر بضيائه

وذهب «أوتو» ، وهو رافع الرأس ، إلى حضن أمه الالهة «ننگال»

فإلى متى ستظل نائماً يا جلجامش ؟

فلا تجعل أبناء مدينتك الذين اصطحبوك

يقفون في سفح الجبال ينتظرونك

ولا تدع أمك التي ولدتك تساق إلى ساحة المدينة (!!)

لقد استمع جلجامش واستيقظ

واستلّ سيفه وجعله كالرداء الذي يلفه ويحميه

ووقف على الأرض العظيمة كالثور

وضع فمه على الأرض واصطكت أسنانه وأقسم قائلاً :

«وحياة أمي نِنسن التي ولدتني» وحياة أبي «لوگال بندا» الطاهر

وكرر القسم قائلاً :

إلى أن أقاتل ذلك الرجل إن كان رجلاً

وإلى أن أصارعه إن كان آلهاً

فإنني وجهت خطاي إلى أرض الحياة ولن أتوجّه إلى المدينة

ولكن خادمه توسل إليه ، وقال له :

يا سيدي! أنت الذي لم ترَ الرجل[٢٢٠] لا تخاف

ولكنني أنا الذي شاهدت الرجل يشلني الخوف

إنه بطل (مارد) ، أسنانه أسنان «تنين»

ووجهه وجه أسد

إنه الطوفان الجارف

ومن مقدمة رأسه التي تبتلع الأشجار والقصب لا يسلم أحدٌ

فيا سيدي سرْ إلى «أرض الحياة» أما أنا فسأسير إلى المدينة

وسأخبر أمك بأمجادك فتجهر بتمجيدك

وسأبلغها بموتك المتوقع وستذرف الدموع الغزيرة

. . . .

(عشرة أسطر غير واضحة المعنى فلا تصلح للترجمة) . وعندما يصبح النص واضح المعنى ، نجد جلجامش يخاطب تابعه «أنكيدو» قائلاً :

هلمَّ نتقدم معاً ودعنا ننظر إليه

وسيحلّ بنا الرعب والخوف ، ولكن لنتغلب عليهما .

(وسنجد) خواوا في بيته بين أشجار الأرز . . .

وصوّب خواوا نظره عليه ، وكانت نظرته الموت

لقد هز رأسه عليه وأومأ إليه

(. . . نقص من عدة أسطر) ثم يستمر جلجامش في كلامه قائلاً :

وحياة أمي «ننسن» التي ولدتني ، وحياة أبي الطاهر «لوگال بندا»

لقد عرفت أن مسكنك في هذه الأرض (أرض الحياة)

. . . .

ثم إنه قطع الشجرة الاولى بنفسه

وقطع أبناء مدينته الذين رافقوه تاجها

وربطوه ووضعوه في سفح الجبل

وبعد ان قطع الشجرة السابعة . .اقترب من مخدعه

ولطمه على خده لطمةً شديدةً (كمن يضغط بقبلته)

فاصطكت أسنان « خواوا »

وأراد أن يصدّ جلجامش (وخاطب الآله أوتو قائلاً) :

« يا أوتو إنني لا أعرف الأم التي ولدتني ولا الأب الذي أنجبني ، فأنت الذي ولدتني في « الأرض »وربيتني .

وتعوّذ من جلجامش بحياة السماء والأرض وحياة الأرض السفلى

فرقّ له قلب جلجامش ، وقال لتابعه « أنكيدو » :

« لندعْ الطائر الذي أمسكنا به يعود الى موضعه

وندعْ الرجل الذي أسرناه يرجع الى حضن أمه

فأجاب « أنكيدو » جلجامش :

الرجل الذي لا حكمة له . . . مهما كبر

. . . .

وإن الطائر الذي أمسكنا به لو عاد الى عشه

وإذا عاد الرجل الذي أسرناه الى حضن أمه

فسوف لن ترجع أنت الى مدينة أمك التي ولدتك

فقال « خواوا » لانكيدو :

«لقد نطقت الشر علي يا «أنكيدو»

وحين تفوّه هكذا بادراه وقطعا رقبته

وقدماه (قربانا) الى أنليل ونناليل

ويعقب ذلك بضعة أسطر مخرومة ، ولكن نهاية القصيدة معلومة وهي قتل العفريت خواوا من جانب جلجامش وصديقه أنكيدو .

الملحق الرابع
قصص وأساطير عن الطوفان

أولاً - رواية الطوفان السومرية «زيو - سدرا»

لم يصل لنا إلينا عن الطوفان في اللغة السومرية سوى نص واحدٍ مدونٍ في لوح طيني ، يرجح كثيراً أنه عثر عليه في المدينة الشهيرة «نفر» (بالقرب من عفك) . ومع أن هذا اللوح غفل من التاريخ بيد أن لغته وشكل خطه المسماري يشيران الى أنه يرقى في تأريخه الى ما يسمى في تأريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم (منذ مطلع الألف الثاني ق .م . الى منتصفه) .

وإذا أخرجنا من حسابنا مصادفة الاكتشاف ، فإن اقتصار رواية الطوفان باللغة السومرية على لوح واحد يشير الى أن موضوع الطوفان لم يكن جزءاً مهماً من المآثر الأدبية السومرية .

وكان الباحث الشهير «أرنو بوبل» Arno Poebel أول من نشر هذا اللوح عام ١٩١٤ ، ثم أعقبه باحثون آخرون أشهرهم الأستاذ «كرامر» .

خلاصة الرواية

تعرف هذه القصة بين الباحثين باسم ملحمة أو قصة «زيو سدرا (Ziusudra) . وزيو سدرا صيغة سومرية يرجح أن يكون معناها

« الخالد » أو « ذو الحياة الطويلة » ، مثل الاسم البابلي لبطل الطوفان الوارد في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش أي « أوتو - نبشتم »[٢٢٣] .

وخلاصة القصة ، أن « زيو - سدرا » كان ملكاً صالحاً ، يخاف الآلهة ويعبدها ، وكان على ما يرجّح يحكم في مدينة « شروباك » (تل فاره الآن بالقرب من الوركاء) ، وهي المدينة التي كانت موطن بطل الطوفان البابلي « أوتو - نبشتم » (كما جاء في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش) ، كما أنها كانت من المدن الخمس التي حكمت فيها سلالة في أزمان ما قبل الطوفان ، كما جاء ذلك في جداول الملوك السومرية[٢٢٣] .

ويبدأ دور الملك « زيو - سدرا » من بعد مقدمة قصيرة ناقصة تروي طرفاً عن الخليقة ، حيث الآلهة العظام « آنو » و « أنليل » و « أنكي » والآلهة « ننخرساگ » ، خلقوا البشر والحيوانات والنباتات ثم أنزلت « الملوكية » من بعد ذلك من السماء ، وقدّرت الأقدار والمصائر ، وأسست المدن الخمس وحلت فيها الملوكية وهي : « أريدو » و « باد - بيرا » و « لرك » و « سپار » و »شروباك » . ويعقب ذلك انخرام في النص (نحو ٣٧ سطراً) ، يرجح أنه يتضمن وقوع الطوفان . وبعد وضوح النص نجد الآله « أنكي » ينبري لتخليص بعض البشر من فناء الطوفان ، فيخبر بطل الطوفان « زيو - سدرا » من وراء الجدار بقرار الآلهة في إحداث الطوفان وإفناء البشر ، ويأمره بأن يبني فلكا ينجو به من الهلاك . ثم هاجت الأعاصير وهطلت الأمطار الغزيرة « وجرف الطوفان البلاد طول سبعة أيام وسبع ليال » ، وتقلبت السفينة العظيمة فوق الأمواج ، ثم خفت شدة الطوفان ، وظهر الآله « أوتو » (شمش) ناشراً نوره في أنحاء الأرض فسجد أمامه « زيو -سدرا » ، وضحى الاضاحي . وبعد نقص آخر في الملحمة (مقداره نحو ٣٩ سطراً)نجد البطل « زيو سدرا » يسجد للإلهين « آنو » و « أنليل » ويمنحانه الحياة

الخالدة حيث يدخلانه في مجمع الآلهة ، وينقلانه الى أرض «دلمون»[٢٢٤] ، الموضع الذي تشرق منه الشمس . ويلي ذلك خاتمة الاسطورة ، وهي مخرومة .

ترجمة الاسطورة:

(الاسطر من ١ الى ٣٧ مخرومة)

«أريد إيقاف تدمير أناسي من البشر

«ومن أجل ننتو أريد إيقاف هلاك خلقي

فلتشيد مدنهم ، وتستقر أشباحهم (أرواحهم)

وليوضع آجر جميع المدن في مواضع مقدسة

ليستقر الجميع . . . في أماكن مقدسة

والماء العذب الذي يطفئ الظمأ ساعده هناك

لقد أكملت الأحكام والفروض (الأقدار) المقدسة

وستروى الأرض ، وعزمت على أن يعمّ السلام

وبعد أن خلق «آنو» و «أنليل» و «ننخرساگ»

ذوي الرؤوس السود (البشر)

تكاثرت الحيوانات في كل مكان

وأوجدت الحيوانات من ذوات الأربع ومن كل صنف

وازينت بها السهول

. . . .

(نقص في النص)

« أريد أن أقدر وأرعى جهودهم المضنية

وعلى بنّائي البلاد أن يحفروا أسساً متينة

وحين هبطت الملوكية من السماء

من بعد أن أنزل تاج الملوكية السامي من السماء

أسست المدن

(بعد أن) عينت مواضعها وسميت بأسمائها

فأولى تلك المدن كانت « أريدو » التي خصصت الى « نو دمدّ »(٢٢٥)

والثانية « باد - تبيرا » (Ead - Thira) خصصت الى « نوگگ » (Nugig) .

والثالثة (لراك) (Larakig)) الى « بابل ساگ » (Pabilsag)

والرابعة « سپار » ، الى البطل « أوتو »

والخامسة « شروباك » (Shiruppak) خصصت الى « سُد » ٢٠٠ (Sud)

لقد نظم تطهير القنوات الصغيرة وجداول الري

(. . . انخرام في النص يبدو أنه يتضمن خبر حدوث الطوفان)

ثم إن « ننتو » . . . . خلقها

لقد ناحت « إنانا » المقدسة من أجل الناس

وفكر « أنكي » في الأمر ملياً

و « آنو » و « أنليل » و « أنكي » و « ننخرساگ »

وأقسم آلهة الكون باسم « آنو » و « أنليل »

وفي ذلك الحين كـان (يحكم) الملك «زيو - سـدرا) الممسـوح بالزيت

وكان تقياً ورعاً يكثر من الدعاء والتضرع . . .

كان يقوم على الدوام خاشعاً (للآلهة)

ولم يكن ما سمعه حلماً

تعوذ منه بالسماء والأرض السفلى . . . ؟

(سطر غير واضح المعنى ولكن ورد فيه الجدار الذي يبدو أن الآله «أنكي» خاطبه من ورائه)

. . . .

وسمع «زيو - سدرا» وهو واقف الى جانبه

كان يقف الى الجانب الأيسر من الجدار :

«يا جدار أريد أن أكلمك فاستمع لكلامي

وتفهم قولي وإرشادي :

ستهب عاصفة الطوفان وتجرف المدن والمنازل

وأن تدمير نسل البشرية

هو القرار المحتوم من مجمع (الآلهة)

إنه القرار الذي أصدره «آنو» و «أنليل» و «ننخرساگ»

والقضاء على الملوكية . . . . .

(انخرام في النص . . .)

تجمعت كل الرياح والعواصف المدمرة

وجرف عباب الطوفان جميع المدن

وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طول سبعة أيام وسبع ليال
وجرفت العواصف المدمرة السفينة الضخمة وسيّرتها في المياه العالية
أشرقت الشمس وأضاءت الأر ض والسماء
وأحدث « زيو - سدرا » فتحة في السفينة العظيمة
ودخلت أشعة الشمس الى السفينة العظيمة
وسجد الملك « زيو سدرا » على الأرض ، أمام الآله - الشمس
وقرب الملك عدداً كبيراً من البقر والظأن
(انخرام في النص)
أدعوك بحق السماء والأرض السفلى
أتوسل الى « آنو » و « أنليل » بالسماء والأرض السفلى
وأخرجت الحيوانات وتجمعت من الأرض
وسجد الملك « زيو - سدرا » أمام « آنو » و « أنليل »
اللذين منحاه الحياة الخالدة مثل الآلهة
وحافظ الملك « زيو سدرا » على ذرية البشر من الفناء
لقد أسكناه في أرض عبر البحار ، في المشرق ، في أرض « دلمون »
(النهاية مخرومة)

ثانياً - رواية « بيروسس » عن الطوفان

من هو « بيروسس »؟

كان « بيروسس » (Berossus)[٢٣٧] أحد كهنة مدينة بابل ، ولعله

كان كاهن كبير آلهتها «مردوخ» في القرن الثالث ق .م . وقد اقتصرت معرفتنا به على المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) ، ولذلك لانعرف بالضبط صيغة اسمه البابلية ، ولعله «برعوشا» أو «برخوشا» . وقد عاش فترة من الزمن في بلاد اليونان ، في جزيرة «كوس» (Cos) وأسس فيها مدرسة للتعليم . ويروى نقلاً عنه أنه عاصر الاسكندر الكبير ، ولكنه بقي في الحياة من بعده ، لأن الاسكندر مات شاباً (في عام ٣٢٣ ق .م . وفي سن ٣٣ عاماً) .

وقد ألف «بيروسس» باليونانية كتاباً ضمنه تاريخ بلاد بابل منذ الخليقة حتى حكم الاسكندر ، وأهدى مؤلفه الى خليفة الاسكندر في حكم بلاد الشام والعراق وإيران وهو «انطيوخس الأول» (Antiochus) (٢٩٢ - ٢٦١ ق .م) وعنونه بعنوان «بلاد بابل» (Babyloniaca) و (Chaldaica) ، وقصد من ذلك أن يقدم الى اليونان تأريخ بلاده العريق في القدم .

وما يؤسف له أن مؤلف بيروسس قد ضاع ، ولم يصل إلينا منه سوى اقتباسات نقلها بعض مشاهير الكتّاب اليونان وأشهرهم «الاسكندر بوليهستر» (Alexander Polyhistor) (القرن الأول ق .م .) الذي اقتبس منه كثيراً ، ومن بين ذلك رواية الطوفان ، ولكن ضاع النص الأصلي لهذه الرواية ولم تصل إلينا إلا في اقتباسات «يوسيبوس» (Eusebius)[٢٢٨] ولاسيما مؤلَفه المعنون (الأخبار) (Chronicles)[٢٢٨] وهو الكتاب الذي حفظ عن طريق الترجمة الأرمنية . ولكن الرواية المتعلقة بالطوفان البابلي قد اقتبسها باليونانية المؤرّخ البيزنطي «سنكليوس» (Syncellus) .

ومن الكتّاب الذين رووا قصة الطوفان عن «بيروسس» الكاتب المسمى «ابيدنيوس» (Abydenus) الذي لايعرف زمنه على وجه التأكيد .

رواية الطوفان[٢٣٩].

جاءت رواية الطوفان في الجزء الثاني من كتاب « بيروسس » الذي قلنا إنه معنون بعنوان « بلاد بابل » (Babyloniaca) وإنه حدث من بعد حكم الملوك العشرة والحكماء ، وكان آخر ملكين منهم « أوتيارتس » (Otiartes) أو « أرداتس » (Ardates) وهو اسم يرجح كثيراً أنه محرّف عن الاسم البابلي « أوبار – توتو » (Ubar - Tutu) الذي ورد ذكره في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش على أنه أبو « أوتو–نبشتم » ، بطل الطوفان البابلي ، وثاني هذين الملكين جاء بهيئة « خيسشروس » (Xisthrus) المحرف عن « زيوسدار » الذي مر بنا أنه ورد في رواية الطوفان السومرية على انه بطل الطوفان . وذكر هذان الملكان على أنهما حكما في مدينة « لراك » (Larak) ، وكانت احدى المدن الخمس التي حكمت فيها سلالات ما قبل الطوفان ، ويحسب رواية « بوليهستر » ذكر بيروسس ان الملك « خيسشروس » حكم من بعد موت أبيه الملك « ارداتس » ، وانه حكم ثمانية عشر « سارا » من السنين(*) ، وحدث في عهده طوفان عظيم على النحو الاتي :

« ظهر له الاله « كرونوس »[٢٤٠] في الحلم وأنبأه ان الطوفان سيحدث في اليوم الخامس عشر من شهر « دسيوس »[٢٤١] ، وان الطوفان سيفني البشر ، ولذلك أمره أن يحفر حفرة في مدينة « سيار » ، مدينة الاله الشمس ، ويدفن فيها الكتابات التي تدوّن جميع الاشياء (المعارف) من بداياتها وأواسطها وأواخرها .

وأمره كذلك ، ان يبني فلكاً ويركب فيه مع أهله وذوي قرباه وصحبه ، وعليه ان يخزن الطعام والشراب ، ويجمع معه الطيور والحيوانات ويسيرها من بعد أن يكون كل شيء جاهزاً ، واذا سئل الى

(*) – « السار » (SAR) رقم يساوي ٣٦٠٠ ، فيكون هذا الملك قد حكم ٦٤٨٠٠ عام!!

أين هو مبحر فعليه أن يجيب :

« إنني أزمعت السفر الى الالهة لأسألها الخيرَ والبركةَ للناس » .

إنه لم يعص أمر الإله ، بل إنه صنع السفينة ، وكان طولها خمسة «استادات»[٢٤٢] ، وعرضها «استادين» . وبعد أن جهز كل شيء أركب في السفينة زوجه وأبناءه وصحبه ، وحدث الطوفان ، ولما بدأ الطوفان بالانحسار أطلق «خيسشروس» بعض الطيور ، وعندما لم تجد طعاماً ولا موضعاً تحطّ عليه عادت الى السفينة .

وبعد بضعة أيام ، أطلق «خيسشروس» طيوراً أيضاً رجعت الى السفينة ، ولكنها كانت في هذه المرة قد تلطخت أرجلها بالطين ، وحين أطلقت الطيور للمرة الثالثة لم تعد الى السفينة ، فعرف «خيسشروس» أن اليابسة قد ظهرت ، وعندها فتح كوة في السفينة شاهد أن السفينة جنحت على الأرض اليابسة ، فوق أحد الجبال ، فنزل من السفينة مع زوجه وابنته وملاحه ، وسجد على الأرض ، وأقام مذبحاً وقرّب القرابين للآلهة ، ثم اختفى مع الآخرين الذين هبطوا من السفينة . ولما لم يعد «خيسشروس» وجماعته ، فإن من بقي في السفينة نزلوا منها وصاروا يفتشون عنه وينادونه باسمه ، ولكنه لم يظهر لهم ، وإنما سمعوا صوتاً في الهواء يكلمهم ويرشدهم أن يعبدوا الآلهة ، وإنه هو نفسه سيعيش مع الآلهة جزاء صلاحه وتقواه ، وأن زوجه وابنته وملاحه سيشاركونه النعمة نفسها . وأمرهم كذلك أن يعودوا الى بلاد بابل ، وكما هو مقدر عليهم أن يستخرجوا الكتابات المحفوظة والمدفونة في مدينة «سپار» وينشروها ما بين الناس ، وأخبرهم كذلك أنهم كانوا في بلاد أرمينية ، ولما سمعوا ذلك ضحوا للآلهة وساروا الى بلاد بابل مشياً على الأقدام . وأن أجزاء من السفينة التي استقرت على جبال «غورديان» (Gor-dyaen) في أرمينية لاتزال باقية ، وأن بعض الناس يقشطون القير منها ويستعملونه عوذاً .

ولما عادوا الى بابل حفروا الكتابات من سپار ، وأنهم من بعد أن

أسسوا مدناً كثيرة وأقاموا المعابد ، أعادوا تأسيس بابل من جديد(٢٤٣)

ملاحظات على هذه الرواية:

١ - توجد بعض الاختلافات عن رواية « يولبهستر » وردت في كتابات الكاتب المسمى « ابيدينس » (Abydenus) ومن ذلك أن الناس في أرمينية يستعملون خشب السفينة وليس قيرها في صنع العوذ والتمائم ، وأن المجموعة الأولى من الطيور قد أطلقت من بعد ثلاثة أيام على انقطاع الأمطار .

٢ - تختلف رواية « بيروسس » عن جميع الروايات الواردة عن الطوفان في النصوص المسمارية في نقطتين مهمتين هما : أنه حدد الشهر الذي وقع فيه الطوفان في اليوم الخامس عشر من شهر « دسيوس » الذي قلنا إنه يقابل الشهر الثاني من الأشهر البابلية وهو أيار ، ويضاهي هذا تحديد وقت الطوفان في التوراة . وثانياً تفرّد « بيروسس » في روايته عن دفن الكتابات في مدينة « سپار » ، وأنه عبر عن جميع المآثر المدونة بعبارة : « بدايات الكتابات وأواسطها ونهاياتها » . كما يرجح أن يكون تخصيص مدينة « سپار » لدفن المآثر المدونة فيها يسير الى احتمال أن أصل روايته من مصدر محلي من « سپار » .

الملحق الخامس
ملحمة «أترا - حاسس»
ورواية الطوفان

خلاصة الملحمة

الرواية الأخرى المهمة عن الطوفان ، إضافة الى ملحمة جلجامش وملحمة «زيسودرا» و «رواية بيروسس» التي مرّ ذكرها ، قصيدة بابلية مطولة نوعاً ما إذ يبلغ عدة أبياتها نحو (١٣٠٠) بيت موزعة على ثلاثة ألواح ، وقد عرفت لدى الباحثين باسم ملحمة «أترا - حاسس» (Atra-Hasis) وجاء الاسم نفسه في إحدى نسخ الملحمة من العصر البابلي القديم بصيغة «أترام - حاسس» (Atram-hasis) . أما الكتبة البابليون فقد عنونوها بعنوان «حينما الإله مثل الإنسان» (وفي اللغة البابلية (enuma ilu awilum) ويرجح أن يكون اسم «أترا - حاسس» صفة مركّبة تعني «المتناهي في الحكمة» ، وإنها صفة لبطل الطوفان «أوتو - نبشتم» أو «أوتا - نبشتم» كما في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش .

جاءت إلينا القصيدة في عدة نسخ على ألواح وكسر من ألواح تؤلف كما قلنا ثلاثة ألواح ، أقدمها يرجع في زمنه الى حكم الملك البابلي «عمي - صادوقا» (من سلالة بابل الأولى ١٦٤٦ - ١٦٢٦ - ق .م .) وبعضها من العهد الآشوري الحديث (في عهود ٧٠٠ - ٦٥٠ ق .م .) وورد اسم الناسخ أو الجامع بهيئة «كو - أيا» «كو - آي»

(Ku-Aya) ويرجح أنها كانت تنشد أو تغنى في بعض المناسبات[٢٤٤] ، أما من حيث موضوع الطوفان ، فإن هذه الملحمة أوفى وصفاً وتفصيلاً من اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش ، ولعلها أصل الرواية الواردة في هذا اللوح . والى هذا ، فإنها تبدأ منذ الأزمان التي لم يكن في أثنائها سوى الآلهة في الوجود ، وتروى من بعد ذلك خلق الإنسان وتسليط الآلهة ، ولاسيما الإله «أنليل» ، الطوفان لإفناء «البشر لأنهم أقلقوا الآلهة بضوضائهم وصخبهم» ، على حد تعبير الملحمة . ونورد فيما يلي موجزاً وافياً عنها :

الآلهة وخلق الإنسان:

تبدأ الرواية ، كما ذكرنا ، بمقدمة تصف الأزمان القديمة التي لم يكن موجوداً في أثنائها في الكون سوى الآلهة العظام ، فكان على الآلهة ، ولاسيما الآلهة الصغار أي من ذوي المراتب الدنيا ، أن يضطلعوا بأنفسهم في تهيئة ما يحتاجون إليه في شؤون الحياة المختلفة . وقد تم الاتفاق بين ثلاثة من الآلهة العظام وهم «آنو» و «أنليل» و «أيا» ، على تقسيم الكون فيما بينهم ، وعهد الإله أنليل الى الآلهة الصغيري الشأن أن يتولوا شؤون الأرض مثل حفر الجداول والأنهار . ولكن بعد حين استثقل أولئك الآلهة عبء الأعمال التي فرضت عليهم ، فتذمروا ، واحتجوا ، بل إنهم أظهروا العصيان والثورة ، فتجمهروا ليلاً حول معبد «أنليل» وهم يحملون المشاعل . ولما شاهد هذا الإله تجمع الآلهة الثائرين استشار الآلهة العظام فأشاروا عليه أن يبعث برسوله المسمى «نسكو» (Nusku) الى الثوار ويستطلع جلية الامر ، فقالوا له ان الاعمال التي فرضت عليهم قد أرهقتهم فلا قبل لهم بها . وعند ذاك أراد الاله أنليل أن يوقع العقاب بهم ، ولاسيما أحد الالهة الذي يبدو انه تزعّم الثورة . ولكن «آنو» ينصح أنليل أن يعدل عن العقاب لانه رأى أن لثورة الالهة ما يبررها . وهنا انبرى الاله «ايا» (أنكي) فاقترح لحل

تلك المشكلة الكونية أن يخلق الانسان ليقوم بدلاً من الالهة بعبء العمل ، فاستحسن جميع الآلهة هذا التدبير السديد وعهدوا إلى الالهة الخالقة « ماما » أو « مامي » (وترد في النص أيضاً باسم « ننتو » ، وبعلة – ايلي ، أي سيدة الآلهة) أن تأخذ على عاتقها خلق الانسان من الطين وخلطه بلحم ودم أحد الالهة فاختاروا الضحيةإلهاً غير معروف في مجموعة الالهة اسمه « وي » (We) أو « وي – ايلا » .(We - ila) ، وقد أسهم الاله « ايا » في عملية الخلق اذ صحب الالهة الخالقة إلى « بيت الاقدار » حيث ساعدتهما أربع عشرة آلهة من آلهات الولادة ، وسحق الاله « ايا » الطين بقدميه ثم قسمت الالهات الطين إلى أربع عشرة قطعة صنعن من كل منها سبع صور أناث وسبع صور ذكور ، وفصل ما بين المجموعتين بآجر اللبن . ومما يؤسف له ان ما يعقب ذلك مخروم من النص ، ولكن يبدو من البقية القليلة السالمة ان « الرحم الخالق انفتح فجاء الانسان » . ثم تعدد الاسطورة النصائح والارشادات عن الزواج والولادة لان من أغراض النص على ما يبدو انه كان يستعمل بمنزلة تعويذة للولادة ، وقد أطلق على أول بشر خلقته الالهة اسم « لُلُو » المركب من المقطعين السومريين « لو » ويعني الرجل و « ألا » (Ulla) ويعنى الأول ، ويكون المعنى الانسان الاول .

من بعد النقص الذي أشرنا اليه في النص تنتهي المقدمة التي خصصت لخلق الانسان كما بيّنا ، ويبدأ المشهد الثاني من الرواية حين كثر عدد البشر ، وصارت ضوضاؤهم وضجيجهم وصخبهم تزعجُ الاله « أنليل » بحيث انه حرم من النوم والراحة ، فقرر أن يقلل من عددهم فسلط عليهم أولاً الطاعون بأن أمر آله الطاعون « نمتارا » (Namtara)[٢٤٥] أن يتولى تنفيذ الخطة ، فسلط على الناس الاوبئة والامراض المختلفة . ولكن سرعان ما تدخل الآله « ايا » في الأمر ، وهو الاله الذي اشتهر في مآثر حضارة وادي الرافدين بالتزامه جانب الانسان في محنته ومصائبه ، فحاول ان يخفف من شدة وطأة الطاعون . وهنا يظهر لاول مرة دور بطل الرواية « أترا–حاسس » ولا يعلم هل ورد اسمه في المواطن السابقة

المخرومة من النص . ومهما كان الامر فإن الاله «ايا» نصحه بأن يوعز لشيوخ المدينة أن يجمعوا الناس ويتضرعوا إلى آله الطاعون ، فاستجاب لهم ، وخفّف من وقع الطاعون ، فلم يفنَ جميع الناس .

ولكن بعد فترة ازداد البشر مرة اخرى وعاودوا صخبهم الذي أزعج «أنليل» وحرمه من الراحة ، وهنا لجأ هذا الاله إلى وسيلة اخرى للقضاء على البشر أو التقليل من عددهم على الأقل ، فسلط القحط والمجاعة بأن أمر إله الأمطار «أدد» أن يحبس الأمطار عن الأرض ، فجفت الحقول وسلطت على التربة العطشى الأملاح ومات كل نبات في الأرض . وحلت المجاعة وهلك الكثير من الخلق . ولكن «أترا-حاسس» يلجأ مرة اخرى إلى حامي البشر «ايا» فينصحه هذا أن يتوسل إلى آله المطر . فاستجاب «أدد» لتضرعه وأنزل المطر دون أن يحس الآله «أنليل» بالأمر . ولما تكاثر البشر مرة اخرى وأزعجوا الاله أنليل بصخبهم ، أدرك هذا الاله أن فشل الوسائل التي لجأ إليها لإفناء البشر يرجع إلى تدخل بعض الآلهة ، فأصدر أوامره المشددة بأن يستمر الجفاف والقحط ، وعيّن بعض الآلهة ليراقبوا تنفيذ أوامره في انحباس الأمطار عن الأرض ، فعهد مثلاً إلى الإلهين «آنو» و «أدد» حراسة منافذ السموات وتولى بنفسه(*) حراسة الأرض ، وأناط بالاله «ايا» مراقبة ينابيع المياه الجوفية . وهكذا أعيد الجفاف والقحط والمجاعة ، وكانت الوطأة في هذه المرة شديدة ودامت ، بحسب الروايات ، ست أو سبع سنوات ، واضطر البشر إلى أكل بعضهم البعض ، و «صار البيت يأكل أطفاله» ، ولكن مع ذلك ، تدخل الاله «ايا» في الأمر ، واستطاع أن يخفف من وطأة الجفاف والمجاعة ، فلجأ الاله «أنليل» إلى وسيلة أخرى للقضاء على البشر بأن سلط عليهم الطوفان . وهنا تسرد الرواية خبر الطوفان وهو يضاهي بوجه أساسي قصة الطوفان الواردة في ملحمة جلجامش .

(*) - وفي رواية أخرى الاله «نرجال» .

ومما يجدر ذكره ، في ختام كلامنا على ملحمة « أترا-حاسس » ان الرواية التي وصلت إلينا عنها من العصر الأشوري الحديث (القرن السابع ق .م .) دونت على ثلاثة ألواح كما قلنا ، يتضمن اللوح الأول منها مجرد أصوات بهيئة مقاطع مسمارية ، وقد فسر بعض الباحثين دمجها بالملحمة بأنها تعبرعن الأصوات الأولى التي نطق بها البشر من بعد خلقهم ، كما جاء في مقدمة الرواية ، أي بعبارة أخرى إنها تمثل «لغة الإنسان الأولى» بحسب ما ارتآه مؤلفو الأساطير في حضارة وادي الرافدين(٢٤٦) .

ترجمة الملحمة(٢٤٧)

اللوح الأول:

حينما كان الآلهة مثل البشر

يضطلعون بالعمل ويقاسون الكد والعناء

(أجل) كان عبء الآلهة ثقيلاً جسيماً

كان العمل ثقيلاً والمقاساة شديدة

ان الآلهة «الأنوناكي»(٢٤٨) السبعة العظام

جعلوا آلهة ال «ايكيكي» يقاسون من العمل

وكان الملك أباهم « آنو »

ومستشارهم (مشاورهم) ، «أنليل» المحارب

وكان حاجبهم (وزيرهم) « ننورتا »

ومنفذ أوامرهم « إنوكي » (Ennugi) (إيا)

لقد تعاهد الآلهة وأمسك أحدهم بيد الآخر

واقترعوا وتقاسموا فيما بينهم السلطات

فأخذ « آنو » السماء وارتقى إليها

. . . والأرض إلى اتباعه

وخصصوا للآله « أنكي » مقاليد البحر وسدوده

وبعد ان عرج « آنو » إلى السماء

ونزل « أنكي » إلى ال « أپسو »(٢٤٩)

. . . .

(الأسطر من ١٨ إلى ٣٤ مخرومة ويستبان من الكلمات القليلة الباقية منها انها تدور على وصف الأعمال الشاقة التي فرضها الآلهة الكبار على الآلهة الصغار ال «ايگيگي» ، مثل حفر الأنهار وكري الجداول ، ويعقب ذلك النص الواضح ابتداءً من السطر ٣٤) :

لقد عدوا سني الأعمال الشاقة

. . . . الهور الكبير

لقد حسبوا سني العمل

فكانت مفرطة شاقة . . طول ٤٠ عاماً

لقد قاسوا من العمل ليل نهار

فكانوا يتذمرون ويشكون

كانوا ساخطين متذمرين وهم يحفرون ويقولون :

لنواجه الحاجب

عساه أن يخلصنا من عملنا المضني

لنقابل البطل مستشار الآلهة .

ولنغلبه ونوهنه وهو في مسكنه

« أنليل » البطل ، مستشار الآلهة

لنوهن عزيمته وهو في مسكنه

لنعلن الحرب ونشرع بالقتال

لقد استمع الآلهة إلى كلماته (؟)

وأشعلوا النار في أدواتهم

أضرموا النار في مرارهم (ومساحيهم)

وسلطوا اللهب علىِ أدواتهم وسلالهم

ورفعوها كالمشاعل وهم يسيرون

واتجهوا إلى باب معبد الآله البطل « أنليل »

وكان ذلك في منتصف الليل(*)

وأحاطوا بالمعبد « إِي-كور » ، ولم يعلم أنليل

ولكن الحارس « كلكل » (KalKal) شاهد ذلك فاضطرب

ووضع المزلاج وأخذ يراقب

وأيقظ « كلكل » « نسكو »(**)

وأخذا يصغيان إلى الجلبة والضوضاء . . .

فأيقظ « نسكو »(**) سيده من فراشه وقال له :

« يا سيدي ان معبدك محاط ، محاصر

(*) - منتصف ساعات الحراسة .

(**) - الاله « نسكو » (Nusku) حاجب الاله انكيل ووزيره .

واقترب القتال من بوابتك

يا أنليل إنِ معبدك محاصر

وبلغ القتال بوابتك

ففتح «أنليل» فاه ، وكلم وزيره «نسكو» قائلاً :

«يا نسكو أغلق بابك بالمزلاج

وهيىء سلاحك وقف أمامي

فأحكم «نسكو» غلق بابه بالمزلاج

وأخذ سلاحه ووقف أمام «أنليل»

وفتح «نسكو» فاه وقال لأنليل :

«يا سيدي انهم أبناؤك

فعلام تخاف من أبنائك ؟

أرسل واستدعِ «آنو» ليأتي إليك .

واحضر «أنكي» إليك أيضاً

فأحضر «آنو» ، ملك السماء

وحضر «أنكي» ملك ال «أپسو»

وحضر معهم آلهة ال «انوناكي» العظام

نهض «أنليل» وفتح فاه وقال مخاطباً الآلهةالعظام :

هل هذه الأعمال موجّهة ضدي ؟

وهل ينبغي أن أدخل في المعركة ؟

فماذا ترى عيناي!

إنني أرى أن المعركة وصلت إلى بابي .

ففتح «آنو» فاه ، وخاطب «أنليل» ، البطل :

عن الأسباب التي دعت آلهة ال «إيگيگي» يحاصرون بابك

ليذهب «نسكو» فيستطلع الخبر .

. . . .

ففتح «أنليل» فاه وقال مخاطباً وزيره «نسكو» :

«يا نسكو افتح بوابتك وخذ سلاحك

وفي مجمع كل الآلهة

قف وانحنِ وانقل لهم كلامنا وقل لهم :

لقد أرسلني «آنو» ، أبوكم

ومستشاركم البطل «أنليل»

وننورتا وزيركم

و «انوگي» ، عميدكم . أرسلوني لأقول لكم :

من المحرّض على القتال ؟

ومن أثار العداء والحرب ؟

فذهب «نسكو» إلى مجمع الآلهة وكلّمهم بما قال له «أنليل»

فأجابه الآلهة قائلين :

إن كل واحد منا نحن الآلهة ، قد أعلن الحرب .

. . . .

لقد قتلنا عبء العمل الشاق

كان عملنا ثقيلاً ، وعناؤنا كبيراً

ولما أبلغَ « أنليل » بكلامهم .

سالت دموعه

وخاطب « أنليل » ، « آنو » المحارب :

عرج إلى السماء بكامل قدرتك وسلطاتك

وحين يجتمع آلهة ال « انوناكي » بك

احضر إليك أحد الآلهة وليقتل أمامك

وفتح « آنو » فاه وخاطب أخوته الآلهة :

بأي جريرة نتهمهم ؟

حقاً كان عملهم شاقاً وعناؤهم كبيراً

وتعالت شكواهم حتى سمعناها »

وكذلك خاطب « إيا » أخوته الآلهة قائلاً :

أي جرم نحمّلهم ؟

لقد كان عملهم شاقاً وعناؤهم كبيراً

وما دامت « بعلة » الآلهة ، آلهة الولادة حاضرة

فلتخلق « آلهة الولادة » قرباناً (مخلوقاً)

دعها تخلق الإنسان « لولو »(Lullu)(*)

وليحمل النير ، ويقوم بعبء عمل الآلهة

فاستدعوا « مامي » الحكيمة ، قابلة الآلهة وقالوا لها :

« أنت إلهة الولادة ، وخالقة البشر

فاخلقي ال « لولو »(*) (الإنسان) ، لكي يحمل عبء (العمل)

ليحمل العبء الذي فرضه « أنليل »

ليحمل الإنسان عناء عمل الآلهة

ففتحت « ننتو »(*) فاها وخاطبت الآلهة العظام قائلة :

ليس بمقدوري أن أصنع الأشياء

فإن القدرة والمهارة عند « أنكي » (إيا)

لانه يستطيع أن يطهر كل شيء

فليعطني الطين لكي أصنع منه »

ففتح « أنكي » فاه وخاطب الآلهة العظام قائلاً :

في اليوم الأول والسابع والخامس عشرمن الشهر

سأقيم حوضاً للتطهير .

فليضح أحد الآلهة

لكي يتطهر جميع الآلهة بالغطس

ولتخلط « ننتو » الطين بلحمه ودمه

ليمتزج الآلهة والإنسان بالطين

(*) - « ننتو من أسماء « مامي » وكلتاهما الهة الولادة . ومعنى ننتو في السومرية « سيدة الولادة » وتلقب كما رأينا بأنها قابلة الآلهة . وقد سبق أن ذكرنا في خلاصة الملحمة أن اسم أول بز أي (اللو يعني الإنسان الأول ، أو الانسان القديم) .

حتى نستطيع أن نسمع صوت الطبل في كل الأوقات(؟)

ولتكن روح من مادة الآله

وليكن الإنسان الحي علامتها ومظهرها

ومن أجل ألا ينسى ذلك لتكن روح

وقال المجمع (مجمع الآلهة) ،

نعم إنهم الانوناكي الذين يقدّرون المصائر

وفي اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر

أقام «أنكي» حوض تطهير

وذبح الآلهة في مجمعهم «وي-إيلا» (We-ila)

الذي كان جسماً مشخصاً ؟

ومزجت «ننتو» الطين بلحمه ودمه

وصاروا يسمعون صوت الطبل على الدوام

ومن لحم الآلهة ظهرت الروح

منبثق منها الإنسان الحي ، علامة على وجودها(*)

وبعد ان خلطت الطين

دعت ال «انوناكي» ، الآلهة العظام

وآلهة ال «ايگيگي»العظام

(وبحضرهم) بصقت على الطين

(*) - في أساطير أخرى بابلية مثل أسطورة الخليقة البابلية «اينما عيلش» تمّ خلق الانسان من دم اله دون طين ، وكان الاله الذي خلق من دمه الانسان إلهاً مذنباً وهو «كنگو» الذي حارب الآلهة في صفوف تيامة وصار زوجها .

وفتحت « مامي » فاها وخاطبت الآلهة العظام قائلةً :

لقد عهدتم إلي بعمل وقد أكملته

لقد ذبحتم إلهاً بكامل شخصيته

وأنا أنقذتكم من أعمالكم الثقيلة

وفرضت عناء عملكم على الإنسان ليحمله

وتعالت أصواتكم من أجل البشرية

لقد أرخيت النير وحققت الحرية

هرعو إليها وقبلوا قدميها قائلين :

كنا ندعوك فيما مضى « مامي »

والآن ليكن اسمك « سيدة كل الآلهة »(*)

لقد دخلا بيت المصائر

أجل دخل « إيا » و « مامي » الحكيمة

ومع آلهات الولادة المجتمعات

أخذ يدوس على الطين بحضورها(**)

وكانت تتلو التعويذة

وجلس قدامها « إيا » وهو يحثها

وبعد ان أتمت تلاوة التعويذة

اقتطعت أربع عشرة قطعة من الطين

(*) – أي بحضور مامي .

(**) – وفي اللغة البابلية (بعلة كل – أيلي)

(Belet - kaka - illi)

ووضعت سبعاً منها إلى اليمين ، وسبعاً أخرى إلى اليسار

ووصلت ما بينها بالآجر

. . . . . حبل السرة . . . . .

وتجمعت سبع وسبع آلهات من آلهات الولادة

وخلقت سبع منهن الذكور

وسبع منهن خلقن الإناث

. . . .

(من بعد هذا تأتي عدة مواضع في الملحمة مخرومة غير واضحةالمعنى ، ولكن يبدو من سياق ما بقي منها ان بضعة أسطر منها قد خصصت لتكون تعويذة للحوامل ، لتساعد تلاوتها الحامل في مخاضها . ثم يبدأ النص بالوضوح قليلاً في بيان كيف أن البشر تكاثروا في الأرض ، وأقلقوا راحة الآلهة بصخبهم وأعمالهم . وندرج فيما يلي الترجمة ابتداءً من السطر ٣٥٢ من اللوح الاول ، بحسب ترقيم (Lambert, Op. Cit.) :

لم تكد تنقضي ستمائة وستمائة عام

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس

وكانت البلاد تجأر وتخور كالثور

فأزعجت الآلهة بضجيجها وصخبها

سمع أنليل الضجيج فخاطب الآلهة العظام قائلاً :

«لقد ضقت ذرعاً بضوضاء البشر

فحرمني ضجيجهم النوم

(أربعة أسطر مخرومة)

. . . .

وكان «أترا-حاسس»(*) يبلغ إلهه «أنكي» ويخاطبه :

فتح «أترا-حاسس» فاه وخاطب سيده :

«هل سيواصلون تسليط الأمراض والوباء علينا إلى الأبد

ففتح «أنكي» فاه وكلّم خادمه (اترا-حاسس) :

لتأمر أن يعلن المنادون في البلاد بأصوات عالية :

«لا تبجلوا آلهتكم

«ولا تصلو لآلهاتكم

«بل أقصدوا باب «نمتارا»(**)

وأحضروا معكم رغيفاً من الخبز

ولعله سيسرّ بقرابين من طعام السمسم

فيستحي من هداياكم ويرفع يده عنكم

تلقى «أترا-حاسس» الامر

وجمع في بوابته الشيوخ وخاطبهم قائلاً :

«لتجعلوا المنادين يطوفون ويعلنون بصوت عالٍ في البلاد :

«لا تبجّلوا آلهتكم

ولا تصلّوا لآلهاتكم

بل أقصدوا باب «نمتارا»

(*) - لأول مرة يرد اسم بطل الطوفان في الملحمة ، وكذلك بدء تسليط الآلهة ، ولاسيما الاله «انليل» ، العقوبات المختلفة على البشر جزاء ضوضائهم وضجيجهم ، كما تقول الملحمة .

(**) - نمتارا أو نمتار إله القدر والنصيب ويبدو أن وظيفته هنا بصفته إله الطاعون والوباء .

واجلبوا إليه رغيفاً من الخبز

وعسى أن يسرّ بقرابين طعام السمسم

وعندئذ سيستحي من هداياكم ويرفع يده عنكم

فاستمع الشيوخ إلى كلماته

وأقاموا معبداً لنمتارا في المدينة

وأطلقوا المنادين يعلنون بأصوات عالية في البلاد :

ولم يبجلوا آلهتهم

ولم يصلوا لآلهاتهم

بل قصدوا باب « نمتارا »

وقدموا رغيفاً من الخبز ، وقرباناً من طعام السمسم

فاستحى من قرابينهم

ورفع عنهم الوباء

اللوح الثاني :-

(الاسطر الثمانية الاولى من هذا اللوح تكرار لما تقدم وهي) :

لم تكد تمضي ستمائة وستمائة عام

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس

وصارت البلاد تجأر وتخور كالثور

فانزعج الاله بضوضائهم وصخبهم

لقدسمع أنليل صخبهم وضجيجهم

فخاطب الآلهة العظام وكلّمهم قائلا :-

إن ضوضاء البشر قد ثقلت علي فلاأتحملها

لقد حرمني ضجيجهم النوم

فلتنقطع المؤن عن الناس

ولتحل الندرة في النباتات حتى لاتكفيهم لسد جوعهم

وليحبس الآله «أدد» أمطاره

ولينقطع ارتفاع مياه العمق من الاسفل

ولتهب الرياح اللافحة فتحرق الحقول

ولتتكاثف السحب ولكن ليمتنع هطول المطر

ولتنقص الحقول من غلالها

ولتوقف الآلهة «نصابا» (نتاج) ثدييها(*)

ولتزل الافراح من بينهم

(باقي أسطر الحقل الاول من اللوح الثاني مخرومة ، وكذلك الاسطر السبعة الاولى من الحقل الثاني ، وحينما يصبح النص واضحا ، تبدأ أوامر الآله «أنكي» (إيا) على الوجه الاتي :-

«ليعلن المنادون بأصوات عالية في البلاد :

لاتبجلواآلهتكم

ولاتصلوا الآلهاتكم

بل أقصدوا باب الآله «أدد»(**)

وخذوا معكم رغيف خبز اليه

(*) - الآلهة «نصابا» الهة الغلال .

(**) - سبق أن مر بنا اسم «ادد» على أنه اله الجو والرياح والأمطار .

ولعل قرابين السمسم ستسرّه

فيخجل من قرابينكم ويرفع يده عنكم

ولعله سينزل طلا وضبابا في الصباح

وينزل الطل خلسة في المساء

فتنتج الحقول الغلال خلسة »

لقد أقاموا في المدينة معبدا للآله « أدد »

ولم يبجلوا آلهتهم

ولم يصلوا لآلهاتهم

بل قصدواباب « أدد »

وقدموا اليه رغيفا من الخبز

وسرّ بقربان طعام السمسم

واستحى مما قرب له وكفّ عن الاذى

وفي الصباح نزل الضباب

وأمطر طلا في المساء خلسة

وأنتجت الحقول الغلال خلسة

(يعقب ذلك خروم كثيرة في النص الى بداية الحقل الرابع من اللوح الثاني) :-

. . . .

في الاعالي . . وفي الاسفل لم يرتفع الطوفان من الاعماق

لم يحمل رحم الارض فلم تظهر النباتات

ولم يشاهد الناس . . . .

وغدت الحقول السوداء بيضاء

وغطى الملح السهول الواسعة

وأكلوا «الثيل»(؟) طول سنة واحدة

وفي السنة الثانية قاسوا الحك

وظهرت القشور على وجوههم كالبقول

وشارفوا على أبواب الموت

وصاروا يمشون في الدروب وهم محنيو الظهور

وصغرت أكتافهم العريضة

وقصرت أرجلهم الطويلة

(خمسة أسطر مخرومة لاتصلح للترجمة الى الحقل الخامس والاسطر الاولى منه مخرومة أيضا حتى السطر ١٢) :

لقد غضب(*) على آلهة «ايكَيكَي »وقال :

«نحن آلهة ال « أنوناكي » العظام قد قورنا معا

وان« آنو » و « أدد » قد عهدت اليهما حراسة المناطق العليا

وحرست أنا الارض السفلى

(ولكن) حيثما ذهب « أنكي » فإنه كان يرفع النير ويجلب الحرية

ويسبغ الخيرات على الناس »

فتح « أنليل » فاه وخاطب وزيره « نسكو » قائلا :-

(*) - الضمير يعود الى الاله « انليل » الذي أراد تدمير البشر .

ليحضروا إِليّ . ليرسلوهم لي

ولما حضرَوا اليه . ، خاطبهم البطل « أنليل » :

نحن آلهة ال « انوناكي » العظام

قد قررنا جميعاً

أن يعهد إلى « آنو » و « أدد » حراسة المناطق العليا

وحرست أنا الارض السفلى

ولكنك حيثما ذهبت أرخيت(*) النير وأحللت الحرية

وعمت الخيرات والوفرة على الناس

. . . .

الحقل السادس:

(بداية الحقل مخرومة إلى السطر العاشر) :

أنزل الآله « أدد » المطر ، وملأ الحقول

وغطت السحب . . . .

لا تطعموا أناسه

ولا تزودوهم بالغلال فيعيشوا عليها

فنهض الآله وقد أتعبه القعود

وغلبه الضحك في مجلس الآلهة

أتعب « أنكي » الجلوس

(*) – الخطاب موجه هنا الى الاله « انكي » (أيا) .

وغلبه الضحك في مجلس الآلهة

الحقل السابع:

(الأسطر الاولى مخرومة ، كما ان الأسطر من ٣١ حتى ٤٠ غير واضحة المعنى فلا تصلح للترجمة . وحينما يصبح النص واضحا نجد الاله « أنكي » يخاطب الآلهة قائلاً :

علام توثقونني بقسم

هل عليّ أن أدمر خلقي (أناسي) بيدي ؟

إن الطوفان الذي أمرتموني به

هل سأكون أنا محدث الطوفان ؟

إن هذا واجب «أنليل» .

فليتقدم إلى الامام « شلات » و « خانيش »[٢٥٠]

وليقلع الاله « إيراكلاّ » الدعائم[٢٥١]

وليفتق الاله « ننورتا » السدود لتفيض

الحقل الثامن:

(لم يبق من هذا الحقل من اللوح الثامن سوى بضعة أسطر هي) :

«أراد الآلهة الفناء والتدمير

ولقد أراد «أنليل» الشرّ بالناس وهلاكهم

. . . .

فتح «أترا-حاسس» فاه

وخاطب سيده قائلاً :

(هذان السطران هما السطران الاولان من اللوح الثالث من ألواح الملحمة الثلاثة)!

اللوح الثالث:

(ويتضمن رواية الطوفان)

«فتح أترا-حاسس» فاه

وخاطب سيده قائلاً :

«عبر لي عن معنى الرؤيا

حتى أعرف مغزاها ونتيجتها

ففتح أنكي فاه ، وقال مخاطباً عبده :

«أنت تريد أن تعرف مغزى الرؤيا

فانتبه إلى المعنى الذي سأبلغك به :

«يا حائط! اسمعني يا حائط!

يا كوخ القصب ، تفهم كلماتي

انقض بيتك وابن لك فلكاً

انبذ المال وانج بحياتك

والسفينة التي ستبني

(الاسطر ٢٦ إلى ٢٨ مخرومة)

سقفها وأحكم بناءها كمياه الاپسو

بحيث لا ترى الشمس داخلها

وأحكم سقفها من الاعلى والاسفل

ولتكن حبالها متينة قوية

وليكن القير ثخيناً لتكون السفينة قوية .

وأنا سأمطركم بوافر من الطيور والاسماك(*)

«لقد فتح الساعة المائية(**) وملأها

«لقد بلغه بوقوع الطوفان لليلة السابعة

«انصاع اترا-حاسس للأمر

وجمع الشيوخ عند بابه

وفتح اترا-حاسس فاه وخاطب الشيوخ قائلاً :

« إن إلهي على خلاف مع إلهكم

« إن « أنكي » و « أنليل » غاضب أحدهما على الاخر

لقد أخرجاني وطرداني من بيتي

ولانني أخص أنكي بالتبجيل

فأنه أخبرني بالامر

ولذلك فلن أستطيع العيش في مدينتكم

ولا أستطيع أن أضع قدمي على أرض « أنليل »

بل مع الآلهة . . . وهذا ما أخبرني به

(*) - وردت هذه التورية نفسها في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش عن الطوفان .

(**) - استعملت أنواع من الساعات المائية والشمسية في العراق القديم لضبط ساعات الليل والنهار . والمصطلح المستعمل للساعة المائية الكلمة البابلية « ملتكتو » (maltaktu) .

. . . .

(عدة أسطر مخرومة تتضمن جمع العمال والنجارين وتهيئة المواد لصنع السفينة) :

. . . .

كل ما عليك . . . . .

ومن الحيوانات الطاهرة . . . .

والحيوانات السمينة. . . .

وأطيار السماء . . . والماشية وحيوان البر . . . اجمعها في السفينة

دعا الناس . . . إلى وليمة

وأركب عائلته في السفينة

أكلوا وشربوا . . . .

وكان يدخل ويخرج على الدوام ولا يستطيع الجلوس ولا النوم

لان قلبه قد تحطم ، وصار يتقيأ المرارة ؛

وتبدلت هيئة الجو

وأرعد الآله « أدد » في السحاب

وحالما سمع صوت « أدد »

أحضر القير ليسد بابه

وبعد أن أغلق بابه

كان « أدد » لا يزال في السحاب

وازدادت الرياح في شدة هبوطها حينما استيقظ

فقطع المرساة وأطلق السفينة

. . . .

(عدة أسطر مخرومة)

وصار الطائر «زو»(*) يمزق السماء بمخلبه

لقد حطم صوته . . . كما تحطم الجرة

. . . . وجاء الطوفان

وفتك في شدته بالناس كالحرب العوان

وصار الأخ لا يرى أخاه

ولم يكن الناس ليميزوا من هول الهلاك

وخار عباب الطوفان كالثور الوحشي

وكان صوت الطوفان كنهيق حمار الوحش

وغطى الناس الظلام الدامس ، ولم تظهر الشمس

. . . .

(عدة أسطر مخرومة)

استشاط «أنكي» غيظاً

وهو يرى أبناءه يسحقون ويهلكون

و «ننتو» السيدة العظيمة(**)

يبست شفتاها من الحرارة

(*) – الطائر زوبا أو «انزو» طائر اسطوري كالملاك أو الشيطان وورد ذكره في الأساطير ، ومنها أسطورة طريفة تروي كيف أنه سرق ألواح القدر من الاله «انليل» أو مردوخ . انظر خلاصة الأسطورة في كتابي «مقدمة في أدب العراق القديم» (١٩٦٧) .

(**) – سبق أن مر معنا أن «ننتو» أو «مامي» كانت الهة خالقة أو الهة الولادة والآلهة التي ناحت على هلاك البشر في ملحمة جلجامش هي «عشتار» التي يمكن اعتبار «ننتو» و «مامي» من اسمائها .

وال «انوناكي» ، الآلهة العظام
جلسوا وهم عطشى وجياعى
وبكت الآلهة وهي تشاهد الكارثة ؟
وقالت الحكيمة «مامي» ، قابلة الآلهة ،
ليعم الظلام النهار ، وليعم البؤس والشقاء
(وأنا) في مجلس الآلهة
ماذا دهاني اني قررت معهم الهلاك والدمار
لقد تجاوز «أنليل» المدى في الشر والهلاك
ومثل الشيطان «تريرو» ، أمر بالشر والدمار
وأوقعت الاذى بنفسي عندما أصغيت إلى ضوضائهم
وان ذريتي-وقد قطعت عني-غدت كالذباب
وأنا أصبحت كالساكنة في بيت الندب والبكاء
فلا يسمع نحيبي وعويلي
فهل سأرقى إلى السماء
وكأني سأعيش في بيت الكنز» ؟
إلى أين ذهب كبيرهم «آنو» ؟
(آنو) الذي يطيع أمره أبناؤه الاقداس
انه الذي لم يتروَ فأحدث الطوفان
وأسلم الناس إلى الهلاك والفناء
(عدة أسطر مخرومة)

لقد ملؤوا النهر كأنهم اليعاسيب
صاروا كالارماث الطائفة في النهر (؟)
لقد شاهدتهم وبكيت من أجلهم
أجل انتحبت من أجلهم
حتى استنفدت رثائي وندبي من أجلهم
«لقد ناحت «ننتو» بكل حرارة عاطفتها
وبكى الآلهة معها من أجل البلاد
لقد ملكها الحزن وأصابها الظمأ إلى الجعة
وحينما جلست جلسوا معها يبكون
وملؤوا الحوض كأنهم الغنم
ويبست شفاههم من شدة الظمأ
وحل بهم الضعف والشلل من شدة الجوع
وطول سبعة أيام وسبع ليال
عم الطوفان والزوابع .
(نحو ٢٧ سطراً مخرومة ، ونحو ٢٩ سطراً من الحقل التالي) .
. . . . إلى الرياح الاربعة
وجهز الطعام . . . .
وشمّ الآلهة طعام الوليمة
فتجمعوا كالذباب على القرابين
نهضت «ننتو» ، وهي غاضبة على الجميع فقالت :

إلى أين ذهب « آنو » ، كبير الآلهة .
هل حضر « أنليل » إلى البخور والقرابين ؟
انهما اللذان لم يترويا فأحدثا الطوفان
وسلطا على الناس الدمار والهلاك
«لقد أردتم الهلاك الشامل ،
والان غدت وجوههم النظيفة كدرة مغبرة
ثم أمسكت بالذباب الكبير
وهي التي صنعها لها « آنو » وكانت تحملها
وقالت : «ان حزنه حزني ، والان قرر مصيري
ليخلصني من هذا الحزن والغم .
وليكن هذا الذباب أحجار اللازورد التي جيدي
لأتذكر بها كل يوم وإلى الأبد(*)
لقد شاهد البطل « أنليل » السفينة
واستشاط غيظاً على آلهة ال « ايگيگي » وقال :
نحن آلهة ال « انوناكي » العظام
قد قررنا وأقسمنا على ذلك
فكيفَ نجا بعض الأحياء! ؟

(*) - يبدو كما هو واضح أن الذباب هنا كناية عن قلادة أحجار اللازوردالتي كانت تتحلى بها « ننتو » أو عشتار ، ويحتمل أن أشكال تلك الأحجار كانت على هيئة الذباب . قارن هذه الإشارة بما قالته الآلهة « عشتار » من بعد زوال الطوفان ، حيث جعلت قلادتها التي صنعها لها أبوها « آنو » بمنزلة العهد أو الموثق تتذكر به كارثة الطوفان فلا يتكرر .

وكيف سلم الانسان من الهلاك

ففتح «آنو» فاه وخاطب أنليل قائلاً :

«من غير «أنكي» من يستطيع أن يفعل ذلك ؟

«أنا لم أفش سر القرار .

ففتح «أنكي» فاه وخاطب الآلهة العظام قائلاً :

«لقد فعلت ذلك حقاً بحضركم

أنا المسؤول عن نجاه الحياة

(عدة سطور مخرومة)

فليعاقب المذنب بوزر ذنبه

وكل من يخالف أوامرك

ففتح «أنليل» فاه وخاطب «أنكي» قائلاً :

هلم! احضر «ننتو» إلهة الولادة

أنت وهي قد حضرتما الاجتماع

. . . .

(وهنا ينخرم النص ، ولكن الاسطر القليلة الباقية تنتهي بها الملحمة بخلق الآلهة «ننتو» صنفاً ثالثاً غريباً من البشر هو جنس الاناث اللواتي لا يحملن ، وخلق أنواع من الشياطين) .

وننهي كلامنا على ملحمة «اترا-حاسس» بالإشارة الى أن النص الآشوري يسجل لنا أحد مظاهر اشتداد القحط والجوع قبل إحلال الطوفان هو التجاء الناس إلى أكل بعضهم بعضاً[٢٥٢] .

اشارات إلى الطوفان

في النصوص المسمارية

بعد أن أوردنا النصوص المسمارية المطولة التي خصصت لرواية أحداث الطوفان وهي :

١- اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش

٢- النص السومري : ملحمة « زيو سدرا » .

٣- رواية « بروسس » .

٤- ملحمة « اترا-حاسس » المعنونة « حين (كان) الآلهة مثل الانسان » .

ننهي كلامنا عن الطوفان في مدونات حضارة وادي الرافدين بذكر الإشارات التي وردت إلى الطوفان في أشهر النصوص المسمارية الاخرى إضافة إلى الروايات أو القصص الكاملة التي أثبتنا ترجمتها .

ونذكر فيما يلي هذه النصوص :

١- جداول الملوك السومرية:

سبقت الاشارة مراراً إلى ما يسمى بأثبات أو جداول الملوك السومرية (Sumerian King-List)[٢٥٣] ، وقد عنونت بالسومرية بمصطلح « الملوكية » (نام-لوگال) (Nam-Lugal) ، وهي أطول جداول تتضمن أسماء السلالات وحكامها وملوكها مع عدد سنيها وسني كل ملك فيها ، منذ عصور ما قبل الطوفان ، والسلالات التي أعقبت هذا الحدث إلى آخر ملوك سلالة « إيسن » التي صدرت في أواخر عهدها أحدث نشرة بهذه الجداول ، وكانت أول نشرة لها في بداية عهد السلالة السومرية السابقة وهي سلالة « أور الثالثة » (٢١١٢ - ٢٠٩٥ ق .م .)

وعلى وجه التخصيص كما يرجح في حكم الملك السومري الشهير «أوتو - حيگال» الذي اشتهر بتحرير البلاد من سيطرة الكوتيين البرابرة وتأسيسه سلالة حاكمة في الوركاء هي سلالتها الخامسة ، ولكن اقتصرت على حكمه حيث انتزع الحكم منه مؤسس «أور» الثالثة المسمى «أور - نمو» .

والذي يهمنا من أمر هذه الجداول فيما يتعلق بالموضوع الذي بين أيدينا . أن هذه الجداول تقسم تأريخ البلاد أو بالأحرى تأريخ العالم أو التأريخ العام إلى حقيقتين متميزتين ومنفصلتين ، أقدمها أزمان ما قبل الطوفان ثم أزمان ما بعد الطوفان . وقد خصصت تلك الجداول للحقبة الاولى خمس سلالات وثمانية ملوك حكموا في خمس مدن قديمة دام حكمهم رقماً اسطورياً هو ٢٤١,٠٠٠عام!! أما تلك المدن الخمس فهي :

١ - أريدو (أبو شهرين الان إلى الجنوب الغربي من أور بنحو ٢٥ كم) .

٢ - مدينة «باد - تيبرا» (Bad-Tibira) (ولعل موضعها الان البقايا التي تعرف باسم المدينة في منطقة لجش) .

٣ - سپار (أبو حبة الان بالقرب من صدر اليوسفية) .

٤ - شروپاك (تل فاره الان في منطقة الوركاء) وهي مدينة بطل الطوفان «أوتو - نبشتم» بحسب رواية الطوفان في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش .

لَرَك (ويرجح ان موقعها الان في منطقة الحسينية في محافظة واسط الكوت) .

ويعقب سلالات هذه المدن الخمس في تلك الجداول عبارة :

«ثم حل الطوفان وجرف البلاد ، ومن بعد الطوفان هبطت الملوكية من السماء وحلت في مدينة كيش» وتعدد الجداول أسماء ملوكها

وعدد سني حكمهم ، ويعقب ذلك السلالات الاخرى وعددها عشرون سلالة إلى آخر ملوك سلالة « إيسن » التي قلنا إن في عهدها صدرت آخر نشرة لتلك الجداول .

وقد أطلق على الطوفان في هذه الجداول ، وكذلك في غيرها من النصوص المسمارية التي تضمنت رواية الطوفان أو التي ورد فيها ذكر الطوفان ، المصطلح السومري : «آ – ما – رو» (A-MA-RU) ومرادفه في الاكدية (البابلية والآشورية) «ابوبو» الذي يكاد أن يكون من المؤكد انه يرادف الكلمة العربية «عُباب» أو «أباب» . وتضاهيها الكلمة العبرانية التي تطلق على الطوفان كما جاء في التوراة «مابول» أو «مَبّوُل» .

واكمالاً لهذه الملاحظة عن كلمة الطوفان في السومرية والبابلية نذكر أن العبارة التي وردت في النصوص المسمارية : «من بعد الطوفان» أو «من بعد أن حلّ الطوفان» وردت بعدة أشكال في السومرية أشهرها :

١ – من بعد ان هاج الطوفان وبالتعبير السومري

EGIR A-MA-RU U-RA-TA

٢ – عبارة من بعد ان وقع أو حل الطوفان وبالسومرية[٢٥٤] :

EGIR A-MA-RU BA-GAR-RATA .

٣ - جدول ملوك سلالة «لجش»:

من الالغاز التاريخية في تأريخ العراق القديم التي لم تحل حلاً شافياً ، أن جداول الملوك السومرية التي ذكرناها لا تذكر حكام أو ملوك سلالة شهيرة حكمت فيما يسمى بعصر السلالات الثالث في حدود ٢٤٠٠ق .م . وقد أسسها الملك السومري في مدينة لجش «أور – ناتشة» ، وكان آخر ملوكها المصلح الشهير «أورو – كاجنبا» . وقد

خلف لنا ملوك هذه السلالة مجموعات مهمة من مآثرهم المدوّنة والبقايا الاثرية من أبنية وفنون نحت كما أظهرت ذلك التنقيبات الفرنسية في منطقة «تلو» . وقد أظهرت الدراسات الحديثة لنصوص ملوك هذه السلالة جدولاً خاصاً بملوك هذه السلالة ، وهو يبدأ كذلك بالعبارة الواردة في جداول الملوك السومرية ، أي عبارة «من بعد الطوفان» .

٣ - الحكماء السبعة :

شاعت في أدب حضارة وادي الرافدين أسطورة طريفة عن الحكماء السبعة[٢٥٥] ومن ذلك ما ورد في ديباجة ملحمة جلجامش على أنهم هم الذين وضعوا أسس مدينة الوركاء وأسوارها ، وهم الذين علّموا البشر أصول العمران في أقدم سبع مدن من البلاد .

وإضافةً إلى مثل هذه الاشارات إلى الحكماء السبعة جاء ذكرهم في لوح طيني عثر عليه في تنقيبات مدينة الوركاء . حيث يذكر هذا اللوح الحكماء السبعة أنهم يطابقون أو يضاهون الملوك السبعة الذين حكموا قبل الطوفان[٢٥٦] .

وجاء ذكر الحكماء السبعة والطوفان في نص مسماري مزدوج اللغة (bilingual) أي بالسومرية والبابلية[٢٥٧] وذكر الحكماء السبعة وانهم عاشوا قبل الطوفان في ذيل لنص طبي[٢٥٨] وبالعبارة : «طبق الحكماء السبعة القدماء في ما قبل الطوفان» وبالنص البابلي :

she pi apkalle (NUN-ME-mesh) labiruti she lam abubi (A-MA-URU)

ونختتم هذه الملاحظات الموجزة عن ورود الطوفان في النصوص المسمارية بالاشارة إلى ما جاء في ترجمة حياة آخر الملوك الاشوريين وهو «آشور - بانيبال» (القرن السابع ق .م .) ، ونختار من هذه

السيرة الشخصية الطريفة (Autobiography) العبارة الآتية :

«لقد درست نقوش الأحجار مما قبل الطوفان وهي عويصة وعسرة الفهم. . . » .

الملحق السادس
خبر الطوفان كما جاء في التوراة
(سفر التكوين: الاصحاح السادس - التاسع)

الاصحاح السادس:

«ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر في الارض . وان تصور أفكارقلبه انما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الانسان في الارض . وتأسف في قلبه . فقال الرب أمحُ عن وجه الارض الانسان الذي خلقته . الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لاني حزنت أني عملتهم . وأما نوح فوجد نعمة في عين الرب .

هذه مواليد نوح : كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله . وسار نوح مع الله . وولد نوح ثلاثة بنين : ساما وحاما ويافث . وفسدت الارض أمام الله ، وامتلأت الارض ظلما . ورأى الله فإذا هي فسدت . اذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الارض .

فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي . لان الارض امتلأت ظلماً منهم . فها أنا مهلكهم مع الارض . اصنع لنفسك فلكاً من خشب جُفْر . تجعل الفلك مساكن . وتطليه من داخل ومن خارج بالقار . وهكذا تصنعه : ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه . وتصنع كوى للفلك ، وتكمله إلى حد ذراع من فوق . وتضع باب الفلك في جانبه . مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله . فها أنا آت بطوفان الماء على الارض لاهلك كل جسد فيه

روح حياة من تحت السماء . كل ما في الارض يموت . ولكن أقيم عهدي معك . فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك . ومن كل حي ، من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك . تكون ذكراً وانثى . من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الارض كأجناسها . اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها . وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل وأجمعه عندك . فيكون لك ولها طعاما . ففعل نوح حسب كل ما أمره به اللّه . هكذا فعل .

الاصحاح السابع:

«وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع أهل بيتك إلى الفلك . لأني اياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل . من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وانثى . ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وانثى . ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ، ذكراً وانثى لاستبقاء نسل على وجه الارض . لاني بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الارض أربعين يوماً وأربعين ليلة . وأمحو عن وجه الارض كل قائم عملته . ففعل نوح حسب كل ما أمر به الرب . ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الارض . فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان . ومن البهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الارض دخل اثنان اثنان إلى نوح ، إلى الفلك ، ذكراً وانثى . كما أمر اللّه نوحاً .

وحدث بعد السبعة الايام ان مياه الطوفان صارت على الارض في سنة ست مئة من حياة نوح ، في الشهر الثاني . في اليوم السابع عشر من الشهر . في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء . وكان المطر على الارض أربعين يوماً وأربعين ليلة . في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث ، بنو نوح وامرأة نوح

وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك . هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الارض كأجناسها ، وكل الطيور كأجناسها ، كل عصفور ، كل ذي جناح . ودخلت الى نوح ، الى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة . والداخلات دخلت ذكراً وأنثى ، من كل ذي جسد ، كما أمره الله . وأغلق الرب عليه .

وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض . وتكاثرت المياه ورفعت الفلك ، فارتفع عن الأرض . وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه الماء . وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض . فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه ، فتغطت الجبال . فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض . من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس . كل ما في أنفه نسمة روح حياة ، من كل ما في اليابسة مات . فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض . الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء ، فانمحت من الأرض . وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط . وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوماً .

الاصحاح الثامن:

«ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك . وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه . وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء . فامتنع المطر من السماء . ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً . وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه . واستقر الفلك في الشهر السابع ، في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط . وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر . وفي العاشر ، في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال .

وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها وأرسل الغراب . فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض ، ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلّت المياه عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه الى الفلك ، لأن مياهاً كانت على وجه كل الأرض ، فمد يده وأخذها وأدخلها عنده الى الفلك . فلبث أيضاً سبعة أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك . فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها . فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض . فلبث أيضاً سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم ترجع إليه أيضاً .

وكان في السنة الواحدة والست مئة في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف . وفي الشهر الثاني وفي اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض .

وكلّم الله نوحاً قائلاً : أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك . وكل الحيوانات التي معك ، من كل ذي جسد ، الطيور والبهائم وكل الدبابات التي تدب على الأرض أخرجها معك . ولتتوالد في الأرض وتثمر وتكثر على الأرض . فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه . وكل الحيوانات ، كل الدبابات وكل الطيور ، كل ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك .

وبنى نوح مذبحاً للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذابح . فتنسم الرب رائحة الرضاء وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت . مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال .

الاصحاح التاسع ٨ : ١٧ :

«وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً : ها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ، ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم . الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض . أقيم ميثاقي ، فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان . ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض . وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الى أجيال الدهر ، وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض ويظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد فلا تكون أيضاً المياه طوفانها لتهلك كل ذي جسد . فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل ذي نفس حية في كل جسد على الأرض وقال الله لنوح : هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض» .

الملحق السابع
ثبت بالأدوار الحضارية

١ - عصور ما قبل التاريخ: (pre - historic Periods)

أولاً: العصر الحجري الـ «ايوليثي» (Eolithic)

دور حجري قديم غير واضح ، يقع زمنه في بداية دهر البلايستوسين (Pleistocene) ، وتعزى إليه طائفة من الأدوات الحجرية البدائية تسمى الأدوات الحصوية (Pebble Tools) لم يعثر عليها في العراق ، ولكن وجدت نماذج منها في أفريقية وأجزاء أخرى قليلة من الأر ض .

ثانياً: العصر الحجري القديم (Palaeolithic)

زمنه منتصف دهر «البلايستوسين» الى نهاية العصور الجليدية في أوربا ، أي من حدود ٥٠٠,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ ق.م ، ويقسم الى الأدوار التالية :

أ - العصر الحجري القديم الأدنى (Lower Palaeolithic)

١ - الابيفيلي (Abbevillian)

كان يدعى سابقاً الدور الشيلي (Chellean) ، وزمنه في أوربة في

الفترة الجليدية الأولى(*) (كنز – مندل Gunz - Mindel) . لم يعثر على أدواته في العراق حتى الآن ، ولكنها وجدت في وادي النيل وشمال أفريقيا وأجزاء أخرى من العالم . عاش فيه نوع الإنسان البائد «هايدل برج» ، ونوع الإنسان الأطلسي (نسبة الى جبال الأطلس في شمال أفريقيا) .

٢ – الكلاكتوني (Clactonian)

زمنه الفترة الجليدية الثانية (مندل – رس) . لم يعثر على أدواته في العراق حتى الآن .

٣ – الآشولي (Acheulian)

أطول أدوار العصر الحجري القديم . أبداؤه في أوربا من الفترة الثانية الى الفترة الثالثة . تسمى أطواره في شمال أفريقيا : الآشولي الأول والثاني والثالث . بعض الأدوات الحجرية منه وجدت في شمال العراق (برده بلكا قرب جمجمال) .

٤ – اللفالوازي (levalloisian)

. زمنه في أواخر الفترة الجليدية الثالثة ، وله صلة بالدور «الفالوازي – المستيري» التالي .

(*) – اسماء العصور الجليدية في أوربا وأطوالها الزمنية التقريبية :

١ – كنز (Gunz) : ٦٠٠,٠٠٠ – ٥٤٠,٠٠٠

فترة الـ «كنز – مندل» : ٥٤٠,٠٠٠ – ٤٨٠,٠٠٠ .

٢ – مندل (Mindel) : ٤٨٠,٠٠٠ – ٤٣٠,٠٠٠

فترة الـ «مندل – رس» : ٤٣٠,٠٠٠ – ٢٤٠,٠٠٠

٣ – رس (Riss) : ٢٤٠,٠٠٠ – ١٨٠,٠٠٠

فترة الـ «رس – ورم» (Riss - Wurm) : ١٨٠,٠٠٠ – ١٧٠,٠٠٠ .

٤ – ورم (Wurm) : ١٢٠,٠٠٠ – ١٥,٠٠٠ أو ١٠,٠٠٠ ق .م .

ملاحظة : يقابل العصور الجليدية الأوروبية عصور ممطرة (Pluvials) في الأجزاء الوسطى والجنوبية من الأرض ومنها الشرق الأدنى وشمال افريقية . ويقابل الفترات الجليدية الأوروبية عصور جفاف في تلك المناطق .

ب - العصر الحجري القديم الأوسط (Middle Palaeolithic)

1 - افالوازي - مستيري (Mousterian)

2 - مستيري

زمنه في الفترة الجليدية واستمر الى العصر الجليدي الرابع . عاش فيه نوع الانسان القديم المسمى «نياندرتال» (Neanderthal)الذي وجدت نماذج كثيرة من هياكله العظمية في أجزاء الكرة ومن بينها شمالي العراق (كهف شانيدر الطبقة D ، وفيها أدوات الدور المستيري) . يسمى في شمال أفريقية «المستيري - العتيري» .

ج - العصر الحجري القديم الأعلى (Upper Paleolithic)

شغل في أوربا الجزء الأخير من دهر البلايستوسين (العصرالجليدي الرابع قبل نحو ٥٠,٠٠٠ أو ٤٠,٠٠٠) . ساد فيه نوع الانسان الحديث المسمى «الانسان العاقل» (Homo Sapiens) . أطلق على الأدوات الحجرية الممثلة لهذا الدور في شمال العراق اسم الدور «البرادوستي»(نسبة الى جبال برادوست) ، وتعود إليه الطبقة B في كهف شانيدر ، ووجدت أدواته أيضا في كهفي «هزار ميرد» و «زرزى» (في منطقة جبال السليمانية) . أطلق عليه في شمال أفريقية الدور «القفصي» (الأجزاء الداخلية) و«الوهراني» (الأجزاء الساحلية) . ويقسم في أوربا الى أربعة أدوار : (١) الأورغنيشي (Au-rignacian) (٢٨٠٠ - ٢٢٠٠٠ق.م .) والسلوترى (Solutrean) والمكدليني (Magdalenian) الذي اشتهر في أوربا بفن الرسوم في الكهوف .

ثالثاً: العصر الحجري الوسيط (Mesolithic)

زمنه بعيد العصر الجليدي الرابع (الأخير) ، ويسمى أيضا دور

الأدوات الحجرية الدقيقة (Microlithic) ، وأطلق عليه في شمال العراق الدور «الزرزى » (نسبة الى كهف زرزى قرب السليمانية) . وجدت آلاته الحجرية الممثلة في الطبقة C من كهف شانيدار ، كما وجدت آثاره في عدة مواقع أخرى في شمال العراق أشهرها «زاوى جيمي » (على الزاب الأعلى بالقرب من كهف شانيدر) و«بالى گورا » ، وملفعات وكريم شهر . يسمى في بلاد الشام الدور «النطوفي» . ظهرت فيه في شمال العراق وبعض أجزاء الشرق الأدنى طلائع تدجين الحيوان والزراعة (Incipient food production)

رابعاً: العصر الحجري الحديث:

بدايته في حدود الألف الثامن أو السابع الى ٥٦٠٠ ق .م . يمكن تقسيمه في شمال العراق وبعض أجزاء الشرق الأدنى الى الأدوار التالية :

١ – **بداية الحجري الحديث أو أواخر الحجري الوسيط** (Proto - Neo-lithic)

حيث وجدت آثاره الممثلة في الطبقات A, B, من كهف شانيدر وفي زاوى جمي وكريم شهر وملفعات وگرد جاي .

٢ – **دور ماقبل الفخار** (Pre - Pottery Neolithic)

لم يظهر الفخار فيه ، وتمثله الطبقات السفلية من «جرمو» (١٦ – ٦) حيث الفخار وجد في الطبقات الخمس العليا ، وكذلك في الطبقة العليا من زاوى چيمى وفي تل شمشارة (الطبقات ١٤ – ٦) . ٣ – دور الفخار (Pottery Neolithic)

في جرمو والطبقات العليا ٥ – ١ . والطبقات السفلى من تل حسونة ، والطبقات السفلى من تل «الصوان» وجملة مواقع أخرى .

خامساً: العصر الحجري - المعدني: (Chalcolithic)

في حدود ٥٦٠٠ – ٣٥٠٠ ق .م ، ويقسم الى الأدوار التالية :

أ – حجري – معدني قديم (Early Chalcolithic)

١ – دور حسونة : في تل حسونة وتل صوان وشمشارة وغيرها .

٢ – دور سامراء : في المواضع المذكورة في (١) وغيرها .

ب – حجري – معدني وسيط (Middle Chalcolithic) :

١ – دور حلف :

أ – **حلف قديم** : ماقبل الطبقة العاشرة في تل الأربجية .

ب – **حلف وسيط** : الطبقات ١٠ – ٧ من الأربجية .

ج – **حلف متأخر** : الطبقة ٦ من الأربجية .

٢ – دور العبيد الأول : طور «أريدو» (الطبقات ١٩ – ١٥ في أريدو) .

٣ – دور العبيد الثاني : طور فخار «حاج محمد» وفخار رأس العمية (قرب كيش) .

لم يعثر على آثار دور حلف في الأجزاء الوسطى والجنوبية من العراق ويعاصره دور العبيد الأول في الجنوب .

ج – حجري – معدني متأخر (Late Chalcolithic) :

١ – دور العبيد الثالث (كان يسمى العبيد القديم سابقاً) .

٢ – العبيد الرابع (العبيد المتأخر سابقاً) .

٣ – دور الوركاء :

أ – الوركاء القديم (الطبقات ١٢ – ٧ من الوركاء) .

ب – الوركاء الوسيط (الطبقات ٦ – ٥ من الوركاء) .

سادساً: العصر الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتأريخي ٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ ق.م. (Proto - Literate. Proto - Historic)

١ - دور الوركاء الأخير (في الوركاء ٥ و ٤ أ ، ب ، ج) .

٢ - دور جمدة نصر (٣٠٠٠ - ٢٩٠٠ ق.م .) .

٣ - عصر السلالات الأول (٢٩٠٠ - ٢٨٠٠ ق.م .) .

٢ - العصور التاريخية:

١ - عصر السلالات أو عصر دول المدن (Early Dynastic)

٢٨٠٠ - ٢٣٧٠ ق.م .

أ - عصر السلالات الثاني : (٢٨٠٠ - ٢٦٠٠ ق.م .) .

ميسلم - سلالة كيش الأولى - سلالة الوركاء الأولى - ألواح تل «فاره» .

ب - عصر السلالات الثالث : (٢٦٠٠ - ٢٣٧٠ ق.م .) .

المقبرة الملكية : مس - كلام - دوگ ، آ - كلام - دوگ .

جلجامش ، سلالة لجش الأولى (سلالة أور - نانشه) ، «أوما» .

وغيرها من المدن السومرية ، سلالة «أور الأولى» «نيسا نيدا» ، لوگال - زاكيزي .

٢ - العصر الأكدي (السلالة الأكدية) (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق.م .) .

سرجون (٢٣٧٠ - ٢٣١٦) ، «نرام - سين» (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م .) .

٣ – الدور الكوتي وسـلالة لجش الثـانيـة (٢٢٣٠ – ٢١٢٠ ق .م .) .

عصر گوديه .

٤ – سلالة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق .م .)

أور – نمو (٢١١٢ – ٢٠٩٥ ق .م .) شـولگي (٢٠٩٤ – ٢٠٤٧ ق .م .)

«أمـار – سين» أو «بور – سين» (٢٠٤٦ – ٢٠٣٨ ق .م .) . شو – سين

(٢٠٣٧ – ٢٠٢٩ ق .م .) ابـي – سـين (٢٠٢٨ – ٢٠٠٤ ق .م .) .

٥ – العصر البابلي القديم (٢٠٠٠ – ١٥٠٠ ق .م .)

أ – سـلالة لارسـا (٢٠٢٥ – ١٧٦٣ ق .م .) مـؤسـسـهـا «نبلانم» .

ب – سـلالة أيسن (٢٠١٧ – ١٧٩٤ ق .م .) ، مـؤسـسـهـا «اشبي – أيرا»

ج – سـلالة «أشـنونـا» (٢٠٠٠ – ١٧٦١ ق .م .) . من مشاهير ملوكها

«شَـمـسي – أدد» الأول ، وأبـالبـيـل الأول ، و «نرام سين» و «دادوشا» وأباليبل الثاني (١٧٩٠ ؟ – ١٧٦١ ق .م .) .

و – بلاد آشور (٢٠٠٠ ؟ – ١٧٦٠ ق .م .)

«شمسي – أدد» الأول (١٨١٣ – ١٧٨١ ق .م .) .

و – سلالة بابل الأولى (١٨٩٤ – ١٥٩٥ ق .م .) .

مؤسسها «سومو – آبم» وسادس ملوكها «حمورابي» (١٧٩٢ – ١٧٥٠) وآخر ملوكها «سمسو – ديتانا» (١٦٢٥ – ١٥٩٥ ق .م .) .

٦ – **العصر الكشي** (١٧٠٠ ؟ –١١٥٧ ق .م .) :

الكشيون في بلاد بابل سلالة بابل الثالثة (١٥٩٥ – ١١٥٧ ق .م .) .

٧ – **سلالة القطر البحري** (سلالة بابل الثانية ١٧٤٢ – ؟) :

٨ – **العصر البابلي الوسيط** (١٥٠٠ – ٦٢٧ ق .م .) :

السلالة الكشية السابقة والسلالات البابلية من الرابعة إلى العاشرة .

٩ – **العصر البابلي – الحديث** (Neo-Bablonian) (٦٢٧ – ٥٣٩ ق .م .)

سلالة بابل الحادية عشرة : نبوبولاصر (٢٦ – ٦٠٥ ق .م .) وابنه«نبو خذ نصر» (٦٠٥ – ٥٦٢ ق .م .) ونبو نيدس (٥٥٥ – ٥٣٩ ق .م .) ، استيلاء كورش على بلاد بابل (٥٣٩ ق .م .) .

١٠ – **العصر الفارسي الأخميني** (في العراق ٥٣٩ – ٣٣١ ق .م .) :

أشهر ملوكه : كورش الثاني (٥٥٩ – ٥٣٠ ق .م .) ودارا الأول (٥٧١ – ٤٨٦ ق .م .) وآخر ملوكه دارا الثالث (٣٣٥ – ٣٣١ ق .م .) .

١١ – **الإسكندر الكبير والعصر السلوقي** (٣٣١ – ١٢٨/١٢٦ ق .م .) :

ولد الأسكندر في ٣٥٦ ق .م . ، وخلف أباه فيليب المكدوني في

٣٣٦ ق .م . ، وبدأ فتوحه للشرق ٣٣٤ ق .م . ، فتح العراق ٣٣١ ق .م . (موقعة أربيلا) وتوفي في بابل في حزيران ٣٢٣ ق .م . بداية العهد السلوقي في العراق في نيسان ٣١١ ق .م .

١٢ - العصر الفرثي : (البارثي ، الأرشاقي ، الأشغاني (الأشكاني) ، ملوك الطوائف) ١٣٨/١٢٦ ق .م . - ٢٢٧م :

١٣ - العصر الساساني (٢٢٧ - ٦٣٧م) :

أشهر ملوكه : أردشير الأول (٢٢٦ - ٢٤١م) ، وشابورالأول (٢٤١ - ٢٧٢م) وشابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩م) وآخر ملوكه يزدجرد الثالث (٦٣٣ - ٦٥١م) .

الأدوار التاريخية في بلاد آشور

١ - عصور ما قبل التأريخ : كما مر سابقاً :

٢ - دور سيطرة دول الجنوب إلى نهاية سلالة أور الثالثة (٢٥٠٠ ؟ - ٢٠٠٠ ق .م .) .

٣ - العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق .م .) :

من مشاهير ملوكه : ايرشم - الأول . سرجون الأول (المستعمرةالتجاريةالآشورية في تركية في كول تبه ، كانيش القديمة . شمسي - أدد الأول (١٨١٣ - ١٨٧١ ق .م .) .

٤ - العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ - ٩١١ ق .م .) :

من مشاهير ملوكه آشور - أوبالط الأول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق .م .) شيلمنصر الأول (١٣٧٤ - ١٣٤٥ ق .م .) وتوكلتي - ننورتا الأول (١٣٤٤ - ١٢٠٨ ق .م .) ، وآشور ناصربال الأول (١٠٥٠ - ١٠٣٢ ق .م .) .

٥ – العصر الآشوري الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق .م .) .

أ – الأمبراطورية الآشورية الأولى : (٩١١ – ٧٤٥ ق .م .) .

من مشاهير ملوك العصر : أدد – نيراري الثاني (٩٩١ – ٨٩١ ق .م .) وتوكلتي – ننورتا الثاني (٨٩٠ – ٨٨٤ ق .م .) وآشور ناصربال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق .م .) وشيلمنصر الثالث (٨٥٨ – ٨٢٤) ق .م . وتجلا تبليزر الثالث (٧٤٤ – ٧٢٧ ق .م .) .

ب – الإمبراطورية الآشورية الثانية : (٧٤٥ – ٦١٢ ق .م .)

شيلمنصر الخامس (٧٢٦ – ٧٢٢ ق .م .) .

السلالة السرجونية : سرجون الثاني (٧٢١ – ٧٠٥ ق .م .) ،

سنحاريب (٧٠٤ – ٦٨١ ق .م .) ، اسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق .م .) ،

آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦/ ٦٢٧ ق .م .) . آخر ملوكها «آشور – أوبالط» الثاني (٦١١ – ٦٠٩ ق .م .) ، سقوط نينوى : ٦١٢ ق .م .

الأدوار العربية - الإسلامية

١ – عهد الرسول والخلفاء الراشدين (٦٠٠ – ٦٦١م) :

٢ – الأمويون (٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م) :

٣ – العباسيون (١٣٢ – ٦٥٦/ ٧٥٠ – ١٢٥٨م) :

حكم منهم ٣٧ خليفة ، أولهم أبو العباس السفاح وآخرهم المستعصم :

أ – الدور العباسي الأول ١٣٢ – ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ – ٨٤٧م :

دام زهاء ١٠٠ عام وحكم فيه تسعة خلفاء من السفاح إلى

الواثق . أسس المنصـــور بغـــداد (١٤٥ - ١٤٩هـ/ ٧٦٢ - ٧٦٦م) . تأسيس سامراء في عهد المعتصم (٢٢١ - ٢٧٩هـ/ ٨٣٦ - ٨٩٢م) .

ب - الدور الثاني ٢٣٢ - ٣٣٣هـ/ ٨٤٧ - ٩٤٤م :

نفـوذ القـواد الأتراك . بدء انحلال الإمبـراطورية . حكم في هذا الدور ثلاثة عشر خليفة . ظهور حركة القرامطة ٢٧٨هـ/ ١/ ٨٩٢م ، وحركة الزنج (٢٥٠ - ٢٦١هـ) .

ج - الدور الثالث : ٣٣٣ - ٤٤٧هـ/ ٩٤٤ - ١٠٣١م :

حكم فيه خمسة خلفاء من المستكفي إلى القادر بالله . تسلّط البـويهـيين (من الديلم) ، وطردهم من جانب الأتراك السلاجقة . الحمدانيون في الموصل وتكريت .

د - الدور الرابع : ٤٤٧ - ٥٤٧هـ/ ١٠٣١ - ١١٥٢م :

حكم فيه خمسة خلفاء . تسلط الأتراك السلاجقة ، استيلاء طغرك بك على بغـــداد ٤٦٢هـ - ١٠٧١م . بداية الحـــرب الصليـــبـيـــة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م . سلالة الأتابكة في الموصل على يد عماد الدين زنكي أحد قواد ملكشاه السلجوقي .

هـ - الدور الخامس : ٥٣٠ - ٦٥٦هـ/ ١٣٦ - ١٢٥٨م :

سقوط بغداد على يد المغول (هولاكو) ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م .

السلالات المغولية والتركمانية والفارسية:

١ - **الأيلخانيون** ٦٥٦ - ٧٣٨هـ/ ١٢٥٨ - ١٣٣٨م .

٢ - **الجلائريون** ٧٣٨ - ٨١٤هـ/ ١٣٣٨ - ١٤١١م .

٣ - **القره قوينلو** ٩١٤ - ٩٧٤هـ/ ١٤١١ - ١٤٦٨م .

(الخروف الأسود ، الشاه محمد بن قره يوسف) .

٤ - **الآق قوينلو** ٨٧٤ - ٩١٤هـ/ ١٤٦٩ - ١٥٠٨م .

(حسن الطويل اوزون) .

٥ - **الصفويون** ٩١٤ - ٩٣٠هـ/١٥٠٨ - ١٥٢٣م .

الشاه اسماعيل ١٥٠٨ - ١٥٢٣ ، الشاه طهماسب .

الصفويون مرة ثانية ٩٣٦ - ٩٤١هـ/ ١٥٢٩ - ١٥٣٤م .

٦ - **الأتراك العثمانيون** ١٥٣٤ - ١٩١٧م .

الهوامش

(٢٠٢) - أبو العلاء المعري .

(٢٠٣) انظر الأصل السومري في :

S. N. Kramer, Gikgamesh and the Huluppu Tree

وكتاب المؤلف نفسه المعنون :

Sumerian Mythology (1944). 30tt.

وملحمة جلجامش للأستاذ « هايدل » .

Alexander Heidel, The Gilgamesh Epic (1949).

(٢٠٤) - قارن سفر اشعيا ٣٤ : ١٤ . وقارن الأخبار العربية في اتخاذ الشياطين الأشجار مأوى لها وقد قضي على بعضها في صدر الاسلام .

(٢٠٥) - ترجم بعض الباحثين هاتين الآلتين بالطبل ومدق الطبل ، انظر :

Alexander Heidel, Op. Cit, p. 95.

(٢٠٦) - يشير الى ذلك اسم العالم الأسفل باللغة السومرية : (KUR_NU_GI) ومرادفه باللغة البابلية « إرصة لاتاري » ، أي الأرض التي لارجعة منها .

(٢٠٧) - ومما لاشك فيه أن منشأ هذه القاعدة اضطلاع ذرية الميت بتقديم القرابين إليه ، وكان هذا من الأسس المهمة في راحة الميت في عالم الأموات .

(٢٠٨) - انظر :

Th. Bauer in Journal of Near Eastern Studies, XVI (1957) 254 ff.

وكذلك

Speiser in ANET (1969).

(٢٠٩) - اسم هذا الجبل هنا وفي النصوص المسمارية الأخرى « ساريا » (SARIA) .

(٢١٠) - حول نص سلطان تبة انظر :

O. R. Gureny in Journal of Cuneiform Studies (VIII, 1954), 78 ff.

وكذلك

A. K. Grayson in Ancient Near Eastern Texts (1969), p. 305 ff.

(٢١١) - انظر :

S. N. Kramer in Ancient Near Eastern Texts (1969), 50 ff.

______; in BASOR, No. 44 (1944), 2 ff.

(٢١٢) - انظر خلاصة هذا الموضوع في كتابي الموسوم : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول ، الطبعة الثالثة (١٩٧٣) ص٢٧٥ فما بعد .

(٢١٣) - كلاب أحد الجزءين الرئيسين من أجزاء مدينة الوركاء .

(٢١٤) - لعل الإشارة هنا الى أعضاء مجلس شورى المدينة .

(٢١٥) - نمتار أحد آلهة الموت والقدر ومن آلهة العالم الأسفل ويعني اسمه « القدر » أو « المنية » .

(٢١٦) - « كشيرو » (Gishburru) سلاح يستعمل في صيد الضباع .

(٢١٧) - نيتي ، أحد حراس العالم الأسفل .

(٢١٨) - حول هذه الجداول المهمة التي تعدد السلالات الحاكمة وملوكها منذ عصور ما قبل الطوفان الى نهاية سلالة « ايسن » انظر كتابي : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول (١٩٧٣) .

(٢١٩) - أحدث ترجمة لهذا النص قام بها الأستاذ « كرامر » (S. N. Kramer). في Ancient Near Eastern Texts (1969), 44 ff.: وفيها الاشارات الى البحوث والدراسات السابقة وأهمها

1 - Th. Jacobsen in Journal of Near Eastern Studies II, (1943).

2 - W. Witzel in Orientalia (1936). 331 ff.

3 - Kramer and Jacobsen in American Journal of Archaeology, LIII, 1 ff.

(٢٢٠) - عن ايجاز الأحوال السياسية في العراق القديم في هذا العصر انظر كتابي : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول ، (الطبعة الثالثة ١٩٧٣) .

(٢٢١) - يحتمل كثيراً أن المقطع الأول من اسم هذا الحاكم أي « أين » هو لقب سياسي ويعني الحاكم ، وأن اسمه « براگيسي » .

(٢٢٢) - مر بنا أن « كلاب » أحد القسمين الرئيسين من مدينة الوركاء .

(٢٢٣) - أي - أنا (E-Anna) ومعناه بيت السماء أو البيت السماوي أو بيت آنو ، المعبد الرئيسي في الوركاء الذي خصص لعبادة الاله « أنانا » والإله « آنو » (أبيها) .

(٢٢٤) - أي اقتراب « أگا » ملك كيش .

(٢٢٥) - آلات الـ « شكارا » (Shukara) بالسومرية ضرب من آلات الحرب كالحصار ونحوه .

(٢٢٦) - راجع عنها :

S. N. Kramer in Journal of Cuneiform Studies, I, (1947), 3 ff. Ancient Near Eastern Texts (1969), 47 ff

(٢٢٧) - هذا هو العنوان الذي عنون به القصيدة الباحث المعروف « كرامر »
(انظر المصادر في الصفحة السابقة) . ويصح أن تعنون أيضاً « أرض الأرز » أو غابة « الأرز وخواوا » .

(٢٢٨) حرفيا : وبما أن الآجر وختم الآجر لم يحلا النهاية المقدرة .

(٢٢٩) - سبق أن قلنا إن كلاب كانت أحد القسمين الرئيسين من مدينة الوركاء .

(١٣٠) – الرجل إشارة الى العفريت خواوا .

(٢٣١) – راجع :

1 - Poebel in Publications of The Babylonian Section University of Pennsylvania, V, No. 1, pls. LXXXIV: IV. 1, 7 - 70.

2 - S. N. Kramer in Ancient Near Eastern Texts (1969).

(٢٣٢) – الصيغة السومرية «زيوسدرا» والصيغة البابلية «اوتو – نبشتم» أو «اوتا – نبشتم» التي يحتمل أنها ترجمة للصيغة السومرية ومعناها «رأيت أو وجدت الحياة» ، كما ذكرنا في كلامنا على (أوتو – نبشتم) . وقد احتفظ باسم «زيوسدرا» في المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) بهيئة «خيستروس» Cxi-suthros» الذي أخبره الاله «كرونوس» بقرب حدوث الطوفان كما سيأتي ذكر ذلك في رواية «بيروسس» عن الطوفان .

(٢٣٣) – انظر الملحق السادس والصفحة التالية ، وعن هذا الجداول انظر خلاصتها في كتابي الموسوم : «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» ، الجزء الأول (١٩٧٣) .

(٢٣٤) – أصبح من المؤكد تقريباً تعيين «دلمون» بأنها في البحرين ، وقد جاء ذكر دلمون أيضاً في أساطير سومرية أخرى أشهرها أسطورة «انكي» و «ننخرساك» ، وفي بعض الكتابات الآشورية ولاسيما كتابات سرجون الآشوري ، انظر كتابي «مقدمة في أدب العراق القديم» (١٩٧٦) ص ٨٨ . وكذلك «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول (١٩٧٣) . والجزء الثاني (١٩٥٥) .

(٢٣٥) – الاله «نودمد» (Nudimmud) من اسماء الاله «انكي» (ايا) اله الماء والحكمة الذي كان مركز عبادته «اريدو» (أبو شهرين على بعد نحو ٢٥كم الى الجنوب الغربي من أور) . أما أسماء الآلهة الأخرى التي تعقب ذلك فهي الآلهة التي اختص كل منها بإحدى المدن الخمس . حول هذه المدن الخمس ومواضعها والسلالات التي حكمت فيها في أزمان ما قبل الطوفان انظر تحليل ما يسمى بجداول الملوك السومرية في كتابي الموسوم : «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» ، الجزء الأول (١٩٧٣) .

(٢٣٦) – أي الى جانب الجدار .

(٢٣٧) – عن موجز ما نعرفه عن «بيروسس» وما خلفه من مقتبسات من كتاباته ومنها رواية الطوفان في مؤلفات اليونان والرومان انظر المرجعين الأساسيين :

1 - Lambert & Millard. Atra - Hasis. The Babylonia n Story of the Flood (1969), 134 ff.

2 - P. Schnabel, Berossus und die Babylonichs - Hellenis Tische Literatur (1928).

(٢٣٨) – يوسيبوس أسقف قيصرية في فلسطين (٢٦٥ – ٣٤٠م) ومؤلفه «الأخبار» المذكور عبارة عن تاريخ عام ، وقد ضمنه جداول بالحوادث المهمة في التاريخ اليوناني والروماني الى عام ٣٢٥م .

(٢٣٩) – انظر :

Lambert and Millard, Op. Cit., 134 ff.

(٢٤٠) – الاله «كرونوس» (Cronüs) كبير الآلهة اليونانية ويأتي من بعد إله السماء «أورانوس» ، وهو أبو الاله «زوس» حيث قضى عليه واستبد بحكم الكون ، ولعله يقابل هنا الاله «انليل» أو «آنو» .

(٢٤١) – شهر دسيوس (Daisios) المقدوني يقابل شهر أيار البابلي والذي كان الشهر الثاني في السنة البابلية .

(٢٤٢) – Stades جمع Staduim مقياس يوناني طوله نحو ٢٠٢ ياردة .

(٢٤٣) - انظر النص اليوناني في :

Jacoby, Die Fragmenta der griechischen Historiker, III, C. 378 ff.

(٢٤٤) - انظر ترجماتها المعتمدة في :

1 - Speiser in ANET, (1969), 104 ff.

2 - Grayson, in IBID, 512 ff.

3 - Lambert and Millard, Atra - Hasis. The Babylonian Story of The Deluge (1969).

ويجدر أن ننوه بأن اسم المؤلف أو الجامع أي « كو - آي » أو « كو - ايا » مركب من كلمتين هما : (كوك) التي تعني الفضة ومجازاً (الضوء) أو (اللمعان) والكلمة (آيا) وهي اسم زوجة الاله شمش .

(٢٤٥) - الشائع عن « نمتارا » أو « نمتار » انه أحد آلهة العالم الأسفل ، أما اله الطاعون فهو « ايرا » و « نرجال » أيضاً .

(٢٤٦) - تبدأ هذه الأصوات بالمقاطع : مي - مي - با - با

(me - me - pa - pa), (HU _ HU)

راجع تعليل الاستاذ « كاد » (Gadd) المشار إليه في بحث « كرايسون » (Grayson) المنشور في : ANET., (1969), 512, n. 61 وقد عثر مؤلف هذا البحث في أثناء اشرافه على التنقيبات الأثرية في تل حرمل (١٩٤٥ - ١٩٦٠) على أسطوانة من الطين المشوي وهي مدونة بهذه الأصوات ويرجع زمنها الى العصر البابلي القديم (مطلع الألف الثاني ق .م) . انظر مجلة « سومر » المجلد الثاني (١٩٤٦) ، القسم الانكليزي ، وقد فسرتها يومذاك بأنها من قبيل « النوطة » الموسيقية .

(٢٤٧) - اعتمدت الترجمة بالدرجة الأولى على الترجمتين الآتيتين :

1 - Lambert and Millard, Atra - Hasis. The Babylonian Story of the Flood (1969).

2 - Speiser, Ancient Near Eastern Texts (1969).

(٢٤٨) - آلهة « الانوناكي » (Anunnaki) والـ « ايكيكي » (Igigi) اسما خبس أطلقهما العراقيون القدماء على مجموعة آلهة السماء والأرض ، وقد لايميزون في خص إحدى هاتين التسميتين على آلهة معينة ، ولكن يغلب اطلاق مصطلح الـ « انوناكي » على آلهة السماء والـ « ايكيكي » على آلهة الأرض كما في هذه الملحمة وهم الآلهة الصغار الذين كانوا يخدمون الآلهة الكبار ويعملون لهم ، كما قد يطلقون مصطلح الـ « ايكيكي » على آلهة السماء .

(٢٤٩) - الـ « أبسو » (Apsu) ، المياه السفلى التي يحكم فيها « انكي » و لذلك دعي معبده في « اريدو » باسم « اي - أبسو » ، أي بيت العمق ، واشتقت من هذه الكلمة الكلمة الاغريقية والانجليزية (Abyss) التي تعني المياه الأولى ، والعماء الذي منه خلقت الأشياء .

(٢٥٠) - في اللوح الحادي عشر في ملحمة جلجامش الذي جاء فيه رواية الطوفان ورد اسما « شلات » (Shullat) وخانيش (Hanish) على أنهما رسولا الاله ادد « اللذان كانا يسيران قدامه وهما ينذران في السهول والجبال في أثناء زوابع الطوفان .

(٢٥١) - الدعائم هنا أعمدة العالم الأسفل التي تحبس المياه السفلى و « أبرا - كلا » ، الاله الموكل بذلك العالم ودعائمه . (انظر اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش » .

(٢٥٢) - النص الآشوري لملحمة « اترا - حاسس » تكرار لما ذكرناه باستثناء ما ذكرناه عن ممارسة أكل لحم

البشر من الجوع انظر :

Lambert and Millard, Op. Cit., p. 113.

(٢٥٣) – انظر ترجمة هذه الاثبات والتعليق عليها في :

1 - Th. Jacobsen, The Sumerian King - List (1949).

2 - _______ Ancient Near Eastern Texts (1969).

٢ – «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول (١٩٧٢) .

(٢٥٤) – راجع :

Lambert and Millard, Atra - Hasis The Babylonicn Story of the Flood (1969), 15 ff.

(٢٥٥) – سبق أن علقنا في ترجمة ملحمة جلجامش على أن أسطورة الحكماء السبعة انتشرت الى الأمم القديمة الأخرى ، ومنهم اليونان حيث وردت في آدابهم فكرة الحكماء السبعة (The Seven Sages) ومنهم الحكيم طاليس (القرن السادس ق .م) والمشرّع اليوناني الشهير «صولون» .

(٢٥٦) – انظر :

Lambert and Millard, Op. Cit., p. 25.

(٢٥٧) – E. Reiner, in Orientalia, XXX, p. 1 ff.

(٢٥٨) – R. C. Thompson, Assyrian Medical Texts 105. 22.

المحتويات

الكتاب للجميع

هكذا نريده؛ إيماناً بكونه قيمة تحتفظ بحجمها وفاعليتها مدى العصور.

وإذ شرعنا فعلاً بإنتاج هذه السلسلة من الكتب القيمة التي نشرت خلال العقود الماضية وتعذر وصولها إلى قارئ اليوم، فإنما نهدف إلى إشاعة المعرفة وتيسير وسائلها وتمكين القارئ من الوصول إلى الينابيع الفكرية ذات التأثير في حركة الثقافة وتاريخ الفكر، بأيسر السبل وأقل التكاليف.

ونأمل أن تكون سلسلة (الكتاب للجميع) إنجازاً فعلياً ووسيلة ميسرة تتيح للقارئ تكوين مكتبة ذات مساحة منفتحة على مختلف فروع المعرفة بكلفة لا تثقل عليه.

فخري كريم

ISBN:2-84305-465-X

